الأدب في عصري

صدر الإسلام والدولة الأموية

تأليف

أ.د / علي يوسف عثمان عاتي

أستاذ الأدب والنقد
جامعة سيئون

دار العثمان
اليمن
٢٠٢٠ م

الأدب في عصري صدرالإسلام والدولة الأموية

تأليف الأستاذ الدكتور:
علي يوسف عثمان عاتي
أستاذ الأدب والنقد
كلية الآداب واللغات-سيئون
جامعة سيئون

اسم الكتاب: الأدب في عصري صدر
الإسلام والدولة الأموية

اسم المؤلف: الأستاذ الدكتور علي
يوسف عثمان عاتي

الطبعة: الأولى

دار العثمان

٢٠٢٠م

حقوق الطبع محفوظة

لدار العثمان - اليمن

قال الله تعالى:

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ سورة الممتحنة / رقم(٤)

الإهـــــداء:

إلى روح أمي الطاهرة تحية برٍ ووفاء....
إلى مقام والدي هدية تقدير وإجلال...
إلى صاحبة البذل والعطاء التي شاركتني الجهد والعناء عرفاناً بما قدمته من جهد زوجتي....
إلى أبنائي وبناتي...
إلى أبنائي الطلاب والطالبات...
إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع....

أ.د. علي يوسف عثمان عاتي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

يسعدني اليوم أن أقدم وأضع بين أيدي طلابنا وقرائنا الأعزاء هذا الكتاب مشتملاً على قضايا ونصوص أدبية من صدر الإسلام والدولة الأموية مع الوقوف على جملة من المقومات الفنية والفكرية لهذه الحقبة بما يتناسب ومفردات المادة الدراسية فجمعت شتات ما تناثر في كتب الأدب لعله يوفر الوقت والجهد للطالب المتخصص مع العلم أنه لا يغنيه ذلك عن تتبع تلك الآثار في مضانها حتى يتعمق في دراستها ويستجلي روائع الأدب العربي في أنصع صوره.

حاولت جاهداً شرح وتحليل النصوص الأدبية بطرق متعددة وأساليب متنوعة وبيان قيمها الفنية والجمالية ومناقشة جملة من القضايا والتفصيل فيها ما أمكن.

ويقع الكتاب في أربعة فصول. **الفصل الأول**: فيه ثلاثة مباحث. المبحث الأول: تناول أثر الإسلام في حياة العرب عامة، حيث رصد أثره في السياسة والحياة الاجتماعية والحياة العقلية وأثر الإسلام في اللغة والأدب. أمّا المبحث الثاني: فقد رصد موقف الإسلام من الشعر. وفي المبحث الثالث: رصد موضوعات الشعر ومعانيه في صدر الإسلام.

الفصل الثاني: وفيه ثلاثة مباحث. حيث تناول المبحث الأول: الشعر وأغراضه في صدر الإسلام. أمّا المبحث الثاني: فقد تناول السمات الفنية والأساليب في شعر صدر الإسلام. المبحث الثالث :فقد تناول نماذج من شعراء عصر صدر الإسلام.

أمّا **الفصل الثالث**: فقد رصد النثر الفني وتطوره في صدر لإسلام. حيث تناول المبحث الأول: نشأة النثر الفني وتطوره في صدر الإسلام. أما المبحث الثاني: فقد تناول الخطابة وموضوعاتها وخصائصها ونماذج منها. كما تناول المبحث الثالث: أدب الرسائل.

أمّا **الفصل الرابع**: فقد رصد رحلة الأدب في الدولة الأموية واشتمل على أربعة مباحث حيث تناول المبحث الأول: الشعر السياسي في الدولة الأموية. أمّا المبحث الثاني فقد تناول شعر النقائض النشأة والتطور وقيمتها الفنية ودراسة نماذج من شعر النقائض(جرير-الفرزدق). في حين قدم المبحث الثالث: شعر الغزل وتطوره ودراسة نموذج (عمر بن أبي ربيعة وعروة بن حزام) في الدولة الأموية. أمّا المبحث الرابع فقد تناول: النثر الفني وتطوره في الدولة الأموية مع دراسة فنية لنموذجين من الخطب السياسية.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

والله من وراء القصد.

أ.د. علي يوسف عثمان عاتي

١- في عصر صدر الإسلام

تمهيد :

وُلِدَ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم في عام الفيل بمكة، ونشأ فيها يتيماً ، بعد وفاة والده، وهو لا يزال في بطن أمه.« ثم توفيت أمه وهو في السادسة من عمره. وفي الخامسة والعشرين من عمره تزوج محمد - عليه الصلاة والسلام - خديجة بنت خويلد إحدى موسرات مكة، ومن التجار المشهورين فيها. ولما بلغ الأربعين من عمره اختاره الله لأداء رسالته وبعثه رسولاً إلى الناس أجمعين.

وصَدعَ محمدٌ ﷺ بالإسلام ودعا الناسَ في مكةَ إلى تَوحيد الله ثلاث عشرة سنة من غير أن يزيدَ المسلمون فيها على سبعين شخصاً كانوا يَعيشون في ضيق واضطهاد»[1]. وبالرغم من تلك الظروف التي مرّ بها الرسول _ﷺ- ومن معه فقد انتصر الحق، وأظهره الله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً. تلك الرسالة المحمدية آتت ثمارها بفضل الله؛ فغيرت أحوال العرب تغييراً جذرياً وبالتالي كان لها شأنها على العالم أجمع.

لقد أحدث ظهور الإسلام تحولاً جذرياً في حياة الأمة العربية ونقلها من طور التجزئة القبلية إلى طور التوحد في إطار دولة عربية تدين بالإسلام وتتخذ القرآن الكريم مثلاً أعلى. وكان لابد لهذا الحدث العظيم من أن يعكس صداه القوي في الحياة الأدبية لهذه الأمة. شعراً ونثراً ومن الطبيعي أن النتاج الأدبي للأمة يتفاعل مع البيئة التي تظله ويخضع لمؤثراتها.

وحين نتأمل الظواهر الأدبية في صدر الإسلام يتبين بجلاء ما تركه الإسلام

---

(١) د. عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨١م، ص٢٣٧.

من بصمات واضحة في مسيرة الأدب آنذاك. ومن أبرز آثاره أنه قضى على فنون أدبية كانت مزدهرة في العصر الجاهلي، مثل سجع الكهان الذي كان مرتبطاً بالوثنية الجاهلية، ونهى الخطباء عن محاكاة ذلك السجع في خطبه في حين ظهرت فنون جديدة أو تطورت فنون قديمة، كالنقائض و ظهر لون من الخطابة يستقي مادته من ينابيع الإسلام الخالدة.

وأخذ الشعراء يعزفون عن النظم في بعض الأغراض التي كانت حياة العرب في الجاهلية تدعو إليها. واتجهوا إلى أغراض دعت إليها البيئة الإسلامية كشعر الجهاد والفتوح والشعر الديني، وأصبح شعرهم يدور حول معان تتصل بالقيم والمثل الإسلامية. وقد أوجد الإسلام مبادئ خلقية تلائم تعاليمه وروحه فانعكست هذه المبادئ في النتاج الأدبي عصرئذ.

وقد رَاجَتْ مَقُولة تذهب إلى أن الإسلام وقف من الشعر والشعراء موقفاً مناهضاً مثبطاً، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾[1]. و تصحيحاً لهذه المقولة يَنْبغي التوقف عندها بتأنٍ ورويةٍ، ودراسةٍ متعمقةٍ واستقصاء؛ حتى نستطيع الحكم على مدى مصداقية تلك المقولة.

وقد كان أيضًا للإسلام يدٌ لا تُنكر في ازدهار النثر الأدبي، ولاسيما الخطابة والترسل، فقد أصبحت الخطابة وسيلة لنشر الدين والوعظ وبيان مبادئ الإسلام والحض على الجهاد والدعوة إلى مكارم الأخلاق وبيان خطة الحكم، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفاؤه خطباء مفوهين، وكذلك كان جل

(١) سورة الشعراء/ ٢٢٤- ٢٢٦.

عمالهم وقوادهم. وقد دعا قيام الدولة الإسلامية واتساع سلطانها إلى الاستعانة بالكتابة والكُتَّاب، وكانت الكتابة محدودة الانتشار في العصر الجاهلي فاتسع لها المجال في صدر الإسلام وأقبلت الناشئة على تعلم الكتابة.

مفهوم الأدب:

الأدب في اللغة: أصل الأدب الدّعاء ومنه (المأدبة) التي يُدعى إليها الناس. ومعَ مرور الزمن انتقلت دلالة اللفظة من معناها الحسي إلى المعنى المجرد. وقد جاء في تاج العروس: «الأدب محركة الذي يتأدب به الأديب من الناس ، سمي به لأنّه يأدبُ الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح »[١]. فالآدبُ هو الذي يَصنع الطعام. والأديبُ هو الذي يُكْثرُ من صُنع الطعام للناس والأضياف، والمأدبةُ؛ هي اجتماع الناس حول الطعام. يقول طرفة بن العبد مفتخرًا بقومه:

نحنُ في المَشْتاةِ ندعُو الجَفَلَى لا تَرَى الآدِبَ فينَا يَنْتَقِرْ [٢]

فهو يفتخر بأنّ الآدب في قومه يدعو كل الناس لا يستثني أحدًا منهم، ويكون ذلك في الشتاء، حيث تقل أقوات الناس، وخاصة الذين يعتمدون على الرعاية وتربية المواشي في الصحاري. وهذا المعنى المشهور في الشعر الجاهلي. حيث الصحراء العربية وطبيعة حياة القبائل فيها.

وقد تطور معنى اللفظة حتى صارت يُقصد به الرجل الكريم لابد أن يكون كلامه كريماً وجميلاً لأنّهُ كلامٌ سام جميل يصدر عن إنسان كريم وبهذا

(١) تاج العروس، مادة(

(٢) طرفة بن العبد ، الديوان،شرحه/مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان،ط٢، ٢٠٠٢م، ص٤٣.

المعني يفسر قوله - ﷺ -: « أدبني ربي فأحسن تأديبي »[١].أي علمني كريم الأخلاق وزيننني بجميل الصفات. وقد جاء في المصباح " هو تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق". قال أبو زيد الانصاري: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل"[٢] .

ويذهب الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي أن لفظة أدب ظلت تعني الخلق الكريم والسيرة الحميدة حيث يقول: « وعلى الجملة فالأدب في كل النصوص بمعنى الخلق الكريم واصطناع السيرة الحميدة، ودلت هذه الكلمة على ذلك في العصر الجاهلي، كما دلت عليه في صدر الإسلام، قال

أما في القرن الأول فقد كانوا يسمون ما يقرب من ذلك بـ(علم العرب) كما ذكره المسعودي في (مروج الذهب) إذْ نقل عن المدائني حديثا تصادر عليه ابن عباس وصعصعة بن صوحان، وفيه أن ابن عباس بعد أن سأل الرجل عن قومه وعن الفارس فيهم ونحو ذلك مما يتعلق بالأيام والمقامات قال: أنت يا ابن صُوحان باقرٌ[٣] علم العرب. وما كان الأدب الاصطلاحي بأكثر من هذا العلم يومئذٍ. وبعد أن عُرفتْ حدودُ الأدب في القرن الثاني الهجري اشتهرت الكلمة، لفظة (الأدباء) خاصة بالمؤدبين، لا تطلق على الكُتّاب والشعراء، واستمرت لقباً على أولئك إلى منتصف القرن الثالث، ومن ذلك كان منشأ الكلمة

---

(١) محمد عبد الرحمن السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، دراسة وتح/ محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٥م، ص٧٣. حديث مرفوع" (أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي ." قَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ : مَعْنَاهُ صَحِيحٌ ، لَكِنْ لا يُعْرَفُ لَهُ إِسْنَادٌ ثَابِتٌ . وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : لا يَصِحُّ . وَصَحَّحَهُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ نَاصِرٍ.

(٢) أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المصباح المنير، كتاب الألف، مكتبة لبنان (د. ط) ١٩٨٧م ص٤.

(٣) الباقر: المتبحر في العلم، وبه سمي محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم لتبحره.

المشهورة(حرفة الأدب) وأول من قالها الخليل بن أحمد صاحب العروض المتوفى سنة ١٧٥هـ، وذلك قوله كما جاء في المضاف والمنسوب للثعالبي: (حرفة الأدب آفة الأدباء) لأنهم كانوا يتكسبون بالتعليم ولا يؤدبون إلا ابتغاء المنالة، وذلك حقيقة معنى الحرفة على إطلاقها »[١].

ففي العصر الأموي اتخذ حكام الدولة الأموية لأبنائهم مجموعة من المؤدبين يتعهد بتربيتهم على حفظ الشعر والنثر وقدموا جملة من المختارات الأدبية. ومن هؤلاء المفضل الضبي صاحب كتاب (المفضليات) وعبد الملك بن قريب الأصمعي صاحب كتاب (الأصمعيات). وفي القرن الرابع الهجري تطورت الكلمة وانتشر استعمالها حتى صارت علماً أو مصطلحاً على كل كلام جميل مؤثر يعبر عن أفكار الإنسان وعواطفه، حيث «أخذت ألفاظ(الأدب والأدباء والمؤدبين) تتخصص، وأخذ الناس يطلقون كلمة (الأدبَاء) على الشعراء والكُتّاب المشتغلين بالمنظوم والمنثور»[٢].

وفي الاصطلاح: أطلق في بادئ الأمر على ما أثر عن العرب من فنون القول النثري والشعري وكل ما نتج عن القرائح. وقد ظهرت بعض الكتب تحمل هذه الدلالة في عناوينها مثل: أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الأدب في صحيح البخاري وغيرهما كثير. والعلاقة بين المعنى اللغوي "الدعوة إلى الطعام" والمعنى الاصطلاحي "فنون القول" أن الأول غذاء للجسم ، والثاني: غذاء للعقل والروح(٣).

(١) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان، ط١، ٢٠٠٠م ص٢٥.

(٢) غازي طليمات، الأدب الجاهلي، ص١٥.

من الصعب أن نجد تعريفاً محدداً عند الأدباء. ومع ذلك هناك العديد من المحاولات التي استطاعت أن تقترب من تعريفه، أو بالأحرى عرفته ومن تلك التعريفات ما يلي: ما ورد في (الكليات) بأن الأدب هو« علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابة، أصوله: اللغة ، والصرف، والاشتقاق، والنحو، والمعاني، والبيان، والعروض، والقافية. وفروعه: الخط، وقرض الشعر، والإنشاء، والمحاضرات ومنها التواريخ، والبديع ذيل للمعاني والبيان »[١].

وفي المعجم الأدبي ورد تعريف الأدب بقوله: «الأدب في معناه الحديث هو علم يشمل أصول فن الكتابة، ويعنى بالآثار الخَطِيّة النثريّة والشعريّة، وهو المعبر عن حالة المجتمع البشري، والمبين بدقة وأمانة عن العواطف التي تعتمل في نفوس شعب أو جيل من الناس، أو حضارة من الحضارات»[٢].

إن الأدب العربي سلسلة متواصل الحلقات ومكتمل الترابط يرتبط ارتباطًا قويًا باللغة العربية... لذا فالأدب الإسلامي ليس أدب فترة، يتحدد بفترة زمنية معينة، بل يتحدد أكثر ما يتحدد بالفكرة والجمال، فالفكرة تحدد إسلامية العمل الأدبي، والجماليات تحدد إبداعية الأدب. كما إنه أدب فطرة يقوى ويضعف بقوة وضعف الفطرة السليمة، وهو يستجيب لها في صحتها واعتلالها، لذا فهو أدب واقعي وإنساني وعالمي يأتي أشمل من الأدب الديني الذي يجعل موضوعه ومحوره الدين، فالأدب الإسلامي أدب مفتوح أمام موضوعات شتى فصلها سيد قطب في كتابه:" في التاريخ: فكرة ومنهاج"، وطرحها محمد قطب

---

(١) أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، قابلهُ على نسخة خطية و أعده للطبع د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان،ط٢، ١٩٩٨م، ص٦٨.

(٢) المعجم الأدبي،جبور عبدالنور،دار العلم للملايين،بيروت ،لبنان، الطبعة الثانية،١٩٨٤م،ص٣١٥.

في: "منهج الفن الإسلامي"[١].

و يمكن إيجاز مصطلح ومفهوم الأدب الإسلامي على النحو الآتي: " إنه تعبير فني جميل مؤثر، نابع عن ذات مؤمنة، يترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما"[٢].

وهو أيضًا: تجربة شعورية تنبع من وجدان وخواطر مفعمة بقيم إسلامية في بناء غني يعتمد على وسائل التأثر والإقناع من ألفاظ فصيحة وأسلوب بليغ ونظم دقيق وتصوير محكم.

❖❖❖

(١) د. حسن الأمراني، سيمياء الأدب الإسلامي .. المصطلح والدلالة، مؤسسة الندوى/ المغرب.

(٢) د. نجيب الكيلاني، مدخل إلي الأدب الإسلامي، كتاب الأمة: ١٤، جمادى الآخرة، ١٤٠٧هـ، ص ٣٦.

الفصل الأول

- أثر الإسلام في حياة العرب عامة.
- موقف الإسلام من الشعر.
- موضوعات الشعر ومعانيه.

المبحث الأول

أثر الإسلام في حياة العرب عامة

في مستهل هذا الفصل لنا هنا أن نطرح السؤال الآتي: وهو: ما الذي أحدثه الإسلام في حياة العرب في شتى مناحي الحياة العامة وهل أثر الإسلام فيهم أم لا؟ وإذا كانت الإجابة بنعم فكيف ذلك؟!

وقبل الإجابة عن تلك الأسئلة المشروعة نقول إنه لما جاء الإسلام كانت العرب شذر مذر بل كانت متفرقة متنازعة متخاصمة فيما بينها لا يجمعهم دين، ولا يقرب بينهم نظام حكم واحد، ولا يخضعون لرياسة موحدة، ولا يركنون إلى شريعة اجتماعية منظمة.

لقد كانت حياة العرب في الجاهلية لا تقوم إلاّ على الفوضى والعبودية البشرية والعصبية القبلية وشريعة الغاب فأبدلهم الإسلام من ذلك كله نظاماً موحداً، وحياة كريمة مهذبة في شتى مناحي الحياة السياسة والاجتماعية والدينية والاقتصادية. وسوف نقف مع تلك الآثار بشيء من الإيجاز على النحو الآتي:

أولاً : الآثار السياسية التي أحدثها الإسلام في حياة العرب :

إن أثر الإسلام في حياة العرب السياسية واضح لا يحتاج إلى بيان أو برهان وقد تجلى في الآتي:

أ- فقد وحد الإسلام العرب جميعاً تحت لواء واحد وحاكم واحد هو رسول الله وخلفاؤه من بعده فتجمعت الأهواء المتفرقة وتآلفت القلوب المتنافرة بعد أن حمّلهم رسالة الله إلى عباده فأسقطوا دولتي الفرس والروم، وهُدِّمَتْ صروح الظلم

والفساد، وأقيم على أنقاضها صروح العدل والنظام والأخلاق السامية.

ب - استقلت بلاد العرب استقلالاً كاملاً بعد أن كانت البحرين والحيرة تخضع لنفوذ الفرس، واليمن لنفوذ الحبشة والفرس، وعرب غسان لنفوذ الروم، فأصبحت الأمة العربية ذات نفوذ سياسي كبير.

ج- فتح المسلمون كثيراً من البلاد والشعوب وحكموها فتمرن المسلمون على فنون الحكم وصار منهم الولاة والأمراء والقضاة، ورجال الشرطة. وقد سجلت كتب السير الكثير من المفاخر في ترسيخ قيم الحق والعدل والإخاء والمساواة بين بني الإنسان كافة.

ثانياً : أثر الإسلام في الحياة الاجتماعية : وقد تمثل ذلك الأثر على النحو الآتي:

١- اعترف الإسلام للإنسان بحريته واستقلاله الفكري والاجتماعي والمالي، وجعله حراً طليقاً من كل قيد إلاّ من الخضوع لدين الله وللحاكم الأعلى الذي يحكم بما أمر الله، ويسهر على حفظ الأمن والنظام بين الناس، فرفع من كرامة الإنسان وجعله خليفة له في الأرض يعمرها ويمحو الظلام والجهل والفوضى والجمود منها بما وهبه الله من عقل.

٢- كانت أولى ثمرات الإسلام القضاء على العصبية القبلية، ذلك الرباط الذي كان في الجاهلية يشد الفرد إلى الفرد ويشد الجماعة إلى الجماعة على أساس من القرابة العرقية ولما جاء الإسلام، ودخل فيه العرب والعجم والروم جعل الميزان هو التقوى؛ فهو بذلك قوض الطبقات الاجتماعية وألغى الرق وجعل المسلمين إخوة لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى؛ بمعنى آخر أن الإسلام قلب موازين المجتمع الجاهلي الذي كان يقيس الناس بأنسابهم وجعل أكرم الناس عند الله أتقاهم.

٣- حرص الإسلام على تثبيت مكارم الأخلاق الشخصية والاجتماعية: فكل ما أدى إلى ضرر في الفرد أو تخلخل في البيئة الاجتماعية هو في الإسلام حرام أو مكروه على نسبة ما فيه من ضرر. فقد اجتث الإسلام من العرب العادات الخبيثة من الكذب والغش والنميمة والخمر والزنا ولكن بعد أن شدّ الإسلام الجماعة الإسلامية بأواصر من الرحمة والحقوق والدين وأقرَّ مكارم الأخلاق (الكرم، الشجاعة ، الوفاء) فتغيرت حال المجتمع في ظل الإسلام إلى أفضل مما كان عليه.

٤- من آثار الإسلام أيضاً أنه دعا إلى أن يكون الناس إخوة متحابين متعاونين في الحياة، وساوى بين الناس في الحقوق والواجبات؛ وهدم ما كانوا عليه من نظام الجماعة الفاسدة، وحرم دعوة العصبية الجامحة واستبدل بها أخوة الدين؛ والطاعة لحاكم واحد يلزم شريعة الله، وشرع كثيراً من الشرائع الاجتماعية التي تزيد في وحدة المجتمع كالزكاة والإحسان وصلاة الجماعة، والحج، وألقى عبء حفظ النظام والسهر على الأمن على كاهل الحاكم الأكبر . كما أنه حرم الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم وحرياتهم، وأباح الطيبات من الرزق ومن سبل المعيشة الشريفة؛ التي تتفق وروح الإسلام.

٥- نظم الأسرة على أسس اجتماعية سليمة فشرع الزواج، وجعله رباطاً مقدساً بين الرجل والمرأة، وأباح للرجل حرية الجمع بين عدة أزواج لا يتجاوز في ذلك أربع زوجات مهما كان، وأبطل كثيراً من العلاقات الأثيمة وحرم البغاء والزنا، فحفظ الأنساب ورفع من شأن المرأة وجعلها شريكة الرجل في الحياة، وجعل لها حظًا في الميراث، وفرض نفقتها هي وأولادها على الزوج، وحتم عليهما حسن التعهد للأبناء والقيام بتربيتهم. بمعنى آخر وأوسع أعطى الإسلام للمرأة جميع حقوقها وكفل مكانتها ومنع وأدها وجعل لها دورًا بارزاً في بناء المجتمع.

ثالثاً: أثر الإسلام في الحياة العقلية :

١- إن الإسلام حارب الأديان الفاسدة والعقائد الضارة، ووجه الناس كافة إلى الله وحده لا شريك له، فرفع من كرامة الإنسان وشخصيته في الحياة، وحارب التقاليد، ودعا إلى استقلال الإنسان بالتفكير، ونبه من شأن العقل وحكمه في كل شيء ، وبذلك حارب الإسلام الجمود والخمول والهوان وبعث العقل البشري.

٢- حارب الإسلام الأوهام الفاسدة التي تضعف من شأن العقل وتدعوه إلى الكسل والخوف وتبعث فيه روح الإيمان الأعمى والتسليم المطلق، وسلب الناس ما كانوا يزعمون من القدرة على تسخير ما في الوجود من غيب، وجعل كل ذلك مرده إلى الله يعلم الغيب وما هو أخفى، فزالت عن العقل ظلمات كثيفة كانت تحول بينه وبين الفهم والإدراك.

٣- دعا الإسلام إلى العلم الصحيح المستقل؛ وبعث في الناس حب المعرفة والثقافة، وفرض على العالم إرشاد الجاهل وتهذيبه إلى غير ذلك من مقومات الحياة الصحيحة.

٤- وبتشجيع الإسلام للمعرفة نشأت العلوم الإسلامية والفكرية وعكف العلماء على البحث والتنقيب مما كان أساس المدنية الإسلامية الباهرة[١].

رابعاً: أثر الإسلام في اللغة ويتجلى في الآتي :

١- إن لهجة قريش حققت علوا وتفوقا على سائر اللهجات العربية قبل الإسلام وأن هذا التفوق قد توفر لها بسبب سيادة قريش الدينية والتجارية على سائر القبائل العربية في شبه الجزيرة الأمر الذي جعل الشعراء والخطباء قبل الإسلام يتخذون لهجة أدبية شبيهة بلهجة قريش ينظمون فيها شعرهم ويدبجون

(١) يُنظر :محمد عبدالمنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل بيروت، ١٩٩٠م، ص١٤ ومابعدها.

بها خطبهم ووصاياهم وحكمهم.

ولما "جاء الإسلام وبدأ الوحي ينزل على الرسول الكريم بلسان قريش كان هذا إيذانا للهجتها بالسيادة المطلقة إذ تحولت من لهجة أدبية يتكلم بها الخاصة من أدبهم إلى لهجة عامة تجري على ألسنة سائر القبائل على مختلف لهجاتها وهذا بطبيعة الحال لم يتم إلاّ بعد دخول القبائل جميعها الإسلام"[١] .

ولا عجب في أن حقق القرآن للهجة قريش استكمال سيادتها على شبه الجزيرة. فلقد بهر العرب بلغته وأعجزهم بأسلوبه فتأثروا به وسرى في نفوسهم وأفئدتهم سريان النار في الهشيم فصار منارا للشعراء والخطباء يهتدون بلغته ومعانيه في تعبيراتهم اقتباسا وتضمينا واستشهادا.

٢- أن" أول ما كان من آثار القرآن الكريم أنه جمع العرب على لهجة قريش"[٢] بمعنى أنه- وحد اللغة- التي امتد انتشارها ليس بين القبائل العربية فحسب بل تعدت ذلك إلى سائر الأجناس الأخرى التي دخلت الإسلام وارتبطت به وبدولته ومن ثم كان لها وجودها في مشارق الأرض ومغاربها إذ أصبحت لغة عامة رسمية لأهل الممالك الكثيرة التي فتحها المسلمون.

٣- الأثر الآخر هو "حفظ اللغة من الانقراض ذلك لأن القرآن أتاح للفصحى البقاء والدوام؛ فكم من لغات بادت وانقرضت من الوجود لأنها لم تملك الرباط الروحي الذي يربطها بأهلها الذين يتكلمون بها ومن ثم كتب عليها الزوال والتلاشي. أمّا الفصحى فقد اكتسبت بالقرآن قدسية جعلت المسلمين

(١) محمد عثمان علي، في أدب الإسلام(عصر النبوة والراشدين وبني أمية)، دار الأوزاعي للطباعة والنشر، بيروت لبنان،ط١، ١٩٨٤م،ص٢٦.

(٢) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف –القاهرة، مصر،ط٧ ،١٩٩٦م،ص٣١.

يتمسكون بها ويحافظون عليها بالدراسة والعناية على مر العصور وبهذا ظلت حية خالدة"[١].

٤- وهناك أثر آخر للقرآن في الفصحى وهو أثر يدخل في صميم تطور اللغة وتوسعها فقد اكتسبت الفصحى بالقرآن ألفاظا جديدة لم تكن معروفة لدى العرب بمدلولها الذي صبغها به القرآن مثل: الكفر والإيمان والنفاق والإشراك والإسلام والصلاة والصوم والزكاة والتيمم والركوع إلى غير ذلك من الألفاظ التي ارتبطت بالدين الحنيف وأصبحت مصطلحات في اللغة والشرع.

ويرى الدكتور شوقي ضيف" أن المسألة لم تكن مسألة ألفاظ فحسب[أضافها القرآن إلى اللغة] وإنما مسألة دين جديد له مضمونه الذي لم يكن العرب يعرفونه"[٢]. [بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين] قال:" إن كل ما كسبته العربية بعد ذلك من عظات عند الحسن البصري وغيره من كبار الواعظين، إنما هو من فيض القرآن ومعينه الغزير"[٣].

٥- من الآثار أيضاً هو أن القرآن قد أثر في اللغة تأثيراً داخلياً حيث" هذّب اللغة من الحوشية ومن اللفظ الغريب فأقامها في هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة"[٤]. فالقرآن الكريم رقق من أساليب اللغة وأبعدها عن الحوشية وغرابة اللفظ إذ أكثر المسلمون من ترديد آياته في الصلاة والتعبد بتلاوته ومداومة درسهم له وتفهمهم إياه والاقتداء بأساليبه ومجاراته فيما اشتمل عليه من أساليب بلاغية متعددة فاطمأنت قلوبهم به وتلذذت نفوسهم بتلاوته

(١) محمد عثمان علي، في أدب الإسلام(عصر النبوة والراشدين وبني أمية)ص٢٧- ٢٨.

(٢) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي،ص٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص٣٢.

(٤) المرجع السابق،ص٣٣.

فجنحوا إلى محاكاته وإيثار ألفاظه بالاستعمال في التحدث والخطابة والكتابة والشعر.

٦- ومن الآثار أيضاً إحداث كثير من العلوم اللغوية والشرعية إذ إن كل العلوم التي قامت عند المسلمين الأوائل، إنما قامت لخدمة القرآن، وقد اكتسبت اللغة من هذه العلوم الكثير من الاصطلاحات والأساليب الفنية، فحققت بذلك ثروة جمة، ما كانت تعرفها من قبل وكان من أهم هذه العلوم علوم اللغة والأدب والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع ورسم الحروف والقراءات والتفسير والحديث والأصول والتوحيد والفقه.

٧- وبجانب القرآن الكريم كان للحديث النبوي الشريف أثره الواضح في مجال اللغة والأدب؛ ونعني به هنا ما روي عن النبي ﷺ قولاً وهو أفصح العرب بلا جدال وخطبه وأحاديثه وجوامع الكلم. وثمة أمر آخر هو أن القرآن الكريم يذكر أصول الدين الإسلامي وأحكامه مجملة دون تفصيل"[1]. والحديث النبوي يفصّل ذلك ومن هنا جاءت أهمية الحديث النبوي ومدى أثره في اللغة والأدب بشكل عام.

خامساً: أثر الإسلام في الأدب ويتضح لنا في الآتي:

١- إن الإسلام قد تأثر به المسلمون ممثلة في بلاغة القرآن وفصاحته وعذوبته، فلانت أساليبهم وعذبت ألفاظهم ورقت طباعهم، واقتبسوا منه في شعرهم ونثرهم.

٢- أحيا القرآن الكريم فنوناً أدبية جديدة، كالقصص وأدب الزهد وأدب التاريخ وأبطل سجع الكهان والهجاء الكاذب والفخر بغير العمل الصالح والخلق الكريم إلى غير ذلك من شتى الفنون الأدبية المرذولة.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٥.

٣- بتأثير القرآن عكف الأدباء والرواة على جمع اللغة وآدابها وأشعارها وحكمها وبلاغتها وأمثالها ووصاياها وخطبها مما كان مادة الثقافة الأدبية العربية على مرّ الأيام.

٤- وبسببه وضعت علوم النقد والبلاغة لمعرفة وجه إعجاز الذكر الحكيم وكيف تحدى الله به العرب والناس كافة فملكهم الإعياء والعجز والقصور. ولا غرو فالقرآن الكريم أول كتاب كتب باللغة العربية وهو مصدر آداب العرب جميعها"[١].

❖❖❖

(١) د. محمد عبدالمنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، ص٤١- ٤٢

المبحث الثاني

موقف الإسلام من الشعر

إذا بحثنا في القرآن الكريم نجد أنه قد ذكر لفظ [الشاعر] في أربع آيات كما ذكر لفظ [الشعر] في آية. وقد تحدث عن [الشعراء] في آية واحدة ومن ثم يكون مجموع ما تحدث به القرآن الكريم مشيراً إلى الشعر والشعراء ست آيات. فقد وردت كلمة شاعر وصفاً للرسول عليه الصلاة والسلام أربع مرات في القرآن:

١- ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾[١].

٢- ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[٢].

٣- ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[٣].

٤- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾[٤].

كما وردت كلمة الشعر نفياً لصفة الشعر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[٥]

---

(١) سورة الأنبياء /٥.

(٢) سورة الصافات /٣٦.

(٣) سورة الطور /٢٩- ٣٠.

(٤) سورة الحاقة /٤٠- ٤١.

(٥) سورة يس /٦٩.

فهذه الآيات كلها مكية نزلت بصدد الرد على المشركين من قريش، الذين وصفوا الرسول ﷺ بما ليس صحيحاً فيه، وهو أنه شاعر تعلم الشعر؛ لأنه رسول جاء بشيء غير الشعر ولهدف غير ما يقال الشعر لأجله، هذا بالإضافة إلى مقصدهم في أن يصفوا الرسول ﷺ بأن به ما يعتقدون في الشعر من مس الجن.

وهي أوصاف تناقض معنى الرسالة والوحي، والمشركون يريدون بتلك الأوصاف أن يهونوا من شأن الرسول والرسالة ويكذبوا بالقرآن وما فيه من إعجاز وتحد لهم . وتنزيه القرآن عن أن يكون شعراً ليس طعناً في الشعر ، ولا تقليلا من وظيفته، إنما هو تنبيه أن القرآن كلام لا يشبه ما عرف العرب من شعر وسجع. كما أن المشركين قصدوا إلى جعل الرسول ﷺ واحداً من الموهوبين الذين يمكنهم أن يقولوا مثل القرآن ، فينفوا عنه صفة الرسولية وأنه مرسل من عند الله بالرسالة. ألا ترى كيف نسبوا النبي ﷺ إلى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم؟ فقالوا: هو شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته وأنه يقع منه ما لا يلحق والمنثور ليس كذلك.

وفي ذلك يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة" وتنزيه القرآن الكريم عن أن يكون شعراً أو أن يكون الرسول شاعراً ليس طعناً على الشعر بأي صورة من الصور ولا غضاً من قيمته فالأمر لا يخرج عن كونه إقراراً لواقع ثابت لا شك فيه"[١].

وهناك بعد أخلاقي أشار إليه الإمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن حيث ذهب إلى أن الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر هي "أن قصارى الشاعر التخييل بتصور الباطل في صورة الحق، والإفراط في الإطراء والمبالغة في

(١) د. محمد مصطفى هدارة، الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي، دار النهضة العربية بيروت ١٩٩٥م،ص٧٤

الذم والإيذاء دون إظهار الحق وإثبات الصدق"[١].

لقد فند الإسلام اتهامات الأعداء للرسول الكريم بأنه من كتب القرآن ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [٢] **كما أنه رد على موقف الشعراء المعادي بقوله:** ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (٣). **نجد القرآن الكريم يستثني الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد تعرضهم للظلم من هجومه والقرآن الكريم في معرض رده على دعاوى الأعداء** ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾.

هذه الآيات تُعدُّ دفاعا عن القرآن ضد مزاعمهم أنه شعر، فهو لم يكن شعراً، والرسول الكريم ليس بشاعر. ولكننا نحن هنا نتساءل لماذا يحرص القرآن على تفنيد تلك المزاعم القائلة بأن الرسول شاعر؟

لقد فند القرآن الكريم تلك التهم عن النبي ﷺ ؛ لأن من طبيعة الشعراء المغالاة والعاطفية وأنهم يقولون ما لا يفعلون، فهم يتصفون بالغلو والمبالغة ومجانبة الصواب في أكثر شعرهم ، وقد قيل بأن أعذب الشعر أكذبه والكذب صفة ذميمة برأ الله رسوله الصادق الأمين منها ، ولو كان الرسول شاعراً كما

---

(١) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، مطبعة المكتبة الثقافية بيروت، ١٩٧٣، ص١٢٣.

(٢) سورة يس /٦٩.

(٣) سورة الشعراء

ادعى المتقولون لنسب العرب بلاغته الكبيرة في تبليغ الدعوة إلى ملكة الشعر أو شيطانه، ولأصبحوا مصيبين باتهامهم محمداً بالشعر، فلم ير المؤرخون بأن الرسول قد نظم شعراً مع أنه أفصح العرب وأشدهم بلاغة (إني أفصح العرب بيد أني من قريش)[١]

ومع أن سورة الشعراء كلها مكية إلا أن الآيات الأخيرة منها، والتي تبدأ بقوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[٢]. مدنية وفي ذلك دلالات عدة منها:

الدلالة الأولى: أن تخصيص سورة في القرآن باسم (سورة الشعراء) دلالة على مكانة الشعر كوسيلة من وسائل الإبداع الإنساني، وبخاصة في مجتمع كان للشعر أثره في النفوس، يتفاعلون معه ويستثيرهم ويؤجج عواطفهم لأن الشعر عند الجاهليين يمثل ديوان العرب ومجتمع مكارمهم ومنبع مفاخرهم ومعرض فصاحتهم، وهذا ما جعل الرسول ﷺ يستعين به، ويوظفه في مقاومته أهل مكة وشعراءها، الذين هجوه وآذوا دعوته وصدوا عنها وخاصموا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقد كان على الشعر العبء الأكبر في تأجيج نار الخصومة والمجاهرة بها.

الدلالة الثانية: أن هذه الآيات التي وردت في سور (الصافات والطور

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط١، ١٩٨٢م،ص٥٩

(٢) سورة الشعراء /٢٢٤- ٢٢٧.

والحاقة...) كلها مكية نزلت بصدد الرد على المشركين من قريش، الذين وصفوا الرسول ﷺ بما ليس صحيحاً فيه، وهو أنه شاعر تعلم الشعر، لأنه رسول جاء بشيء غير الشعر ولهدف غير ما يقال الشعر لأجله، هذا بالإضافة إلى مقصدهم في أن يصفوا الرسول ﷺ بأن به ما يعتقدون في الشعر من مس الجن، وهي أوصاف تناقض معنى الرسالة والوحي، والمشركون يريدون بتلك الأوصاف أن يهونوا من شأن الرسول والرسالة ويكذبوا بالقرآن وما فيه من إعجاز وتحد لهم.

الدلالة الثالثة: تنزيه القرآن عن أن يكون شعراً ليس طعناً في الشعر، ولا تقليلاً من وظيفته، إنما هو تنبيه أن القرآن كلام لا يشبه ما عرف العرب من شعر وسجع ، كما أن المشركين قصدوا إلى جعل الرسول ﷺ واحداً من الموهوبين الذين يمكنهم أن يقولوا مثل القرآن ، فينفوا عنه صفة الرسولية وأنه مرسل من عند الله بالرسالة .

-إن شمولية النظرة الإسلامية للحياة اقتضت أن يكون رأي الدين في الفن الذي نبغ فيه العرب وكان ديوانهم، الذي سجل تاريخهم وحياتهم وأيامهم، فجاءت آية الشعراء صريحة مؤكدة أن الشعر في مجموعه مرتبط بالغواية والضلال والخيال والكذب ولذلك قالت العرب (أجود الشعر أكذبه)، والإسلام يطلب عنصر الصدق في الشعر، وهذا يناقض ما وصفوا به من أنهم يهيمون في كل واد ويقولون ما لا يفعلون، ليس عن براءة وغير قصد بل اعتسافاً وغلوا ومجاوزة للحد وتعمد مخالفة القواعد الأخلاقية.

- أن الاستثناء في الآية قصد به شعراء المسلمين، من أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير، وعبد الله بن رواحة، ممن دافعوا عن الرسالة والرسول ونافحوا عن الإسلام، ودافعوا عن القيم الفاضلة، فقد أقلقتهم آية

الشعراء فذهبوا يبكون للرسول ﷺ فذكرهم صلى الله عليه وسلم بالاستثناء مهدئاً من روعهم مطمئناً لهم.

قال أبو الحسن المبرد لما نزلت " والشعراء" جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون إلى النبي ﷺ فقالوا : يا نبي الله ! أنزل الله تعالى هذه الآية وهو تعالى يعلم أننا شعراء ؟ فقال: (اقرءوا ما بعدها) (إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات) أنتم (وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) أنتم أي بالرد على المشركين قال النبي ﷺ (انتصروا ولا تقولوا إلا حقاً ولا تذكروا الآباء والأمهات).[١]

ليس من الغرابة أن يضع القرآن قيودا أخلاقية على الشعر، لأن الدين حرية ملتزمة واعية لا تستجيب للأهواء والغرائز، وهذا الإطار الأخلاقي لم يوضع للشعر وحده بل لجميع أنواع النشاط البشري، حتى يمكن خدمة الدين وفق مبادئ مبنية على الصدق والحق والعفة والالتزام. وكما يقول الدكتور عبد القادر القط "فإن القرآن لم يصدر حكماً بعينه على الشعر ولم يتخذ موقفاً خاصاً وإنما نفى عن النبي ﷺ مرة بعد أخرى أن يكون شاعراً من الشعراء وأن تكون رسالته كرسالتهم"[٢] . ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[٣].

إن الدين الإسلامي هاجم نوعا من الشعر في مرحلة محددة وهي مرحلة بداية الإسلام في المدينة المنورة، حيث اتهم المشركون الرسول الكريم - ﷺ - بأنه شاعر وبأن حديثه شعر وأنه واضع للقرآن. والإسلام حينما هاجم هؤلاء لم ينه

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج/١٣ دار إحياء التراث بيروت ١٩٨٥م. ص ١٥٣.

(٢) د. عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان،١٩٨٧،ص١٢.

(٣) سورة يس /٦٩

عن قول الشعر، لكنه اتسم بالتوجيه الأخلاقي وبكثرة التهذيب لأتباعه ، والحث على مكارم الأخلاق، لهذا يمكننا أن نقول إنه شجع الشعر مع التوجيه على الخلق الرفيع والابتعاد عن سفاسف الأمور وصغائرها ، وذلك حسب مقتضيات الأحوال وطبيعة الأحداث التي رافقت الدعوة الإسلامية ، فلا يمكن النظر إلى الشعر بمعزل عن الظروف الأخرى التي أحاطت بالدين الإسلامي.

وقد احتدم الصراع بين الفريقين المتصارعين شعراء الدعوة الإسلامية وشعراء كفار مكة، وحين تم نصر الله، وفتحت مكة دخل معظم الشعراء العرب إلى الدين الإسلامي يدافعون عنه ضد أعدائه، وقد رأى بعض النقاد أن الشعر في صدر الإسلام أصابه بعض الضعف واللين في المستوى الفني للشعر الإسلامي، ومرد ذلك أن الشعراء في تلك المرحلة كانوا دون مستوى الحدث، فلم يوفقوا كثيراً في تمثل القيم الجديدة والمبادئ الناصعة التي أتى بها الإسلام، وكان لهذا أثره في خمول الشعر وضعفه، إذا ما قورن بشعر ما قبل الإسلام .

ولهذا الضعف أسباب عدة عند حسان يراها النقاد القدماء والمحدثون نلخصها في الآتي :

١- انبهار حسان بما قاله القرآن الكريم ونطق به رسول الله ﷺ.

٢- ضعف شعره في غير الهجاء للسبب نفسه الذي قال به الأصمعي في رواية ابن قتيبة (طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لاَنَ..).

٣- ما علله حسان نفسه حين قيل له (لَاَن شعرك في الإسلام يا أبا الحسام فأجاب إن الإسلام يحجز عن الكذب والشعر يزينه الكذب).

٤- إن كثيراً من شعره الإسلامي قاله ارتجالاً عند حدوث الواقعة الداعية إليه.

٥- إن كثيراً من شعره قاله بعد أن بلغت منه السن والشعر صورة من صور

النفس تسيح إذا ساحت.

٦- انشغال الناس بالقرآن وبلاغته وسمو كلماته.

٧- شعور المسلمين بالعجز عن مجاراته، سواء بالشكل أو المضمون، فانصرفوا عن قول الشعر ، وهذا ما يذكره ابن خلدون في مقدمته، حيث يذكر ما معناه أن العرب انصرفوا عن قول الشعر أول الإسلام لانشغالهم بأمور الدين والنبوة ولاندهاشهم بأسلوب القران ونظمه، كما إن المسلمين الذين ملأ الإيمان قلوبهم تحرجوا من النظم خشية أن ينالهم غضب الله ﴿الشعراء يتبعهم الغاوون﴾ فآثر بعض الشعراء الصمت مثل لبيد والنابغة الجعدي ، وبعضهم ضعف شعره ، لأنه ابتعد عن الهجاء المقذع والفخر الفاحش والمديح الكاذب ، والإسلام قد أبطل الدوافع الجاهلية التي تنشط الشعر ونهى عنها.

ويرى الدكتور عمر رضا كحالة أن ظاهرة الضعف هذه ترجع لسببين:"

١- أن الجو قد تغير على الشعراء المخضرمين فلم يستطيعوا مجاراته دائماً.

٢- أن جملة من شعراء هذه الفترة كانوا مغمورين فلم يقولوا من الشعر إلا القطع في المناسبات"[١].

ويكاد كثير من الباحثين يجزمون بأن الإسلام اتخذ منذ البداية موقفاً حذراً من الشعر أدى إلى إطفاء جذوته المشتعلة قبل الإسلام وإلى ضعف مستواه، وكان أول من أشار إلى ذلك الأصمعي في قوله ((طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لاَنَ؛ ألا ترى أنَّ حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير – من مراثي النبي ﷺ وحمزة وجعفر رضوان عليهما وغيرهم – لاَنَ شعره. وطرق الشعر هو طرق شعر الفحول، مثل امرئ القيس ،وزهير، والنابغة، من صفات الديار والرَّحل، والهجاء والمديح ، والتشبيب بالنساء، وصفة الحُمر

(١) د. عمر رضا كحالة، الأدب العربي في الجاهلية والإسلام، المطبعة التعاونية، دمشق،١٩٧٢م،ص٨٩.

والخيل والحروب والافتخار؛ فإذا أدخلته في باب الخير لاَنَ"[١]. فالأصمعي ينظر إلى أنّ مصدر الشعر الخير أو الشر وهو يقرن الشعر الجيد بالشر لأن الشر عنده هو صورة للنشاط الدنيوي جميعه والشعر ينبع من ذلك النشاط.

ومن النقاد القدامى الذين وافقوا الأصمعي؛ محمد بن سلام الجمحي الذي يقول: "فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته"[٢].

وعزز هذا الرأي في النقد القديم ابن خلدون في مقدمته حيث ذكر أن الشعر كان ديواناً للعرب في علومهم وأخبارهم وحكمهم، ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً[٣]

ومعنى هذا أن المسلمين قد انصرفوا عن قول الشعر ونظمه، بينما ظل المشركون ينظمون الأشعار، ومع ذلك لم يتعرض النقاد لشعرهم من حيث القوة والضعف، وما رُوي في كتب الأدب يدل على غير ما ذهب إليه النقاد القدماء، فقد كان عدد من الشعراء أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك؛ يدافعون عن الرسول والرسالة ويصدون هجوم شعراء قريش، كما أن الوفود كانت تأتي بشعرائها وخطبائها ولا شك أن شعراً غزيراً قيل آنذاك وأن الرواة لم يدونوه فضاع معظمه لانشغال الناس بغير رواية الشعر وتدوينه.

---

(١) المرزباني، الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر. ص٧١.

(٢) ابن سلام ،طبقات فحول الشعراء، ج١، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، د.ت.ص٢٥.

(٣) ابن خلدون ،المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت،ط٣، ٢٠٠١م،ص٥٣٢.

وقد تابع هذه الآراء عدد من الباحثين المحدثين أمثال جرجي زيدان الذي يقول" فلما جاء الإسلام وجمع كلمة العرب، وذهبت العصبية الجاهلية لم تبق الحاجة إلى الشعر والشعراء؛ باشتغال أهل المواهب والقرائح بالحروب في الجهاد لنشر الإسلام وبالأسفار، وقد أدهشتهم أساليب القرآن وأخذتهم النبوة وانصرفت قرائحهم الشعرية إلى الخطابة لحاجتهم إليها في استنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد "[١].

فالكاتب يرجع قوة الشعر وازدهاره إلى العصبية والنزاع بين القبائل، وهذا يخالف ما عرف عن العرب بأن الشعر ديوانهم وتاريخهم وحياتهم، فحاجتهم إليه دائمة، ثم إن الشعر في مفهوم الإسلام وسيلة من وسائل الجهاد ونشر الدعوة، فحاجتهم إليه أشد، وهذا ما يدعوهم إلى الانشغال به أكثر من الاشتغال عنه ، ولكي يفهموا أساليب القرآن التي أدهشتهم فإنهم بحاجة إلى الشعر لأنه وسيلتهم إلى تذوق تلك الأساليب ومعرفة وجوه الإعجاز والجمال فيه، ثم ما الذي يجعل الحاجة إلى الخطابة أشد من الحاجة إلى الشعر، مع أن أثر الشعر في تحريك الخواطر وإثارة المشاعر واستنهاض الهمم أقوى من الخطابة عند العربي.

ومثل هذه الآراء تدل على قبول الافتراضات التي وضعها الأصمعي وتبعه فيها عدد من النقاد دون دراسة متأنية للشعر في صدر الإسلام، دراسة تشمله وتشمل الظروف التي أحاطت به وأول ما يخطر في الذهن المقارنة بين الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا ناضجاً قويا ممثلا لأكثر من قرن ونصف من الزمان، وبين شعر صدر الإسلام الذي لم يتجاوز ربع قرن من الزمان، ومع ذلك فقد رُوي

(١) جرجي زيدان ،تاريخ آداب اللغة العربية، راجعه وعلق على حواشيه د. شوقي ضيف ،دار الهلال ، ص١٩٠.

شعر كثير من هذه الفترة مما قاله المسلمون أو المشركون، ووجد عدد كبير من الشعراء الذين دافعوا عن الإسلام، ومثّل هؤلاء الشعراء تياراً إسلامياً قوياً التزم بالإسلام وأضاف كثيراً إلى الشعر من حيث مضمونه وموضوعاته وألفاظه ومعانيه، غير أنهم حولوا جزالة الأسلوب الجاهلي وبداوته إلى أساليب بسيطة وألفاظ رقيقة ومعانٍ هادفة تتناسب مع روح الإسلام وتعاليمه؛ الداعية إلى هجر الفاحش من القول والبذيء من اللفظ وهتك الأعراض وذم الأبرياء.

ومع ذلك لم تخل هذه الفترة الوجيزة من شعراء وصفهم ابن سلام نفسه بأنهم من الفحول، أمثال أبي ذؤيب الهذلي الذي قال عنه: "كان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غميزة فيه ولا وهن.. وسئل حسان: من أشعر الناس؟ قال: أشعر الناس حياً هذيل وأشعرُ هذيل أبو ذؤيب غير مدافع وكذلك كعب بن زهير كان شاعراً فحلا مكثراً مجيداً قال عنه خلف الأحمر :لولا أبيات لزهير أكبرها الناس لقلت إن كعباً أشعر منه[١].

تعقيب على تلك الآراء:

إن اتهام عدد من الشعراء المخضرمين بذبول شعرهم بعد الإسلام؛ لا يستند إلى حقيقة علمية إنما هو افتراض لا يرقى لمرحلة الجزم، فقد ظل كثير من هؤلاء الشعراء ينظمون الشعر من أمثال لبيد وحسان والحطيئة والنابغة الجعدي والنمر بن تولب وكعب بن زهير وكعب بن مالك الأنصاري، ولعل بعض الشعراء قد انشغل بحياته الجديدة عن الشعر، إلا أن مجموعهم ظل ينظم الشعر، حتى لبيد بن ربيعة الذي تضاربت الآراء في قوله بعد الإسلام فقد نسب له أنه لم يقل غير بيت من الشعر بعد إسلامه وهذا البيت نفسه موضع خلاف فقد

(١) ابن سلام الجمحي ،طبقات الشعراء ،دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٨م،ص٥٣.

ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء[١] أنه قال:" ولم يقل في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً .واختلف في البيت قال أبو اليقظان هو:

الحمـــد لله إذ لم يـــأتني أجلـــي حتى كساني من الإسلام سربالا

وقال غيره : بل هو قوله:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح[٢]

بينما أورد له صاحب الأغاني قوله:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل[٣]

ويذكر الرواة أن الرسول ﷺ أعجب بهذا البيت وهو من قصيدة قالها بعد إسلامه ومطلعها:

ألا يسـألان المـرء مـاذا يحـاول أنحب فيقضي أم ضلال وباطل[٤]

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح/ أحمد محمد شاكر، ج١،دار المعارف، مصر،ط٢، ١٩٥٨م ص٢٧٥.

(٢) لبيد بن ربيعة ،الديوان، شرح الطوسي، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الأولى،١٩٩٣م،ص٥٩ .

(٣) أبو الفرج الاصبهاني، الأغاني ، مج ١٤،ص١٥. وينظر: شرح الطوسي لديوان لبيد حيث ذكر في الهامش هذا بيت حكمي. وقيل إنّ عثمان بن مظعون أو أبو بكر أو النبي ( ) قال له عندما أنشد قوله (وكل نعيم كذبتَ إنّ نعيم الجنة لا يزول ، واعتذر عنه بعضهم بأنّه إنما قاله وهو جاهلي". ص١٤٥.

(٤) لبيد بن ربيعة، الديوان، شرح الطوسي، دار الكتاب العربي بيروت ،ط١ ،١٩٩٣م، ص١٤٤

بل روى صاحب الأغاني[١] أن لبيداً لم يترك الشعر طوال حياته، فأورد له أبياتاً قالها في السبعين ثم التسعين ثم المائة وبعد المائة، ومعنى هذا أن قريحته لم تخمد وظلت متقدة حتى وفاته. حين أوصى ابن أخيه شعراً بإحسان دفنه ، وكذلك ما قاله في وصف حال بناته بعد موته:

تَمَنَّى ابنتايَ أنْ يَعيشَ أبُوهُما وهل أنَا إلاّ مِنْ ربيعةَ أو مُضَرْ[٢]

وقد أشار الدكتور عمر فروخ أن كثرة شعر لبيد في ظل الإسلام حيث قال:" أما الشّعر الذي قاله في الإسلام على كثرته فلم يجر على المنهج المألوف الممدوح يومذاك، ثم أنه جاء عرضاً في حياته"[٣].

ويقول الدكتور محمد مصطفى هدارة :"وكان على هؤلاء الباحثين أن يضعوا في اعتبارهم عند تقويم شعر صدر الإسلام مسائل عديدة"[٤] وسوف ألخصها على النحو الآتي :

أولاً: أنه لا مجال للمقارنة بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي أيام الرسول والخلفاء الراشدين من ناحية الكم، فالشعر الجاهلي قيل في مدى مائة وخمسين عاماً على الأقل بينما لا تزيد مدة عصر الرسول وخلفائه الراشدين

(١) أبو الفرج الاصبهاني، الأغاني، ج ١٤، ص٧٩

(٢) لبيد بن أبي ربيعة، الديوان،ص٧٣.

(٣) د. عمر فروخ، تاريخ الادب العربي،ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ص٤، ١٩٨١م، ص٢٣٣.

(٤) د.محمد مصطفى هدارة ،الشعر العربي في القرن الأول الهجري، ص٧٧.

على أربعين سنة.

ثانياً: لا ينبغي الاقتصار على دراسة شعراء المسلمين، بل يجب تجاوزهم إلى دراسة شعراء المشركين وهنا تقابلنا مشكلة ينبغي أن تكون في الحسبان ، ألا وهي ضياع معظم هذا الشعر لسقوط روايته لما يتضمن من هجاء الرسول والمسلمين، أو التشاغل عن روايته إن لم يكن يتضمن هجاء.

ثالثاً: إن معظم الشعراء المخضرمين الذين ثارت حولهم الشبهة في أنهم استمروا في قول الشعر بعد الإسلام - وكانوا من فحول الجاهلية مثل لبيد بن ربيعة- لم ينقطعوا عن الشعر بدليل ما في دواوينهم فإسقاطهم من حساب عصر صدر الإسلام فيه عنت كثير.

رابعاً: إن هناك مجموعة ضخمة من شعراء المسلمين لم تهتم بهم كتب الأدب ولم ترو أشعارهم ولكننا نجد الكثير من شعرهم في كتب طبقات الصحابة. وتسليط الضوء على هؤلاء وعلى شعرهم سيكون ذا فائدة كبرى في عدالة تقويم شعر ذلك العصر المفترى عليه.

خامساً: حفلت الفتوحات الإسلامية بشعر حماسي رائع لم يهتم بجمعه مؤرخو الأدب، مع أنه يمثل جانباً مهما لا ينبغي إغفاله عند الحديث عن تأريخ شعر صدر الإسلام ورصد اتجاهاته، ومحاولة مقارنته بالشعر الجاهلي"[١].

وكما يقول الدكتور شوقي ضيف:" فإن الشعر في حياة الرسول ﷺ كان يجري على كل لسان، ويكفي أن نرجع لسيرة ابن هشام ، فسنرى سيولاً تتدافع من كل جانب، وحقاً فيها شعر موضوع كثير ، ولكن حينما يصفى، وحين نقابل

(١) د. محمد مصطفى هدارة ،الشعر العربي في القرن الأول الهجري، ص٧٧.

عليه ما ارتضاه ابن سلام وغيره من الرواة الموثوق بهم ، نجدنا إزاء ملحمة ضخمة تعاون في صنعها عشرات من الشعراء أو الشاعرات" [١].

و يرى الدكتور عبد القادر القط في دراسته للشعر الإسلامي "أن الضعف الذي لاحظناه على الشعر الإسلامي- إذا سلمنا برأيه- كان قد بدأ في الحقيقة قبيل الإسلام لا بعده، كان قد انقضى عهد الفحولة ولم يبق منهم إلا الأعشى الذي مات - كما تقول الرواية وهو في طريقه إلى النبي ليمدحه ويعلن إسلامه ، ولبيد الذي كان قد بلغ الستين وأوشك أن يكف عن قول الشعر، ولم يبق عند ظهور الإسلام إلا شعراء مقلون بعضهم مجيد في قصائد مفرده، ولكنهم لا يبلغون شأو هؤلاء الفحول [٢].

فهو يرى أن الشعراء قبيل الإسلام قد ساهموا بنصيب وافر في إيجاد الشعور القومي وتأصيل القيم الأخلاقية والاجتماعية لنشأة أمة متماسكة، والتمكين للغة العربية لتسود على لهجات العرب كلها وكأنما فرغ هؤلاء الفحول من تلك الرسالة الحضارية قبيل الإسلام، فانقضى جيلهم وظل المجتمع العربي بضع سنوات ينتظر رسالة من نوع جديد تحقق للعرب تلك الوحدة التي كانت كثيراً من مظاهر الحياة في الجزيرة العربية تنبئ بها، ويستخدم تلك اللغة التي مكن لها هؤلاء الشعراء في الأرض لكي تحمل قيمها الروحية والحضارية الجديدة.

المرحلة الانتقالية في شعر صدر الإسلام :

كان لا بد أن تمضي سنين أخرى في ظل الإسلام حتى ينشأ جيل جديد تربى

(١) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص٥٣.

(٢) د. عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، ص١٣.

في تلك البيئة الحضارية الجديدة، بعد أن تبلورت سماتها واستقرت قيمها وتجاوزت مرحلة الانتقال إلى مرحلة الأصالة".

إذن هناك مرحلة انتقل فيها الشعر من الجاهلية إلى الإسلام، وإذا نظرنا إلى عظم التحول الذي يحدث في الحياة العربية نجد أن المرحلة الانتقالية لم تستغرق وقتاً طويلاً؛ إذا ما قيس بعظم التحول، حيث أن الشعراء المخضرمين سرعان ما استوعبوا الحياة الجديدة، وتعرفوا أسلوب القرآن المعجز وتأثروا بالمعاني والأفكار التي جاء بها الإسلام، غير أن درجات التكيف قد تفاوتت بالنسبة للشعراء، فمنهم من دخل الإسلام فيهم وامتزج بنفوسهم ومشاعرهم، فتطابقت أفكارهم مع النظرة الإسلامية وتكيفوا مع الحياة الجديدة. كما هو الحال مع حسان بن ثابت.

ومنهم من دخلوا في الإسلام، غير أن الإسلام لم يدخل نفوسهم ولم يتعمق مشاعرهم، فظلوا على جاهليتهم يتأرجحون بين الأهواء المتعلقة في نفوسهم والحياة الجديدة التي لم يتكيفوا معها بالدرجة المطلوبة، فعبروا عن هذه الأهواء، كما نرى في شعر الحطيئة الذي مدح وهجا وتكسب بشعره مما لم يجعل لشعره في الإسلام اختلافاً عن شعره في الجاهلية فقد هجا الزبرقان وما كان من الزبرقان إلا أن شكاه لسيدنا عمر بن الخطاب فقال له " أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس "والله يا أمير المؤمنين ما هجيت ببيت قطّ أشدّ منه ويقصد قول الحطيئة فيه :

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــا واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[1]

(١) الحطيئة الديوان، برواية وشرح ابن السَّكيت ، دراسة وتبويب د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١ ، ١٩٩٣م،ص١١٩

فأرسل إلى حسان فسأله هل هجاه؟ فقال: "ما هجاه، ولكنه سلح عليه"[١] فأمر عمر بحبسه فاستعطفه الحطيئة بقصائد عدة إلاّ أنّ قلب عمر لم يلن له حتى قال أبياته المشهورة :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخٍ زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ[٢]

فأخرجه وعفا عنه واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم[٣]

فالحطيئة فيما يظهر لنا لم يتأثر بروح الإسلام وأسلوب القرآن، فظل شعره في الإسلام امتداداً لشعره في الجاهلية، فالشعراء اختلفوا في استجابتهم، فبعضهم كان بعيداً عن الحياة الجديدة فلم يعبر عن تجارب جديدة، وكان امتداداً للشعر الجاهلي برصيده ونماذجه. بينما شارك بعض الشعراء في الدعوة إلى الإسلام ونصرته، وعبروا عن الحياة الإسلامية الجديدة بفكرها وعلاقاتها وأخلاقها، وكان شعرهم خليطاً من الجاهلية والإسلام، لصعوبة التخلص من الآثار الجاهلية في مرحلة وجيزة.

موقف الرسول من الشعر و الشعراء :

فقد ورد في جمهرة أشعار العرب أن النبي لم يزل" يعجبه الشعر ،ويُمدَحُ به ، فيُثيب عليه ويقول:(هو ديوان العرب) وفي مصداق ذلك ما روى سُنيد بن محمد الأزدي عن ابن الأعرابي عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة ،عن أبيه ،عن جده

(١) ابن عبد ربه ،العقد الفريد، ج٢ دار الكتب العلمية ،ص ٣٣٥

(٢) الحطيئة، الديوان، برواية وشرح ابن السَّكيت ، دراسة وتبويب د. مفيد قميحة ، ص١٠٧.

(٣) المرجع السابق ،ص١١.

قال : قال رسول الله ﷺ "إنَّ من الشعر لحكمة ، وإنَّ منَ البيان لسحراً"[١] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ:"الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام ، و قبيحه كقبيح الكلام"[٢] . وفي كتاب العمدة، في باب الرد على من يكره الشعر:" روي عن النبي ﷺ أنه قال إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[٣] . لقد اتخذ الرسول ﷺ موقفاً من الشعر والشعراء ينسجم تمام الانسجام مع تعاليم القرآن، وقد سبق وذكرنا موقف القرآن من الشعر والشعراء آنفاً . ويُخيل لمن يتتبع رأي الرسول ﷺ في الشعر أنه وقف منه موقفين متناقضين:

١- فهو في **موقف ينعي على الشعر ويذمه**. ومن ذلك :" لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً فيريه خير من أن يمتلئ شعراً "[٤].وقوله :" لما نشأت بغضت إليّ الأوثان وبغض الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلاّ مرتين ،

(١) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب الأنصاري، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام،ج٢ ،تح:محمد علي الهاشمي، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٩٧٩م،ص١٤٦ .وانظر: صحيح البخاري ١٠: ص ٤٤٦،عن أبي بن كعب قال :قال رسول الله □ "إن من الشعر حكمة ، وفي صحيح البخاري أيضاً ١٠ : ص ٢٠٢ عن عبد الله بن عمر قال: قدم رجلان من المشرق، فخطبا ،فعجب الناس لبيانهما، فقال الرسول □ :" إن من البيان لسحراً".

(٢) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ج٢،ص،١٤٧ .

(٣) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبدالحميد،ج١، دار الجيل،ط٥، ١٩٨١م،ص٢٧.

(٤) أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ، ج٤، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط١، ١٩٩١م.(كتاب الشعر)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ □ : "لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ الرّجُلِ قَيْحاً يَرِيهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْراً.، ص ١٧٦٩.

فعصمني الله منها ، ثم لم أعد"[١].

٢- **الموقف الثاني** : أنه كان فيما وراء عمل الشعر وتعاطيه وإقامة وزنه يحب الشعر ويستنشده ويثيب عليه وهو القائل" إن من الشعر لحكمة"[٢] وقوله لحسان:" اهجوا قريشا فإنه أشد عليها من رشق النبل"[٣] وقوله له " إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله "[٤] **والسؤال هنا كيف لنا أن نوفق بين التناقض في هذين الموقفين كما يبدو للبعض؟**

الرسول ﷺ إذن يذم الشعر مرة ويمدحه مرة أخرى. أليس في ذلك تناقض؟ وإذا لم يكن فكيف نوفق بين الموقفين ؟. إن ظاهر القول وإن كان يشعر بالتناقض فإن الواقع ينفي هذا التناقض نفياً باتاً.

فالرسول ﷺ قد جاء داعياً العرب إلى الوحدة وجمع الكلمة والألفة والأخوة والمساواة فهو إذ يذم الشعر لا يذمه على إطلاقه وإنما يذم نوعا خاصا منه ، وهو ذلك الشعر الذي يباعد بين العرب ويمنع وحدتهم ويفرق كلمتهم ويذكي فيهم روح العصبية ومفاسدها. والرسول ﷺ إذ يمدح الشعر بقوله " إن من الشعر لحكمه " إنما يشير إلى الأشعار التي يغلب عليها التدين والدفاع عن الإسلام والانتصار للحق، والإشارة بالفضائل ،وهو إذ يسمع هذا اللون من الشعر ويثيب عليه إنما يشجع الشعراء على المضي فيه لاتفاقه وتعاليم الإسلام .

---

(١) تفسير القرطبي، سورة الشورى. وانظر التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي.الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤م.

(٢) سنن الترمذي ،كتاب الأدب، وانظر مسند الإمام أحمد، عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: (إن من الشعر حكمة).

(٣)ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر آدابه ونقده،ج١، باب الشعر، ص٣١.

(٤) المرجع السابق،ج١، ص٣١.

ولولا مدح الرسول لذلك الضرب من الشعر لماتت الرواية بعد الإسلام ولما وجد في الرواة من يجعل جهده وقصده حمل الشعر وروايته وتفسيره واستخراج الشاهد والمثل منه لفقدنا مصدراً من مصادر اللغة. من ذلك كله نرى ألا تناقض مطلقا في موقف الرسول من الشعر ، وأنه إنما ذم منه ما يتعارض وروح الإسلام، ومدح منه ما يتفق وتعاليم الإسلام ويعمل على نصرته .

موقف الخلفاء الراشدين من الشعر:

يرى الدكتور عبدالعزيز عتيق "أن الشعر قد ظل على عهد الرسول جاهليا وأن تأثره بالإسلام كان عرضيا في مجال ضيق. أمّا حاله في عصر الخلفاء الراشدين فلم يكن خيرا مما كان عليه في عصر الرسول. فالخلفاء الراشدون لم يشجعوا الشعراء على القول حتى ينهض الشعر ويتطور تبعا لذلك ، ولكنهم على العكس ، كانوا يشجعون من يعدل عنه إلى القرآن ويكافئونه"[١].

وأياً كان رأي الدكتور عتيق فهذا لا يعني أن تحمل تلك المعلومة على إطلاقها فالقصة التي نقلها من الأغاني التي ذكروا فيها أن عمر بن الخطاب بعث إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يقول له: "استنشد من قبلك من شعراء ما قالوا في الإسلام" فأرسل إلى الأغلب العجلي فقال له: أنشدني فقال :

أرجـــزا تريـــد أم قريضـــا أم هكـــذا بينهمـــا تعريضـــا

كلاهما أجيد مستريضا[٢]

ثم أرسل إلى لبيد بن ربيعة ، وكان قد أدرك الإسلام وهاجر إلى الكوفة في

(١) د. عبدالعزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م،ص٣٥.

(٢) د. نوري حمودي القيسي، شعراء أمويون ،مكتبة النهضة العربية ،ومكتبة عالم الكتب، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٥م، ،ص١٧٣. وانظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج١، دار الهلال ، (د.ت) ص١٠٥.

خلافة عمر بن الخطاب فقال له : (أنشدني ما قلته في الإسلام) فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال: (أبدلني الله هذا في الإسلام مكان الشعر). فكتب المغيرة بذلك إلى عمر فينقص من عطاء الأغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد"[١]. وربما أعطاه لأن لبيد لم يكن يقدر على التكسب بشعره لكبر سنه وليس لديه ما يعنيه على الحياة.

وإذا كان عمر قد شجع من يعدل عن الشعر إلى القرآن ، فإن ذلك لم يمنعه أن يحض المسلمين على أن يلقنوا أبناءهم أشهر الأمثال وأحسن الشعر وأعفه. فقد روي عنه:(روّوا أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر)، وقوله:(أرووا من الشعر أعفه).

وقد نهج الخلفاء الراشدون منهج الرسول في حث المسلمين على حفظ القرآن من ذلك أن غالبا أبا الفرزدق الشاعر جاء بابنه وهو صبي إلى علي بالبصرة بعد واقعة الجمل وقال له:" أن ابني هذا من شعراء مُضر فاسمع له فأجابه علي (علمه القرآن)[٢].

"وليس معنى ذلك أن الشعراء الذين خرجوا للجهاد في سبيل الله ونشر دينه لم ينفعلوا بأحداث تلك الوقائع والحروب وبمشاهداتهم الجديدة فيها"[٣] إن المتأمل في شعر عبد الله بن رواحه وأبناء الخنساء يجد أنهم رصدوا تلك الأحداث وما دار في تلك المعارك وأحداثها.

موقف الشعراء من الشعر:

(١) ديوان لبيد، شرح الطوسي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. حنا نصر، دار الكتاب العربي ، بيروت،ط١، ١٩٩٣م،ص١٥.

(٢) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر،ج١، ص٧.

(٣) د. عبدالعزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي، ص٣٧.

ولهذا نرى أن الشعراء قد وقفوا من الشعر عدة مواقف منها:

<u>الموقف الأول</u> : أن جماعة منهم ظلوا يقولون الشعر نُصرة للإسلام ودفاعا عن الرسل ويأتي في مقدمة هؤلاء الشعراء حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة .... وتفصيل ذلك أنه عندما اشتدت الخصومة بين الرسول وبين قريش راح شعراء قريش بإيعاز من زعمائهم وسادتهم يهجون الرسول ويحاربونه باللسان كما تحاربه قريش بالسنان.

الموقف الثاني: أن هناك شعراء انصرفوا عن قول الشعر وآثروا الصمت والانشغال بتعاليم الإسلام أمثال لبيد بن ربيعة كما أشرنا سابقاً.

الموقف الآخر هو أن شعراء ظلوا متأرجحين بين قول الشعر ساعة وساعة أخرى آثروا الصمت تحت الإرغام أولا والأمر الآخر هو عدم قدرتهم على السير وفق المنهج الجديد والقيم الإسلامية الجديدة في ظل المجتمع الإسلامي الجديد الذي ينشد المثل العليا والأخلاق الكريمة أمثال الحطيئة الذي جعل من غرض الهجاء والمديح بابا للتكسب دون مراعاة للمعاني الجديدة والتشريع الإسلامي حيث نجد الخليفة عمر بن الخطاب يشتري منه أعراض المسلمين مقابل الابتعاد عن قول الشعر في باب الهجاء.

❖❖❖

المبحث الثالث

موضوعات الشعر ومعانيه

السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل تأثر الشعر في عصر الرسول - ﷺ - بالإسلام؟ وإذا كان ذلك ففي أية ناحية؟

وللإجابة على ما سبق نقول : إن شعراء هذا العصر كانوا فريقين :

الفريق الأول: مشرك قد انحاز إلى أعداء الإسلام ووقفوا في صفوفهم يتهجمون على الرسول ويهجونه ويُحمِسون قَومهم ضده ، وينالون من دعوة الحق التي أرسل بها إلى الناس بشيراً ونذيراً وأولئك هم شعراء مكة والطائف وغيرهم ممن أصروا على كفرهم وشركهم وعنادهم .

الفريق الثاني: مسلم دعاهم النبي لنصرته بألسنتهم حينما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء فاستجابوا لدعوته ووقفوا في صفه يناضلون عنه بأشعارهم ويذودون عنه بألسنتهم وأولئك هم شعراء المدينة"[١] .

هذا التقسيم الذي ذكره الدكتور عتيق لا نختلف معه في كون فريق مشرك كافر – ومسلم مؤمن بقيم جديدة وإنما نختلف معه في كون المعاني والمضمون لدى الفريق الآخر المسلم أنه بقي على "صورته ومحتواه هجاء جاهليا"[٢] فإنه بلا شك أن القرآن جاء بلغة قريش وجمعهم عليها لكن تناول المسلم المؤمن اختلف عن السابق في المدح بالتقوى والإيمان والرشد والبُعد عن الضلال وإن هجا فيهجو بالكفر والنفاق والإعراض عن الله والإشراك به.

---

(١) د. عبدالعزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي،ص٢٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٢٩.

ثم يعود الدكتور عتيق فيقول : "إذا نظرنا فيما خلفه لنا **الفريق الأول**: فقد كانوا لا يزالون وثنيين جاهليين في روحهم وعاداتهم وتقاليدهم وتفكيرهم. فلا عجب إذن أن يكون شعرهم في تلك الفترة امتداداً للشعر الجاهلي في صورته ومجمل خصائصه"[١]. من يتأمل في شعر عبد الله بن الزبعرى قبل إسلامه حيث يقول يوم أحد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسَلْ
حين ألقَتْ بِقُبَاءٍ بركها واستحرَّ القتلُ في عَبْد الأشَلْ
فقتلنا النَّصفَ من سَادَاتِهم وَعَدلنَا مَيْلَ بدرٍ فاعتَدَلْ[٢]

فالصورة هنا جاهلية يفتخر الشاعر فيها بما يفتخر به الشاعر الجاهلي عادة عند الانتصار في الوقائع التي كانت تنشب بين القبائل.

وهذا أبو سفيان بن الحارث يهجو حسان بن ثابت فيقول :

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالكا
وأن أحق الناس ألاّ تلومه على اللؤم من ألقى أباه كذلكا[٣]

فهنا نعت لحسان وأبيه وخاله بالسوء، ثم نعت له ولأبيه باللؤم فهل هناك فارق بين هذه الصورة وأي صورة من صور الهجاء في الشعر الجاهلي ؟.

حقا كان من بين هؤلاء الشعراء شاعر كثير العجائب ذكر في شعره خلق

---

(١) ينظر : المرجع السابق، ص٢٧.
(٢) ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، تمهيد جوزف هل، ودراسة طه أحمد ابراهيم، دار الكتب العلمية،بيروت، ط٢، ١٩٨٨م،ص٩٣.
(٣) المرجع السابق، ص٩٧.

السموات والأرض، وذكر الملائكة ويوم القيامة والحياة الأخرى ودين الحنيفية وبعض الأنبياء كإبراهيم وإسماعيل ووصف الجنة والنار وحرم الخمر وشك في الأوثان والتمس الدين وطمع في النبوة، ولهذا عندما بعث النبي حسده وقال:" إنما كنت أرجو أن أكونه " فأنزل الله فيه ﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[١].

هذا الشاعر هو أمية بن أبي الصلت شاعر ثقيف وأحد شعراء الطائف أورد له الأصبهاني في كتابه الأغاني: أن النبي ﷺ أُنشد قول أمية بن أبي الصلت:

الحمدُ لله مُمْسانَا ومُصْبَحنا ... بالخير صَبَّحَنا ربي ومسَّانا
ربُّ الحَنِيفةِ لم تنفدْ خزائنها ... مملؤةً طبَقَ الآفاقِ سلطانا
ألا رسولٌ لنا منا فَيُخبِرَنا ... ما بعد غايتنا من رأس مجرانا [٢]
وقد عَلمنا لَو أنّ العلمَ يَنْفَعُنا ... أنْ سوفَ تَلحَق أخرانا بأولانا[٣]

فلما انتهى من سماعها النبي ﷺ قال :(إن كاد أمية ليُسلم)[٤]. فهذا اللون من الشعر الذي يبدو فيه شيء من التأمل والنظر الفلسفي على قلته يعزى إلى شاعر واحد من بين جملة الشعراء الذين ناصبوا النبي العداء ، ومن ثم يظل الطابع الذي غلب على شعر ذلك الفريق هو الطابع الجاهلي .... هذا إذا سلمنا

(١) سورة الأعراف/١٧٥.

(٢) يقول :إذا مات الإنسان لم تعرف مدّة إقامته إلى أن يُبْعَث ،فتمنى أن يبعث رسول من الأموات يخبر بحقيقة ذلك.

(٣) أمية بن أبي الصلت، الديوان، جمعه وحققه سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت،ط١ ، ١٩٩٨م ص١٣٥.

(٤) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني،ج٤ ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط١ ، ١٩٨٦، ص ١٣٦.

بصحة ذلك الشعر المنسوب إلى أمية بن أبي الصلت. ولما كان ذلك الشاعر قد ظل طول حياته عدواً للنبي فلا يعقل بحال أنه تأثر في تأملاته ونظراته السابقة بالإسلام"[١].

والواقع أن هذا الشعر وأمثاله منحول على أمية وأنه وضع على لسانه وضعاً من خصوم الإسلام ممن يزعمون أن محمداً تأثر في بعض تفكيره الديني بتفكير أمية. لا يمكن أن يقال إن الشعراء المشركين من خصوم محمد وأعدائه قد تأثروا في شعرهم بالإسلام ، ذلك لأنهم لم يؤمنوا بهذا الدين حتى يتأثروا بتعاليمه.

- **أما الفريق الثاني** : وأعني بهم شعراء المدينة، من أمثال حسان بن ثابت ،وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة ممن قاموا يناضلون عن الرسول بألسنتهم "فإن هجاءهم لقريش وشعرائها من أعداء الإسلام كان كذلك هجاء جاهليا في صورته ومحتواه من حيث أنهم يجردونهم من المكارم ويفخرون عليهم بالأنساب، ويستطيلون عليهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويسلبونهم خير ما يعتز به العربي من صفات، ويعيرونهم بالمثالب والهنات "[٢] .

إن الدكتور عتيق هنا يكاد يلغي أثر الإسلام في شعر هذا الفريق وكأن الشعراء حينئذ لم يمس الإسلام قلوبهم ولا نفوسهم مع تحولهم من الحياة الوثنية المادية إلى حياة الدين الحنيف الروحية، ومع تلاوتهم للقرآن الكريم وما يصور من عظمة الله وجلاله، ومع استئصال الإسلام لما كان في حياتهم من رذائل وآثام، ومع إحيائه لضمائرهم واستشعارهم مراقبة الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ذلك هو الهجاء الذي كانت تفهمه قريش وتخشاه وتتألم منه ولو أن شعراء

(١) د. عبدالعزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي، ص٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠.

الرسول عيروهم مثلا بعبادة الأصنام والأوثان لما وجدوا في ذلك اللون من الهجاء شيئا يخزون به أو يستحون منه ، فقد كانوا فعلا يعبدون الأصنام والأوثان ولا يرون في عبادتها عيباً أو حطا من قدرهم . وما كان لشعراء الرسول إذن أن يهجوهم بالكفر لأنهم كانوا يرون أن في تمسكهم بدين آبائهم غاية الفخر لهم .

فالقرآن في هجائه لا يمس الأعراض ولا يعتمد الجرح والسباب ولا يهدد بالإغارة والقتل وسفك الدماء ولا يعير بالأنساب والهزائم ، إنما يسلك مع الكفار والمنافقين أسلوب الوعيد وأسلوب المجابهة والمكاشفة بما هم عليه من صفات لا تليق بالإنسان .

فالكفار لهم عذاب أليم ، ولهم عذاب مهين ، وهم أصحاب الجحيم قال تعالى: :﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[1] **وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ففي ذلك كله وعيد بما سيؤول إليه حال الكافرين والمنافقين، وهنا كشف بعض صفاتهم وأخلاقهم .**

في حين نرى في شعر عبد الله بن رواحة أنه كان يعير قريشاً بالكفر وينعتهم به. ويقال إن شعر حسان وكعب كان أشد وقعاً على قريش قبل إسلامهم من شعر عبدالله بن رواحة فلما أسلموا وفهموا الإسلام على حقيقته كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى المدح لمعرفة مدى تأثره بالإسلام في عهد الرسول نستعرض هنا بعض نماذج منه توضح الأمر وتعين على الفصل في هذه القضية. هذا حسان بن ثابت يفاخر وفد بني تميم بقوم رسول الله :

---

(١) سورة النساء/٥٦.

إن الـذوائب مـن فهـر وإخـوتهم قـد بينـوا سـنناً للنـاس تتبـعُ
يرضى بها كل من كانت سريرته تقـوى الإلـه وبـالأمر الـذي شـرعوا
قـوم إذا حـاربوا ضـروا عـدوهم أو حـاولوا النفـع في أشـياعهم نفعـوا
إن كـان في النـاس سباقون بعـدهم فكـل سـبق لأدنـى سـبقهم تبـعُ
أعفـة ذكـرت في الحـي عفـتهم لا يطمعـون ولا يُـزري بهـم طمـعُ
لا يفخـرون إذا نـالوا عـدوهم وإن أصـيبوا فـلا خـور ولا فـزعُ[١]

ويقول النابغة الجعدي في مدح الرسول (ﷺ) :

تَبعـتُ رَسُـولَ اللهِ إذْ جَـاءَ بالهُـدى وَيَتْلُـو كِتَابـاً كـالمَجَرَّةِ نَيِّـرا
أُقِيمُ عَلَـى التَّقـوى وأرْضَـى بِفِعلِهَـا وَكُنـتُ مِـنَ النَّـارِ المخُوفَـةِ أوجـرا[٢]

ومن قصيدة لعبد الله بن الزبعرى بعد أن أسلم يمدح فيها الرسول ويعتذر عمّا كان منه قبل إسلامه من هجائه للرسول :

مَنَـعَ الرُّقـادَ بَلابـلٌ وهُمُـومٌ والليـلُ مُعْـتلجُ الـرُّواقِ بَهـيمُ
ممّـا أتـانيَ أنَّ أحمـدَ لامَنِـي فِيـهِ فبـتُّ كـأنَّنِي مَحمـومُ
يا خَير منْ حَمَلَت على أوصَالِها عَيْرانَـةٌ سُـرُحُ اليَـدَينِ رَسُـومُ
إنّـي لمعتـذرٌ إليـك مـن الـذي أسـدَيتُ إذ أنـا في الضَّـلالِ أهـيمُ
فاغفر فدىً لك والدَيّ كِلاهُما ذَنـبي فإنَّـك راحـمٌ مرحـومُ
وعليـك مـن أثـر المليـك علامـةٌ نـورٌ أضـاء وخـاتِمٌ مَختُـومُ

(١) حسان بن ثابت، الديوان، ج١، تح/ الدكتور وليد عرفات، دار صادر،بيروت،٢٠٠٦م ص١٠٢.
(٢) النابغة الجعدي، الديوان، جمعه وحققه د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت،ط١، ١٩٩٨م، ص٥٦.

مضتِ العداوةُ فانقضتْ أسبَابُها وَدَعَتْ أواصِرُ بَيْنَنَا وحُلومُ[١]

وإذا تدبرنا معاني المدح في النماذج السابقة وجدنا من هذه المعاني ما يتصل بمدح الرسول - ﷺ - بطريق مباشر ومنها ما يتصل به بطريق غير مباشر وأعني بذلك مدح قومه. فالرسول خير من حملته ناقته على ظهرها، والرسول سيف مسلول من سيوف الله وخاتم النبوة، جاء بالهدى والقرآن وألقى الله عليه من نوره، وإذا كان لابد من الدعاء له فليكن ذلك الدعاء بأن ينصره الله ويثبته تثبيت موسى.

أمّا قومه فسادةٌ من فهر شرعوا للناس – عن طريق الرسول طبعا – سننا يتبعها المؤمن وهم أجل الناس وأسبقهم في كل شيء وبهم يضرب المثل في العفة والبعد عن الطمع ، ومن صفاتهم : أنهم يضرون وينفعون : يضرون الأعداء وينفعون الأشياع ، ولا يزدهيهم الانتصار فيفتخروا به ، ولا يضعفون أو يفزعون أمام المصائب.

العصبية القبلية

من القضايا الشائكة في بداية الدعوة الإسلامية(العصبية القبلية)في مجتمع كان يؤمن بها إيماناً لا يخالطه الشك فيها قيد أنملة ولم يتخلص منها بعد.

ومن الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن هو **كيف عالج الإسلام العصبية القبلية؛ وكيف عمل على تذويبها؟ .**

سبق وأن أشرنا إلى أثر الإسلام في حياة العرب بصفة عامة ومنها الحياة الاجتماعية وقد رأينا تلك الآثار كيف ذابت تحت مظلة الإسلام. صحيح أنه كان لروح القبيلة، ومجد الآباء والأجداد تأثير عجيب مما جعل قبيلة قريش وقبائل

(١) ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء،ص٩٤. وانظر ديوان حسان بن ثابت،ص٢١٢- ٢١٣.

العرب تقف متجبرة متغطرسة أمام الحق الأبلج وصحيح أن قوة العصبية وسيطرتها على مجتمع الجاهلية التي تجلت لنا واضحة فيما ذكره دريد بن الصمة بقوله :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد[١]

ذكر ابن كثير عند تفسير الآية ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [٢]. أن أبا جهل وجماعة معه وفيهم الأخنس بن شريق، وأبو سفيان، استمعوا قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم في الليل، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا - أو تحاذينا - على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذا؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه[٣]. لكن ذلك أيضاً في المقابل لم يكن حجر عثرة في الدعوة إلى الله في فجر الإسلام بل كان مدعاة لإسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في السنة السادسة للبعثة والذي كان بسبب نصرة ابن الأخ أولاً، لأن أبا جهل اعتدى عليه.

كما ورد في السيرة النبوية أنه "مرّ أبو جهل برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه ونال منه، ورسول الله ساكت، فقام رسول الله ودخل المسجد وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها على الصفا تسمع ما يقول أبو جهل... فأخبرت حمزة ما

(١) دريد بن الصمة، الديوان، تح/د. عمر عبدالرسول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص٦٢

(٢) سورة الاسراء/٤٨

(٣) محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القلم بيروت لبنان مج٢،ط٥،(د.ت)ص٣٨١.

سمعت من أبي جهل، فغضب ودخل المسجد، وأبو جهل جالس في نادي قومه فقال لهم – الحمزة – : أتشتم ابن أخي وأنا على دينه؛ ثم ضربه بالقوس فشجه شجة منكرة، فثار رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، فعلمت قريش أن رسول الله قد عز وامتنع... فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[١].

إن قوة تأثير القرابة، وعصبية الدم كانت سبباً في حماية أبي طالب لرسول الله، ودعوته بني هاشم وبني المطلب لنصرته عليه الصلاة والسلام كانت من هذا القبيل فقد قال أبو طالب" أقبل يا بن أخي ، قال: فأقبل عليه رسول الله- ﷺ - فقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً"[٢].

إن الإسلام استفاد من رابطة القبيلة في نشر الدعوة، ولا مانع من استخدامها مظلة واقية ضد طغيان مجتمع متعصب له تقاليده. وشعر أبي طالب في قصيدته اللامية يبين مدى حمايته لرسول الله، ومدى قوة رابطة العصبية رغم الخلاف في المعتقد.

وقد صور أبو طالب فيها مدى قوة العصبية للقبيلة حين افتخر فيها بنسبه وابن أخيه، وهذه القصيدة هي من غُرر الشعر العربي المشهور، وعدّها ابن سلام أبرع ما قال أبو طالب من الشعر، ووصفها بأنها" صحيحة جيدة"[٣].

يقول أبو طالب في لاميته :

---

(١) الإمام أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي السُهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ج٢،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، د.ت، ، ص٧

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص٨

(٣) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء،السفر الأول قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، د.ت.ط، ص٢٤٥

خليليّ ما أُذني لأولِ عاذلِ ... بصغواء في حقٍّ ولا عند باطل
ولما رأيتُ القومَ لا وُدّ فيهم ... وقد قطعوا كلَّ العُرا والوسائلِ
وقد صارَحُونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمرَ العَدوِّ والمزايلِ
أعوذ برب الناس من كل طاعنٍ ... علينا بشرٍّ أو ملحٍّقِ باطلِ
وبالبيت رُكن البيت من بطن مكَّة ... وبالله إن الله ليس بغافلِ[١]

ومن العصبية والولاء للقبيلة ما حدث من حصار بني هاشم مؤمنهم وكافرهم في الشعب "وأن لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموهم للقتل"[٢] وقد لبثوا في شعب أبي طالب ثلاث سنين.

إن الإسلام حرم نصرة الظالم ففي الحديث الشريف:(عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ﷺ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال: رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنصره إذ كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟! قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره" [٣]. وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ- ﷺ - قَالَ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ[٤] .

لقد غير الإسلام تلك الروح العصبية، على ركن خالص لله تعالى ومبدأ

(١) أبو طالب، الديوان، صنعة أبي هفان المهزمي البصري وآخر، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص٧٠- ٧٢.
(٢) ابن جرير الطبري، صحيح تاريخ الطبري، تح/ محمد طاهر البرزنجي وآخر، دار ابن كثير دمشق- بيروت، ج٢، ط١ ،٢٠٠٧م، ص٣٦.
(٣) البخاري ،صحيح البخاري، كتاب المظالم - باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما.
(٤) الألباني، ضعيف الجامع حديث رقم : ٤٩٣٥ أخرجه أبو داود (٥١٢١).

من مبادئ الإسلام ألا وهو رابط العقيدة الذي يذيب كل الفوارق العنصرية والعصبية الجاهلية إذ بدأ بغرس رابطة الدين، ووشيجة العقيدة بعيدا عن وشيجة الدم والنسب، أو وشيجة الأرض والوطن، أو وشيجة القوم والعشيرة، أو وشيجة اللون واللغة ولا الحرفة والطبقة إنما بناها على وشيجة العقيدة التي هي أساس كل تغيير. ولعل أول ركن من أركان الإسلام أكد عليه الرسول- ﷺ- بعد بناء المسجد هو : **ركن الأخوة** : فقد سعى الإسلام جاهدا على توثيق عرى الأخوة بين المسلمين وإن الأخوة التي قامت بين المهاجرين والأنصار كانت دليلاً حاسماً على قيام دولة العقيدة ونشوء مجتمع قضى على رواسب العصبية الجاهلية.

لقد أسهم الشعر الإسلامي في ترسيخ هذا البنيان الضخم، حيث ألغى الإسلام العصبية ورابطة الجنس، وصار الشعر يتمثل هذه القيم الجديدة الكريمة... بعد أن كان سلاحاً يثير أحقاد القبائل. فالعباس بن مرداس يقاتل بني عمه مخالفاً هواه مطيعاً ربه ودينه حيث يقول:

ويومَ حُنين حينَ سارتْ هوازنٌ ... إلينا وضاقت بالنفوس الأضالعُ
نذود أخانا عن أخينا ولو نرى ... مطالاً لكنا الأقربين نُتابعُ
ولكن دين اللهِ دينَ محمد ... رضينا به فيه الهدى والشرائعُ
أقام به بعد الضلالةِ أمرنا ... وليس لأمرٍ حَمَّهُ اللهُ دافعُ[1]

وفي خطبة الوداع وضع المصطفى (ﷺ) أسس التجمع العقيدي الصحيح إذ قال:

(١) العباس بن مرداس، الديوان، جمعه وتح/ د.يحيى الجبوري،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط١، ١٩٩١م، ص١٠٨.
وانظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والسير، ج٢، تح/ د. محمد العيد الخطراوي وآخر، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ص٢٦٥.

(وكل دم في الجاهلية موضوع، وأول دم أضعه؛ دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لم تضلوا كتاب الله... وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟)، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.[١]

❖❖❖

(١) شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب،دار الكتب العلمية،ج١٧،ط١ ،٢٠٠٤م، ص٢٦٤.

الفصل الثاني

- الشعر في صدر الإسلام : أغراضه الشعرية.

- السمات الفنية والأساليب في شعر صدر الإسلام.

- نماذج من شعراء عصر صدر الإسلام.

المبحث الأول

الشعر وأغـراضه

١) الشعر:

ظل الشعر يتبوأ المنزلة الأولى في صدر الإسلام، كما كان شأنه في العصر الجاهلي، ولكن تطوراً جاداً ألمَّ به من حيث الأغراض والمعاني. فقد أوجد الإسلام أغراضاً جديدة كشعر الجهاد والفتوح والزهد والوعظ والشعر السياسي.

وتضاءل شأن طائفة من أغراض الشعر التي كانت سائدة في الجاهلية كالشعر القبلي القائم على العصبية القبلية والمتصل بالأيام والوقائع والمفاخرات والشعر المتصل بالغزو والغارات. فقد ألغى الإسلام دواعي الشعر القبلي حين وحد القبائل العربية في أمة واحدة، تسوس أمورها دولة واحدة، وانصرف شعراء الحواضر إلى أغراض تلائم بيئتهم المترفة فاتجهت طائفة منهم إلى الشعر الغزلي الذي بلغ الغاية من التألق والازدهار في عصر بني أمية، واتجهت طائفة أخرى إلى الشعر الديني والوعظي.

الأغراض الشعرية:

عندما جاء الإسلام وكثر أتباعه كانت تعاليمه تدعوهم للخضوع والانقياد للنظم والقوانين الشاملة ومن ثم انعكست الحياة الجديدة على الشعر والشعراء فأخلاقيات المجتمع والمبادئ غير ما ألفوه في العصر الجاهلي من الغزل المتهتك والخمريات والهجاء المقذع الفاحش ومن ثم برزت أغراض جديدة اتبعها الشعراء في ظل الإسلام فصوروا حياة الناس عذبة رقيقة (فلم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا وقد قال الشعر وتمثل به) وقد انتظمت تلك الأغراض كالآتي :

١- **الشعر الديني** : فقد كان أبرز الأغراض الجديدة حيث بدأ الشعراء

يتحدثون عن عقائد الدين ومثله العليا ويدعون إلى التمسك بها والتحلي بما تدعو له وهو لون جديد من الشعر لم يكن دين العرب من قبل الإسلام يستوعب أن يتحدثوا عنه بغرض شعري خاص. هذا الغرض تحدث فيه الشعراء عن وحدانية الله وعن الوحي والنبوة وعن عقيدة الخلق والحياة وعن الموت والبعث والحساب وعن الثواب والعقاب والحلال والحرام.

فحسان بن ثابت شاعر الرسول يأخذ معنى قول الله تعالى : ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ (١).

شَـــهِدتُ بـــإذنِ الله أنَّ مُحمَّـــداً ... رَسـولُ الـذي فـوق السّـمَوَات مِـنْ عَـلُ
وأنَّ أبَـا يَحْيَـى ويحيـى كِلاهُمَـا ... لَـــهُ عمـــلٌ في دِينِـــهِ مُتَـــقبّلُ
وأنَّ الـذي عَـادَى اليهـودُ ابـنَ مَـريمٍ ... رَسُولٌ أتى مِـنْ عِندِ ذي العـرش مُرْسَـلُ
وأنَّ أخـــا الأحقـــافِ إذ يَعْذُلُونَـــهُ ... يقـــوم بـــدين الله فِـــيهم فَيَعـــدِلُ(٢)

٢- **الوعظ والإرشاد** : احتاجت أوامر الدين ونواهيه إلى الحث على الالتزام بها وتنفيذها فنشأ لون جديد من الشعر هو شعر الوعظ والإرشاد وقد حاول شعراء صدر الإسلام الإفادة من فنهم الشعري لتحقيق هذه الغاية النبيلة التي دعا إليها القرآن بمثل قوله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٣). وتعد لامية أبي قيس صرمة بن أنس الأنصاري في طليعة تلك الأشعار فقد صاغ مثل الإسلام وكثيرا من مبادئه بأسلوب رفيع وتوجه بنصيحة

(١) سورة البقرة/٢٨٥

(٢) حسان بن ثابت، الديوان، شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ: عبد أ مهنا دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط٢، ١٩٩٤م، ص١٨٩

(٣) سورة النحل/١٢٥.

إلى أبنائه وهي طويلة نكتفي منها بقوله :

يـا بَـنيّ الأرحـامَ لا تَقطعوهـا وصـلُوها قَصـيرة مـن طِـوالِ
واتقـوا الله في ضـعاف اليَتَـامى ربمَـا يـُستحلُّ غـيرُ الحـلالِ
واعلَمـوا أن لليَتـيم وليًّـاً عالـمَا يَهتـدي بغـير السـؤالِ
ثـم مـالَ اليتـيم لا تـأكلوه إنَّ مـالَ اليتـيم يرعـاه والـي

إلى أن يقول:

واجمعوا أمرَكم على البرّ والتَّقْـ ـوى وترك الخَنا وأخذ الحلالِ[1]

ومع قلة شعر كعب بن زهير وضعف الروح الدينية فيه فقد وصلت إلينا مقطوعة له فيها دعوة مخلصة وموعظة حسنة لقومه حيث قال:

رحلـت إلى قـومي لأدعـو جلَّهـم إلى أمـر حـزمٍ أحكمتـه الجوامـعُ
ليوفـوا بمـا كـانوا عليـه تعاقـدوا بخيـف مِنـىً والله راءٍ وسـامعُ
سـأدعوهم جهـدي إلى البرِّ والتقى وأمـر العـلا مـا شـايعتني الأصـابعُ
فكونـوا جميعـاً مـا اسـتطعتم فإنَّـه سيلبسـكم ثـوبٌ مـن الله واسـعُ[2]

٣- **الوصايا** : من ألوان شعر الوعظ والإرشاد التي ازدهرت في عصر صدر الإسلام ما يسمى بـ(**الوصايا**) وهي الأشعار التي يتوجه الشعراء فيها بالنصح والإرشاد لأبنائهم

(١) الإمام أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي السُهيلي الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام،ج٢،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، د.ت، ص٣٦٢. وينظر ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج٢، ص٢٦٨.

(٢) كعب بن زهير ، الديوان، صنعه أبي سعيد السكري، شرح ودراسة، د. مفيد قميحة، دار الشّواف للطباعة والنشر، الرياض السعودية،ط١٩٨٩،١م،ص٣٧.

وذويهم في أواخر أيامهم أو قبل ذلك أحيانا يودعون فيها خلاصة تجاربهم وعصارة أفكارهم.

ولعل من أقدم ما وصل إلينا من الوصايا الإسلامية وصية أبي قيس بن الأسلت وهي وصية بليغة رائعة أودعها الشاعر خلاصة تجاربه وعصارة أفكاره وعقيدته بكل إخلاص وأمانة وهي تسير على هذا النحو:

يقول أبو قيس وأصبح ناصحاً ... ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
أوصيكم بالله والبر والتقى ... وأعراضكم والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم ... وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم ... فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن يأت غرم قادح فارفقوهم ... وما حملوكم في الملمات فاحملوا[1]

وهي طويلة تنهج هذه الوتيرة. وقد انتشر هذا اللون عند كثير من الشعراء مثل نابغة بني شيبان واسمه عبدالله بن مخارق الشيباني الذي وصلت إلينا إحدى وصاياه وهي لاميته الطويلة التي يقول فيها:

إنّ مَنْ يَرْكَبُ الفواحشَ سِرًّاً ... حين يَخلو بسرِّه غيرُ خالي
كيف يَخْلو وعنده كاتبَاه ... شاهداه وربُّه ذو الجَلال
فاتق الله ما استطعت وأحسن ... إن تقوى الإله خير الخلال[2]

(١) أبو قيس بن أبي الاسلت، الديوان،تح/حسن محمد باجوده، دار التراث القاهرة، ١٣٩١هـ،ص٨٢- ٨٣. وانظر: ابن عبد البر القرطبي ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب. دار الفكر للطباعة والنشر،١٩٩٣م، ص٤٤٠.

(٢) لويس شيخو، شعراء النصرانية بعد الإسلام القسم الناني شعراء الدولة الأموية ، مطبعة الكاثوليكية الآباء اليسوعيين، ١٩٣٤م ، ص١٥٤.

وهكذا استطاع شعر الوعظ والإرشاد ومنه أشعار الوصايا استيعاب المعاني والأفكار الإسلامية ونقل مضامين العصر الجديد ومفاهيمه إلى الآخرين.

٤- **الزهد** : ومما دعا إليه الإسلام الزهد في الحياة الدنيا ومتاعها الزائل وهذا لا يعني الرهبنة والانقطاع عن الدنيا لأن الإسلام يدعو إلى العمل والاعتدال في التمتع بما وهب الله من زخارف الحياة ومتاعها بلا إفراط أو تفريط. وقد انتشر في أرجاء الدولة الإسلامية عدد كبير من الوعاظ الزهاد الذين لا يفترون عن الدعوة إلى الزهد والابتعاد عن ملذات الدنيا ومتعها ويذكرون بالموت والآخرة مستلهمين آيات القرآن الكريم وسير خير الزهاد وقدوتهم محمد ﷺ وأحاديثه الشريفة، حيث يقول الشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة:

وما المال والأهلُونَ إلاّ ودائعٌ ... ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ
ألَيسَ ورائي إنْ تَراخَتْ منيَّتي ... لزوم العصا تُحْنَى عليها الأصابعُ
أُخبّرُ أخبار القرونِ التي مضتْ ... أدِبُّ كأني كُلَّما قُمتُ راكعُ
سَلوهُنَّ إن كذبتموني: متى الفتى ... يذوقُ المنايا، أو متى الغيثُ واقعُ[١]

ومن ألطف ما قيل في الزهد في الحياة والعزوف عن مباهجها، شعر قالته ميسون بنت بحدل الكليبية، وكان معاوية بن أبي سفيان تزوجها وحملها إلى دمشق، فحنّت إلى البادية، التي نشأت فيها فقالت هذه الأبيات السهلة ذات المسحة

(١) لبيد بن ربيعة، شرح الديوان، حققه وقدم له د. إحسان عباس، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء ،الكويت،١٩٦٢م، ص١٧٠

الزهدية وهي:

لَبيـــتٌ تَخْفـــقُ الأرواحُ فيـــه أحـــبُّ إلـــيَّ مـــن قصـــر مُنيـــفِ
ولـــبسُ عبـــاءةٍ وتقـــرَّ عـــيني أحـــبُّ إلـــيَّ مـــن لـــبسِ الشـــفوفِ
وأصـــواتُ الرّيـــاح بكـــل فـــج أحـــبُّ إلـــيَّ مـــن نقـــر الـــدُّفوف
وأكـل كُسـيرةٍ في كسـر بـيتي أحـبُّ إلـيَّ مـن أكـل الرغيـف [١]

٥- **شعر الفتوحات :** لقد حبب الله تعالى إلى المؤمنين الجهاد وزينه في قلوبهم وهناك الآيات الكثيرة الدالة على ذلك كما أكدت الأحاديث النبوية على أهميته فجعلته أفضل الأعمال بعد الإيمان فاندفع العرب في أقطار المعمورة فاتحين محررين لإعلاء رسالة الحق ونشر تعاليم الإسلام في أرجاء الدنيا بعد أن أمدهم الإسلام بطاقة روحية هائلة.

وقد ترددت المعاني الإسلامية الجديدة في أشعار أولئك المجاهدين المنطلقين في سبيل الله وتمثل أشعار أبناء الشاعرة الكبيرة الخنساء في معركة القادسية تلك الروح العالية التي كان يحملها المجاهدون وتجسد معاني البطولة، وتصور روح الفداء والتضحية في سبيل المبادئ الخيرة لقد حضرت الشاعرة (الخنساء) ومعها بنوها الأربعة فنصحتهم وحثتهم على القتال والإقدام فلما أضاء لهم الصبح بكروا وأولهم ينشد فيقول:

(١) د. يحيى الشامي، أروع ما قيل في الزهد ،دار الفكر العربي ،بيروت،ص٢٨. وانظر تاريخ الآداب العربية،تحقيق:علي عطوي،ط١، دار عزالدين ،بيروت،١٩٦٨،ص٣٤.

يـا إخـوتي إن العجـوز الناصـحة ... قـد نصـحتنا إذ دعتنـا البارحـة
مقالـة ذات بيـان واضـحة ... فبـاكروا الحـرب الضـروس الكالحة
وإنمـا تلقـون عنـد الصـائحة ... مـن آل ساسـان الكـلاب النابحـة
قـد أيقنـوا مـنكم بوقـع الجائحـة ... وأنـتم بـين حيـاة صـالحة

وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله ثم حمل الثاني وهو يقول:

إن العجـوز ذات حـزم وجلـد ... والنظـر الأوفـق والـرأي السـدد
قـد أمرتنـا بالسـداد والرشـد ... نصـيحة منهـا وبـرا بالولـد
فبـاكروا الحـرب حمـاة في العـدد ... إمـا لفـوز بـارد علـى الكبـد
أو ميتـة تـورثكم عـز الأبـد ... في جنـة الفـردوس والعيش الرغد

فقاتل حتى استشهد ثم حمل الثالث وهو يقول:

والله لا نعصـي العجـوز حرفـاً ... قـد أمرتنـا حـدباً وعطفـا
نصـحاً وبـراً صـادقاً ولطفـاً ... فبـادروا الحـرب الضـروس زحفـا
حتـى تلفـوا آل كسـرى لفـاً ... أو تكشفوهم عن حماكم كشفا
إنـا نـرى التقصير مـنكم ضـعفاً ... والقتـل فـيكم نجـدة وزلفـى

فقاتل حتى استشهد ثم حمل الرابع وهو يقول:

لسـت لخنسـاء ولا للأخـرم ... ولا لعمـرو ذي السـناء الأقـدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم ... مـاض علـى الهـول خضـم خضـرم
إمـا لفـوز عاجـل ومغـنم ... أو لوفـاة في السـبيل الأكـرم

فقاتل حتى استشهد فبلغ أمهم الخنساء الخبر فقالت:"الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته"[١].

وهناك أمثلة كُثر لهذا الغرض بث فيها الشعراء أناشيد الحماسة، فقد برز الشاعر جميل بن سعيد وعبد الله بن رواحة والمخبل السعدي وغيرهم كثر. ولعل عبد الله بن رواحة خير شاهد على ذلك حين توجه لغزو الروم في مؤتة ويودعه أصحابه قائلين: نسأل الله أن يردك سالما فيجيبهم بقوله:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حرَّان مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي ... يا أرشد الله من غازٍ وقد رشدا[٢]

٥- **شعر الشكوى** : في هذا الغرض نجد بعض الشعراء يرصدون مظاهر خروج الوالي على قاعدة الأمانة والنزاهة اللتين يفترض أن يتحلوا بهما فلم يسكت أولئك الشعراء على تلك التصرفات فنجدهم يغرون الخلفاء ويسألونهم أن يجردوا هؤلاء المسيئين من أموالهم أو يشاطروهم فيها وهم في كل ذلك يصدرون عن روح الإسلام وتعاليمه التي تؤكد الأمانة وتحث على النزاهة وعفة اليد واللسان. فهذا الشاعر يزيد بن الصعق يوجه شعره إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... على النأي أنّي قد وترت أبا جبر

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب في أسماء الأصحاب،مج٢،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت لبنان،٢٠٠٦م ص٥١٢.
(٢) عبدالله بن رواحة، الديوان،ص١٤٧.

كسرت على اليافوخ منه رحالة لنصر أمير المؤمنين وما يدري
على غير شيء غير أنّي سمعته بنى بنساء المسلمين بلا مهر[١]

❖❖❖

(١) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح/د. يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة،ط١، ٢٠٠٤م، ص٤٣١.

المبحث الثاني

السمات الفنية والأساليب في شعر صدر الإسلام

يرى الدكتور سامي العاني في كتابه (الإسلام والشعر) أنه ليس من الطبيعي أن يكون شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي على درجة واحدة من الالتصاق بعقيدتهم الإسلامية وانصهار وجدانهم بها. ومن هنا اختلفت تجاربهم حدة في الانفعال وقدرة على التعبير عن ذلك الانفعال فتفاوتت أشعارهم ومع ذلك فثمة سمات عامة يمكن أن يتميز بها شعر تلك الفترة نجملها في الآتي:.

١- ومن تلك السمات أن أشعارهم **كانت تعبيرا جماليا مؤثرا عن مواقف وتجارب وتصورات** أولئك الشعراء إزاء الكون والحياة والإنسان، فقد حاول الشعراء التوفيق بين جمال النص من ناحية وتأثيره من ناحية. ومع ذلك فقد شاع في أشعارهم ما نطلق عليه مصطلح الالتزام حيث اتخذ الشعر أداة لإصلاح المجتمع وخدمة العقيدة التي آمنوا بها.

٢- كما **تميز الشعر بالواقعية:** حيث كان الشعراء يعيشون حياة الناس وينقلون مشاعرهم وأحاسيسهم ويعبرون بصدق عما يعتمل في صدورهم ويجري بينهم وقت السلم وعند الحرب هذه هي السمات العامة ومن خلالها نلمح أثر الإسلام واضحا جليا وعندما يدقق الباحث ويُمعن النظر في كل الجوانب الفنية سيظهر له أن الشاعر في تلك الفترة استخدم القسم والدعاء والقصص والتكرار والاقتباس في الأفكار والأسلوب وبناء القصيدة والصور والأخيلة وأثر الثقافة في الشعر وفي الألفاظ والمعاني"[١].

(١) سامي العاني، الإسلام والشعر، مجلة عالم المعرفة سلسلة ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني

ونحن هنا سنقف عند عرض بعض الأساليب والتفصيل فيها مع الاقتضاب غير المخل بما يعطي فكرة عامة لأي باحث عنها ،وهي على النحو الآتي:

١- **القَسَمْ** : من الأساليب الإسلامية المتميزة التي استعان بها الشعراء في شعرهم وهو بذلك يحاكي أسلوب القرآن الكريم في عرض المفاهيم والحياة الإسلامية كالذي نراه في شعر أبي صخر الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر[١]

حيث نجده تأثر بقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾[٢].

ومنه أيضاً قول عبدالله رواحة حيث يقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ما لي أراك تكرهين الجنة؟
يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت[٣]

٢- **الدعاء:** كان من الأساليب ذات العناصر الإسلامية الجديدة فقد تفنن الشعراء الإسلاميون في أدعيتهم وابتهالاتهم الدينية فكانت ضروبا مختلفة منها توحيد الله والثناء عليه، ومنها سؤال الله العفو والمغفرة والرحمة تضرعا إليه

=

للثقافة والفنون والآداب- الكويت،١٩٩٦ مج٦٦،ص١٧٣

(١) د. نوري حمودي القيسي، شعراء امويون، دار عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية،ط١، ١٩٨٥م،ص١٣.

(٢) سورة النجم/٤٣- ٤٤

(٣) عبدالله بن رواحة ،الديوان،ص١٥٣

وخشيةً من عذابه كقول النعمان بن بشير الأنصاري :

رَبِّ إنّـي ظَلَمـتُ نَفسـي كَـثيراً فَـاِعفُ عَنّـي أَنـتَ الغَفـورُ الـوَدودُ
وَقِـني شَـرَّ مـا أَخـافُ فَـإنّي مـُشفِقٌ خـائِفٌ لِمـا تَسـتعِيدُ
مِـن خطـوبٍ إذا ذَكَـرتُ ذُنـوبي وَقَـرَأتُ القُـرآنَ فيـهِ الوَعيـدُ
يَـومَ نُـدعى إلى الحِسـابِ وَمَعنـا يَـومَ نَأتيـكَ سـائِقٌ وَشَـهيدُ
خَـيرُ ذُخـرٍ مَـعَ الـيَقينِ لِعَبـدٍ عَمَـلٌ صـالِحٌ وَقَـولٌ سَـديدُ[١]

٣- **القصص:** لقد استحوذ قصص القرآن على مشاعر الناس في مختلف العصور الإسلامية وشغفوا بأسلوبها الممتع الأخاذ وكان للقصاصين والوعاظ دور بارز في انتشار تلك القصص بين الناس بعد أن توسعوا فيها وأفادوا من الكتب السماوية الأخرى. لقد وجد الشعراء في قصص الأنبياء التي سردها القرآن كنزا يستمدون منه تشبيهاتهم ويلتمسون فيه الصور التي يرسمون فعندما يريد النابغة الجعدي أن يهجو رجلا لا يجد خيراً من الإشارة إلى قصة السامري وموسى التي منها قول موسى للسامري ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ﴾[٢] فحرم مخالطة الناس عقوبة له فقال النابغة الجعدي:

فأَصْـبَحَ في النَّـاس كالسَّـامرِيِّ إذْ قَـالَ مُوسَـى لَـهُ لاَ مِسَاسَـا[٣]

ولما أراد حسان بن ثابت هجاء صفوان بن أمية الذي كان قد أمر بنيه أن يدخلوا بيت رجل كان بينه وبنيه شيء ففعلوا فعمد حسان إلى المقارنة بين هذه

(١) النعمان بن بشير، الديوان، تح. د. يحيى الجبوري، دار القلم –الكويت ط٢ ،١٩٨٥م،ص٩١- ٩٢
(٢) سورة طه/٩٧.
(٣) النابغة الجعدي، الديوان، ص١٠١.

الوصية ووصية يعقوب بنيه التي قصها القرآن وشتان بينهما إذ وصى يعقوب بنيه وكما قال الله تعالى على لسان يعقوب (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ)[١] . وقال حسان بن ثابت:

والله مـــا أوصـــى أُميـــة بِكْـــرَهُ بوصـيةٍ أوصـى بهـا يعقُـوبُ[٢]

ويفصـل حسـان قصـة قرآنيـة في هجائـه شـاعر المشـركين بطريقـة أوضـح من الإشارات المقتضبة التي رأيناها في النموذج السابق فيقول:

يَكُـونُ إذا بَـثَّ الهجَـاءَ لقَوْمِـهِ وَلَاحَ شِهابٌ من سَنَا الحربِ وَاقِدُ
كأشْقَى ثمودٍ إذ تَعَاطَى لِحَينِهِ عَضِيلةَ أُمِّ السَّقبِ والسَّقبُ واردُ
فقال ألا فاستمتعوا في دياركُمُ فقد جَاءَكُمُ ذِكرٌ لَكُمُ وَمَوَاعِدُ
ثلَاثَةَ أيَّامٍ مِنَ الدَّهرِ لم يَكُنْ لَهُنَّ بِتَصدِيقِ الذي قَالَ رَائِدُ[٣]

٤- **التكرار:** إن التكرار سمة بارزة في الشعر الإسلامي وربما يعود هذا إلى تأثر الشعراء بالأسلوب القرآني الذي كثيرا ما اعتمد التكرار من أجل التقرير والتأكيد فالشعراء سلكوا هذا المذهب للتأكيد والإفهام والإقناع فحسان عندما يرثي الرسول يلجأ لهذا الأسلوب ويكرر في قوله:

فبُورِكتَ مولودًا وبُورِكتَ نَاشئًا وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب
وبـورك قـبر أنـت فيـه وبوركـت بـه ولـه أهـل لـذلك يثـرب[٤]

(١) سورة يوسف /٦٧

(٢) حسان بن ثابت، الديوان، تح/ وليد عرفات،ج١، دار صادر، د. رقم ،٢٠٠٦م،ص١٥١.

(٣) المرجع السابق،ج١، ص٧٧.

(٤) المرجع السابق،ج١، ص٦١.

فقد كرر كلمة (بورك) خمس مرات في هذين البيتين وعندما كان يفخر يسلك أسلوب التكرار أيضا فيكرر صدر البيت في قوله:

وَمِـنْ خَـيرِ حـيٍّ تَعْلَمُـونَ لِسـائِلٍ عفافـاً وَعَـانٍ مُوثَـقٍ في السلاسِـلِ
وَمِـنْ خَـيرِ حـيٍّ تَعْلَمُـونَ لِجـارِهم إذا اختارَهُم في الأَمْنِ أو في الزَّلازِلِ[1]

٥- **في جانب الأسلوب**: لقد فتح الإسلام آفاقا رحبة جديدة أمام الشعراء سواء كان ذلك في بناء القصيدة وتقاليدها أو الصور والأخيلة أو الألفاظ والتراكيب والمعاني:

أ- **بناء القصيدة وتقاليدها**: فقد تحرر معظم الشعراء من الالتزام بكثير من تقاليد الجاهلين في أشعارهم في الحديث عن الناقة والجمل والصحراء والرحلة. وتحرروا من المقدمات الطللية أو الغزلية التقليدية واستبدلوا بها مقدمات دينية لا سيما هذا الأمر في صدر الإسلام من أمثال عبدالله رواحة وكعب بن مالك وحسان.

ب- وقد برز أيضا **أسلوب النقاش والمناقشة والمناظرات** لدى الشعراء لاسيما عند ظهور الأحزاب السياسية وصراع الأفكار والمعتقدات وخاصة في العصر الأموي يقول حسان متصدياً لأبي سفيان وهو يدافع عن الرسالة المحمدية:

هجوتَ محمّداً فأجبت عنه وعنـــــد الله في ذاك الجـــــزاء
أتهجـوه ولسـت لـه بكـفءٍ فشـرُّكما لخير كما الفداء[2]

❖❖❖

(١) المرجع السابق،ج١،ص٨٩.

(٢) حسان بن ثابت، الديوان، تح. د. وليد عرفات،ج١،ص١٨.

المبحث الثالث

أعلام الشعراء في صدر الإسلام

لقد حفل عصر صدر الإسلام بعدد وافر من الشعراء، جلهم من المخضرمين ومن أشهرهم: الحطيئة العبسي، وحسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ ، والخنساء السلمية التي ظلت تبكي أخويها صخراً ومعاوية في الإسلام، صنيعها في الجاهلية، وأبو ذؤيب الهذلي الذي اشتهر بقصيدته العينية في رثاء بنيه، والشماخ بن ضرار، وكعب بن زهير، وكعب بن مالك الأنصاري وعبد الله بن رواحة وقد استشهد في وقعة مؤتة، وحميد بن ثور العامري، ومعن بن أوس المزني، والنابغة الجعدي.

ومنهم أيضاً عبدة بن الطيب التميمي، ومنهم أيضاً العباس بن مرداس السلمي، والمخبل السعدي، وأبو محجن الثقفي، والحارث بن الطفيل الدوسي الأزدي، وأبو الطمحان القيني.

نماذج من شعراء صدر الإسلام

١- حسان بن ثابت [١]:

أ- حياته وشعره: حسان بن ثابت بن المنذر من بني مالك بن النجار الخزرجي الأنصاري، ولد عام ٦٠ قبل الهجرة وتوفي عام ٥٤هـ. وهو شاعر الرسول ﷺ، واللسان المبين للدعوة الإسلامية، الذي خلّد مواقفها في غرر شعره، وأبلى بلاءً حميداً في المنافحة عن رسول الله- ﷺ- وهجاء أعدائه، حتى كانوا يستجيرون

(١) وقد عُمر حسّان عشرين ومائة سنة، ستين في الجاهلية ومثلها في الاسلام "

بالرسول عليه الصلاة والسلام من وقع هجائه ومضاء لسانه، وكان حسان أيضاً شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر أهل اليمن في الإسلام.

فلما اشتد هجاؤهم للرسول صلى ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، فقال رسول الله ﷺ:"كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ فقال حسان: يا رسول الله لأسلنك منهم كما تُسلّ الشعرة من العجين[١].وقد طلب منه الرسول ﷺ كما ذكر صاحب الاغاني" اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم"[٢] ثم (اهجهم وجبريل معك"[٣] ، وأكرمه ودعا له: أن يؤيده الله بروح القدس، ووعده الجنة جزاء منافحته عنه، ونصب له منبراً في المسجد الشريف ليلقي من فوقه شعره[٤]. وقوله ﷺ لعمر بن الخطاب(خلّ عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل)[٥]

وقد" اتفقت العرب على أن اشعر أهل المدر يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف وعلى أن أشعر أهل يثرب حسان بن ثابت"[٦]. وأنشد حسان بن ثابت الرسول(ﷺ) حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله:

هجوت محمّداً فأجبت عنه وعنـــد الله في ذاك الجـــزاء

(١) أبو الفرج الاصبهاني،ج٤، ص١٤٤

(٢) المرجع السابق،ج٤، ص١٤٥

(٣) البخاري، الصحيح ، ج٣ ، كتاب بدء الخلق، ص١٤٦.

(٤) ابن رشيق، العمدة،ج١، ص٢٨

(٥) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن الترمذي باختصار السند، المكتب الإسلامي بيروت، ج٢ ،ط١ ، ١٤٠٨هـ ص٣٧٤.

(٦) أبو الفرج الاصبهاني،ج٤، ص١٤٢- ١٤٣.

فقال له جزاؤك عند الله الجنة يا حسان، فلما قال:

فـإن أبـي ووالـده وعرضـي لعـرض محمـدٍ مـنكم وقـاء

قال له: وقاك الله حرَّ النار، فقضى له بالجنة مرتين في ساعة واحدة، وسبب ذلك شعره.[١]. وظل حسان بن ثابت رضي الله عنه ينشد الشعر في المسجد النبوي بعد موت الرسول ﷺ في خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم.

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ثم قال أرغاء كرغاء البكر؟ فقال حسان: دعني عنك يا عمر فو الله إنك لتعلم لقد كنت أنشد الشعر وفي هذا المسجد مَنْ هو خير منك، فما يغير عليَّ ذلك، فقال عمر صدقت"[٢] .ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله: أسمعت رسول الله ﷺيقول: « أجب عني، اللهم أيده بروح القدس» قال: اللهم نعم.

ب- **أغراضه الشعرية**: لقد تعددت أغراض حسان الشعرية فقال في المدح والهجاء والرثاء والفخر ونذكر من الرثاء قصيدته في رثاء النبي (ﷺ) قوله:

بطيبـــةَ رســـمٌ للرســـولِ ومعهـــدُ مـنيرٌ ، وقـد تعفـو الرسـومُ وتهمـدُ
ولا تمتحـي الآيـاتُ مـن دارِ حرمـةٍ بها منبرُ الهادي الذي كانَ يصعدُ

(١) ابن رشيق العمدة ج١،تح/محمد محي الدين عبد لحميد ، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م، ص٥٣.
(٢) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر،ج١ ،ص٢٨

ظللتُ بها أبكي الرسولَ، فأسعدتْ عيونٌ، ومثلاها منَ الجفنِ تسعدُ[١]

القصيدة الهمزية

(عفت ذات الأصابع) [٢]

مناسبة القصيدة: قال حسَّان بن ثابت هذه القصيدة قبل فتح مكة عندما قَدِمَ الرسول(ﷺ) والمسلمون إلى مكَّة يريدون العمرة في السنة السادسة للهجرة، ولم يكن في نيِّة المسلمين حربٌ أو قتال. ولكن المشركين اعترضوا سبيلهم ورفضوا أن يسمحوا لهم بدخول مكة هذا العام وأداء مناسك العمرة، وعقدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية الذي كان من شروطه أن يرجع المسلمون إلى المدينة من غير أن يعتمروا على أن يعودوا في العام القابل لأداء العمرة ... وفي هذه الفترة من عام الحديبية نظم حسَّان هذه القصيدة متوعداً المشركين بما ينتظرهم من مصيرٍ عندما يأذن الله بفتح مكة ويدخلها الرسول ظافراً.

على أن نفراً من الباحثين ذهبوا إلى أن القصيدة نظمت عند فتح مكة ودخول المسلمين بيت الله الحرام. وهذا الرأي تنقضه القصيدة التي تشير في بعض أبياتها إلى منع المشركين للمسلمين من دخول مكّة وأداء العمرة كما في قوله:

فإما تعرضوا عنّا اعتمرنا وكان الفتحُ وانكشف الغطاءُ
وإلا فاصبروا لجلاد يومٍ يعزُّ الله فيه من يشاء

(١) حسان بن ثابت، الديوان، تح/ وليد عرفات،ج٣، ص٤٥٥.

(٢) حسان بن ثابت ،الديوان، دار الكتب العلمية بيروت،١٩٩٤م،ص١٧.

وليس يعقل أن يقول حسّان هذا القول والمسلمون يرفعون عقائرهم بالتهليل والتكبير وهم يطوفون بالبيت العتيق، وما معنى قوله : اصبروا لجلاد يوم، وقد أنعم الله عليهم بالفتح الذي وصفه الله سبحانه وتعالى في سورة النصر: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾[١] والذي أصبح فيه أهل مكة طلقاء رسول الله ﷺ، فهذا قول يسبق دخول مكة ودخول الناس أفواجاً في دين الله القويم.

الشرح اللغوي[٢]: يحفظ من النص الشعري (خمسة أبيات)

١- عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

عفت: درست واندثرت وامحت. وهذا الفعل يكون لازماً كما في هذا البيت، ويكون متعدّياً فنقول: عفت الريحُ الديارَ بمعنى محتها ودرستها. ذات الأصابع والجواء.

وعذراء: أسماء مواضع بالشام، وكانت الجواء منزل الحارث بن أبي شمر الغساني، وعذراء قرية قريبة من دمشق تعرف الآن باسم (عذرا).

٢- ديار من بني الحسحاس قفرٌ تُعفّيها الروامسُ والسماء

بنو الحسحاس: بطنٌ من بني النَّجار جدود حسّان من جهة أمه، وقيل: قوم من بني أسد. **الروامس**: الرياح، من رمس بمعنى غطى ودفن، وسمِّيت بذلك لأنها تغطي آثار الديار وتدفنها وتعفيها بما تحمله من رمال. **السماء**: المطر. وذكر المطر هنا لما له من دور في محو آثار الديار وطمسها ودروسها.

٣- وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعمٌ وشاء

---

١) سورة النصر/١

(٢) اعتمدنا في الشرح اللغوي على الديوان.

النَعَم: بفتح النون والعين الإبل، ويطلق أيضاً على الغنم.

٤- فدع هذا، ولكن من لطيفٍ يؤرقني إذا ذهب العشاء

٥- لشعثاءَ التي قد تيّمته فليس لقلبه منها شفاء

(٥،٤)- **دع هذا**: ينكر الشاعر هنا على نفسه تماديها في الوقوف على تلك الأطلال لما تثيره في نفسه من أشجان، وتبعث من ذكريات حزينة. وهذا الاستخدام نجده كثيراً عند شعراء الجاهلية من مثل زهير والأعشى وغيرهما. ثم ينتقل إلى الحديث عن ذكرياته مع صاحبته شعثاء التي يؤرّقه طيفها كلما أراد أن يلمّ بالكرى، ويطرقه طيفها عندما يكون وحيداً، ويتمنى أن يجد من ينقذه من طيف تلك الحبيبة التي تيمته وأصابته بمرضٍ لا شفاء منه. **تيمته**: ولّهته واستعبدته.

٦- كأنّ سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسلٌ وماء

سبيئة: يروى بدلاً منها خبيئة وهي المخبوءة ويقصد المعتقة. والسبيئة هي المجلوبة من سبأ بمعنى جلب. **بيت رأس**: قرية في الأردن كانت مشهورة بالخمر وهي الآن تقع شمالي إربد.

٧- على أنيابها أو طعمَ غضٍّ من التفاح هصّره الجناء

على أنيابها: يقصد ريق صاحبته العذب. **هصّره**: أماله وهدّله على أغصانه. **الجناء**: الجنى، الثمر الناضج، وطعم: منصوب عطفاً على (سبيئة)اسم كأن في البيت السابق. والشاعر يصف هنا ريق صاحبته العذب حيث شبَّهه تارة بالخمر المعتقة تمزج بالماء والعسل، ومرة بالتفاح الناضج الشهي.

٨- إذا ما الأشربات ذكرن يوماً فهنَّ لطيّبِ الرّاح الفداء

الأشربات: جمع أشربة وهي جمع شراب. وهنا يفضَّل الخمر على سائر ألوان

الشراب.

٩- نوليها الملامة إن ألمنا إذا ما كان مغث أو لحاءُ

- **نوليها الملامة**: ننحي باللائمة عليها ونجعلها مسؤولة عن كل ما من شانه أن يستحقَّ اللوم من أفعالنا بسبب ما نحدثه من تصرفات غير لائقة تصدر عنّا سواء أكانت بالأيدي أم بالألسنة. **المغث**: التضارب بالأيدي. **اللحاء والملاحاة**: من لاحى: التشاتم والسباب والمنازعة.

١٠- ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

ينهنهنا: يزجرنا ويردعنا وينهانا ويكفنا. أي أن هذه الخمر عندما نشربها تجعلنا ملوكاً وشجعاناً كالأسود في اللقاء لا نخشى أحداً.

١١- عدمنا خيلنا، إن لم تروها تثير النقع، موعدها كداء

عدمنا خيلنا:دعاء بالفناء والموت، وهنا يدعو به الشاعر على خيل المسلمين إذا لم تحقق النصر المؤزَّر على الأعداء في الحرب. وهذا على سبيل تهديد المشركين وتوعدهم. **كداء**: موضع قريب من مكة.

١٢- يبارين الأسنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء

الأسنة: جمع سنان وهو نصل الرمح. **الأسل**: الرماح. **الظماء**: العطاش إلى دماء المشركين. وفي البيت صورة فنية رائعة تمثَّلت في هذا السباق الموهوم بين الخيل وبين الأسنة المشرعة على أكتافها وبين آذانها، لتغذَّ من سرعتها وتضاعف من شدّها كلما رأتها.

١٣- تظلّ جيادنا متمطرات تلطمهنّ بالخُمُر النساء

متمطّرات:يسبق بعضها بعضاً. الخمر: جمع خِمار وهو ما تغطّي به المرأة وجهها ورأسها. ويقصد هنا نساء المشركين عند انهزامهم أمام المسلمين وهنّ يخرجن محاولات ردّ خيول المسلمين بخمرهنّ، ومنعها من دخول مكة التي تركها المشركون منهزمين. ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد يوم فتح مكة نساء المشركين يلطمن خيل المسلمين بخمرهنّ، كما وصف حسّان، فتذكر هذه القصيدة وسأل أبا بكر رضي الله عنه أن ينشده هذه الأبيات.

١٤- فإما تعرضوا عنّا اعتمرنا وكان الفتح، وانكشف الغطاء

إما: إن الشرطية مدغمة في ما الزائدة، تعرضوا عنّا: تتنحّوا عن طريقنا ولا تبادرونا بالأذى لنؤدّي العمرة وهي زيارة البيت الحرام وما يتبعها من طواف بالكعبة وسعي بين الصفا والمروة. الفتح: النصر وهو دخول مكة وفتحها سلماً. انكشف الغطاء: ظهر الحق بانتصار المسلمين وانتشار الإسلام.

١٥- وإلا، فاصبروا لجلاد يومٍ يعزّ الله فيه من يشاء

إلاّ: إن الشرطية مدغمة في (لا) النافية، أي إن **تعرضوا عنّا**: تتنحّوا عن طريقنا لأداء العمرة فاصبروا على لقائنا واستعدُّوا لقتالٍ عنيف تدور فيه الدوائر عليكم. **الجلاد:** القتال والحرب والتضارب بالسيوف. يعزّ الله: يؤيد الله أولياءه وينصرهم ويمنعهم.

١٦- وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

روح القدس: جبريل عليه السلام، كفاء: نظير ومثيل وشبيه.

١٧- وقال الله: قد أرسلت عبداً يقولُ الحقَ إن نفع البلاء

أرسلت عبداً: هو محمد ﷺ وهو عبد الله ورسوله الأمين. **البلاء**: الاختبار والامتحان.

١٨- شهدت به، فقوموا صَدِّقوه!! فقلتم: لا نقوم ولا نشاء
١٩- وقال الله: قد يسَّرت جنداً هم الأنصار، عرضتها اللقاء

١٨، ١٩- يروى (وقومي صدقوه) بدلاً من (فقوموا صدقوه)، كما يروى (لا نحب) مكان (لا نقوم). **اللقاء**: الحرب والقتال: ويشير هنا إلى دور الأنصار في الإيمان بالدعوة الإسلامية وحماية الرسول ﷺ .

٢٠- لنا في كل يومٍ من معد سباب، أو قتالٌ، أو هجاء

معد: الجدُّ الأعلى لقريش وهو ابن عدنان الذي ينتهي إليه نسب العدنانيين أو العرب المستعربة. ويعني هنا قريشاً قوم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ينتمي إليهم، والذين رفضوا الإيمان بدعوته فجابههم الأنصار بألوان متعددة من الصِّراع بالأسنة والألسنة.

٢١- فنحكم بالقوافي مَن هجانا ونضرب حين تختلط الدماء

نحكم بالقوافي من هجانا: نمنعه من التعرُّض لنا والإساءة إلينا بما نقول من القصائد الرائعة الذائعة. وهو مشتقٌّ من الحكمة وهي اللِّجام، **تختلط الدماء**: كناية عن اشتداد المعركة واستعار الحرب وكثرة القتلى.

٢٢- ألا أبلغ أبا سفيان عنِّي فأنت مجوَّف نخب هواء

أبو سفيان: هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطَّلب ابن عم الرسول ﷺ، وكان يهجو الرسول والمسلمين قبل أن يُسلم، ثم أسلم قبل فتح مكة ومدح الرسول واعتذر عمّا بدر منه إبّان شركه. **مجوّف**: جبان. **نخب**: لا فؤاد له. **هواء**: خالٍ من العقل.

ويروى الشطر الثاني: (مغلغلة فقد برح الخفاء). **والمغلغلة** هي الرسالة تحمل من بلد إلى بلد آخر بسرعة، وهي مشتقّةٌ من غلغل: إذا أسرع. **برح الخفاء**: زال اللبس، وظهر الحقُّ وانكشف الغطاء.

٢٣- **بأنَّ سيوفنا تركتك عبداً وعبدُ الدَّار سادتها الإماء**

عبداً: ذليلاً. عبد الدار: بطنٌ من قريش. **الإماء**: النساء، جمع أمة. ويشير بسيادة النساء لبني عبد الدار إلى ما كان من مصرعهم رجلا بعد رجل يوم أُحد، حتى سقط اللواء من أيديهم فأخذته امرأة تدعى عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته واجتمعت عليه قريش بعد تفرُّقها.

٢٤- **هجوت محمّداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء**

يُشير هنا إلى مهاجاة أبي سفيان بن الحارث للرسول ﷺ ودفاع حسَّان عنه محتسباً أجره وجزاءه عند الله سبحانه.

٢٥- **أتهجوه ولست له بكفءٍ فشرُّكما لخير كما الفداء**

الاستفهام في البيت للتوبيخ والإنكار عليه هجاءه للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. شرُّكما: هو أبو سفيان. وخيركما: هو الرسول ﷺ.

٢٦- هجوت مباركاً براً حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء

مباركاً: موصوفاً بالبركة التي أودعها الله فيه. حنيفاً: مسلماً مائلاً عن الباطل إلى الحقِّ. وهنا يستعرض مجموعة من صفات الرسول الكريم المستمدة من أخلاقيات القرآن المجيد.

٢٧- فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحـــه، وينصـــره ســـواء
٢٨- فـإن أبـي ووالـده وعرضـي لعـــرض محمـــدٍ مـــنكم وقـــاء

٢٧، ٢٨- ينكر الشاعر في هذين البيتين على قريشٍ سفاهتها وتماديها في باطلها و في عداوتها للرسول ﷺ ، ويحضها على الإيمان به وحمايته ونصرته، ثم يقول: إذا أصررتم على موقفكم المعادي منه، فاعلموا أني أفديه بأبي وجدِّي وعرضي وشرفي لأنه أحبُّ إليّ من نفسي وأبي. وبطبيعة الحال فهو يقصدُ الأنصار جميعاً لأنه إنّما يتحدّث بلسانهم. ويروى (أمن يهجو) والاستفهام هنا كذلك للتوبيخ والإنكار.

٢٩- لساني صارمٌ لا عيبَ فيه وبحـــري لا تكـــدره الـــدلاء

وشاعرنا هنا يفتخر بشاعريته الجيّاشة المفلقة، حيث شبّه لسانه بالسيف القاطع في شدّة إيلامه وتأثيره في الأعداء، كما أنّه بحرٌ عميق لا تكدّر صفوه الدلاء. وتروي بعض المصادر بعد هذا البيت قوله:

٣٠- فسوف يجيبكم عني حُسامٌ يصـوغُ المحكمـات كمـا يشـاء

موضوعات النص: المتأمل في القصيدة يلحظ جملة من الأقسام وهي على النحو الآتي:١- المقدمة الطللية. ٢- التهديد. ٣- الفخر الجماعي.٤- الهجاء الشخصي والقبلي. ٥مديح الرسول (ﷺ). ٦- الفخر الشخصي.

الدراسة والتحليل[١]:

عرفنا فيما سلف من القولِ أن حسَّان بن ثابت نظم القصيدة للدِّفاع عن الرسول ﷺ وهِجاء أبي سفيان بن الحارث بن عبد المُطَّلب ابن عم الرسول، ولكنه لم يخلِصها لهذا الغرض، بل قدّم لها بمقدمة تصادم روح الدين الجديد طوّف فيها بين أخلاق الجاهلية ورواسمها الفنيَّة؛ وقد دفع هذا الأمر إلى محاولة تقسيم القصيدة إلى قسمين رئيسيين وعزو أحدهما إلى الجاهلية (١- ١٠) وعزو الآخر/ بقية القصيدة إلى الإسلام .

و يبرر أبو العلاء المعرِّي لوجود هذه المقدِّمة حيث يقولُ على لسان ابن القارح في حواره مع حسَّان:(ويحك! أما استحييت أن تذكر مثل هذا في مدحتك رسول الله ﷺ؟ فيقول: إنه كان أسجع خلقاً مما تظنُّون، ولم أقل إلا خيراً؛ ولم أذكر أنّني شربتُ خمراً، ولا ركبتُ مما حظرَ أمراً، وإنما وصفتُ ريقَ امرأةٍ يجوز أن يكون حلاّ لي، ويمكن أن أقوله على الظنِّ .. وما سمع بأكرم منه ﷺ لقد أفكتُ فجلدني مع مسطح، ثم وهب لي أخت ماريّة فولدت لي عبد الرحمن وهي خالة ولده إبراهيم)[٢].

وأهمية هذا الرّأي أنه صادر عن أديب واعٍ خبيرٍ بأساليب القول وطرائق النِّظم وطبيعة الإبداع الفنّي عند الشُّعراء قديماً وحديثاً!!

وإذا أردنا أن نُلقي نظرةً على بناء القصيدة فإننا نجدها احتوت عدداً من الأغراض، فقد افتتحها حسَّان بمقدمةٍ طللية سرعان ما انحرفت إلى الغزل

---

(١) اعتمدنا في التحليل على كتاب خليل أبو ذياب، أدب صدر الإسلام، دار عمار للنشر والتوزيع عمان الأردن،(د،ت).

(٢) أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تح/ بنت الشاطئ، دار المعارف،مصر،ط٥، ١٩٧٧م،ص٢٣٥ .

ووصف الحبيبة .. فقد جاءت المقدمة الطلليّة في الثلاثة الأبيات الأولى حيث ذكر فيها ديار صاحبته التي خلت منها ومن قومها في أعقاب رحيلهم، وما ألمّ بها من آثار الرِّياح والأمطار التي اعتادتها فصولاً متتابعة فعفت آثارها ومحت معالمها بعدما كانت عامرةً بأهلها تعجُّ بمظاهر الحياة والحركة، وتفيضُ بآثار الخصب والنَّماء!! ويبدو أن حديث الطلل أرهق حسَّان وآلم نفسه فاندلع يحضّها على الانفلات من ربقتها والتخلُّص من قيودها المرهقة عبر العبارة التقليدية للتخلُّص والنقلة من غرضٍ إلى آخر (فدع هذا)والتي تلقانا عند أغلب شعراءِ الجاهلية .

ولكن شاعرنا هنا وهو يُعلن ضيقه بوطأة الأطلال وثقلها على نفسه يتردّى في حمأة جديدة أشدُّ وطأة وهي حمأة العشق والصبابة والوجد والهوى والشوق التي لا يطيقها غير أُولي العزم بين العُشاق الذين لم يكن صاحبنا حسّان أحدهم، ولذا انطلق يؤكّد انهياره النَّفسي وتهافته الوجداني أمام غزو طيف صاحبته شعثاء الحسحاسية النجارية الذي اعتاد أن يطرقه بُعيد العشاء ومنذ الهزيع الأول من اللّيل، تلك الفاتنة التي تيمت عقله ولذعت فؤاده ومزقت نفسه بهجرها الطويل..

ويهربُ شاعرنا من وطأة الوجد وتباريح الصبابة إلى واحةٍ غنّاء يستروح هواءها الرّطب ونسيمها العليل، وتنضح وجهه بمائها البارد السلسبيل، ويستظلُّ بظلالها الوارفة الندية من خلال الصورة أو اللّوحة الباذخة التي يرسمها بنفسيته وأحاسيسه لثغر صاحبته وريقها العذب الذي يستعيرُ له صورة الخمرة الممزوجة بالعسل والماء:

كـأنّ سـبيئة مـن بيـت رأس يكـون مزاجهـا عسـلٌ ومـاء

كما يستعيرُ لها صورة التفاح الغضّ الطَّريِّ:

على أنيابها أو طعمَ غضٍّ من التفاح هصّره الجناء

مستطرداً إلى وصف الخمر ومعاقرتهم لها وآثارها في نفوسهم في حالي السُّكر والنَّشوة والصحو:

نوليها الملامة إن ألمنا إذا ما كان مغث أو لحاءُ
ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

حتى إذا بلغَ هذا الحدّ وأربى على هذه الغاية الجاهلية انبرى يواجه خصومه – خصوم الرسول صلى الله عليه وسلم، مشركي قريش مستحضراً ميراث العداوة الطويلة ليقذفهم بهذا التهديد الساخن والوعيد الشديد بغزوٍ وشيك تقتحم الخيل عليهم فيه ديارهم وتبدِّد شملهم، ولا تجد سوى نساء المشركين في محاولة يائسةٍ لإعاقة تقدُّمها واندفاعها بخمرهنّ وقد حسرنَ عن وجوههنَّ، وكشفنَ رؤوسهنَّ لهول الواقعة.

وهنا يفضي إلى خصومه بمطالب المسلمين، وهي مطالب لا عنتَ فيها ولا إسراف، فهي ليست أكثر من فتح أبواب مكة لهم لأداء مناسك العُمرة كغيرهم من حجّاج البيت وزوّار الحرم الذين كانوا يجدون من قريشٍ كل رعاية وإكرام على طول تاريخهم المجيد كما تشهدُ بذلك الرِّفادة والسقاية والسَّدانة.. أما إذا ركبت قريشٌ رأسها وتمادت في عنادها وأبت على المسلمين حقَّهم المشروع الذي قرّره صُلح الحديبية فليرتقبوا ما أعدّوا لهم من بطش وخسفٍ وقهرٍ منتصرين بالله، معتزِّين بالإسلام:

فإمّا تعرضوا عنّا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلاّ فاصبروا لجلاد يومٍ يعزُّ الله فيه من يشاء

وتنساب المعاني الإسلامية وتتقاطر في هذا القسم الذي أعدّه للحديث عن

الرسول ﷺ والدفاع عنه وهجاءِ خصمه أبي سفيان والإشادة بمواقف قومه من نصرته وحمايته ومنعته، حيث يبدأ بالفخر بقومه الأنصار الذين يسَّرهم الله للدفاع عن دينه الجديد، وقيضهم لنصرة رسوله الكريم؛ ويمضي في ملحمة فخرية طويلة يحشد فيها طرفاً من مفاخرهم ومآثرهم في حالي السلم والحرب وفي التقاتل بالسيوف والتهاجي بالشِّعر على نحو ما يقول:

وقال الله قد يسّرت جنداً ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كلِّ يومٍ من معدّ ... قتالٌ أو سبابٌ أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا ... ونضربُ حين تختلط الدِّماء

ثم يعرج على الرسالة العظيمة التي أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ وتأييده بجبريل أمين الوحي مفتخراً بإيمان قومه به داعياً المشركين إلى الإيمان به وتصديقه، ملزماً إيَّاهم بالحجَّة البالغة والبرهان القاطع لو كانوا يعقلون:

وقال الله قد أرسلتُ عبداً ... يقول الحقَّ إن نفعَ البلاء
شهدتُ به فقوموا صدّقوه ... فقلتم لا نقوم ولا نشاءُ
وجبريل أمين الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء

ويخلص إلى خصمه وخصم الرسول صلى الله عليه وسلم شاعر قريش أبي سفيان بن المغيرة بن الحارث ليقذف في وجهه بتهديده ووعيده، ويرجمه بحجارة هجائه المقذع، ويسلقه بألسنة حداد من سخريته اللاذعة حيث يحشد طائفة من الصفات المقذعة مستخفاً بموقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم هجاءً ومدحاً وانتصاراً وتأييداً ما دام الأنصار من ورائه ومن أمامه بسيوفهم وألسنتهم يدافعون عنه ويحمونه لا يرجون غير الجزاء العظيم، ولا يطلبون سوى الثواب الجزيل من الله سبحانه .. ثم يلتفت إلى خصمه مقرّعاً ومبكتاً على ما بدر من هجائه وتعريضه بالرسول صلى الله عليه وسلم مما لا يليقُ بصفاته الجليلة

وخلاله الحميدة التي تعرفها قريش حقّ المعرفة وتعلمها أكثر من غيرها، من خيرٍ وبرٍّ وتُقى وصِدق وأمانة ووفاء مما لا يتوافر شيءٌ يسيرٌ منه لغيره من فضلاء الناس فضلاً عن المهجوّ الذي لم يكن ولن يكون كفؤاً وعدلاً له حتى في أقلّ صفاته، ولذا جاء الاستفهام ينطوي على قدرٍ كبير من السخرية اللاذعة والتهكّم المرير في قوله:

أتهجــوه ولســت لــه بكــفءٍ فشـرّكما لخيرِكمـا الفـداءُ

ومن هنا جاء التذييل لهذه الحوارية الحادة بتأكيد تفاهة مواقف المشركين من الرسول صلى الله عليه وسلم مدحاً وهجواً ونصرةً ما دام الشاعر وذووه يقفون من ورائه ينصرونه بكل ما يطيقون:

فمـن يهجـو رسـول الله مـنكم ويمدحـــه وينصـــره ســـواءُ
فــإن أبـــي ووالـــده وعِرضـــي لعـــرضِ محمـــدٍ مـــنكم وقـــاءُ
لســاني صــارمٌ لا عيــبَ فيــه وبحـــري لا تُكـــدّره الـــدلاءُ

وإذا نظرنا إلى القصيدة نظرةً بنائيةً تبحث في بنيتها الفنية والفكرية وتلاحم أجزائها وترابط موضوعاتها وأفكارها فإننا نستطيع أن نؤكد استواءها على منهج القصيدة الجاهلية التي تتعدّد أغراضها وتتناثر أفكارها ولا تكاد تنتظم إلاّ بمحاولات واسعة من الاعتساف والتكلُّف .. ولذا نُعلن منذ البدء عن تمزُّق وحدتها الموضوعية فضلاً عن العضوية بصرف النّظر عن الروايات المتعددة التي حظيت بها القصيدة واكتفاءً بالصورة التي أثبتناها.

ولعلَّنا لا نبعد إذا قلنا إن المقدمة الجاهلية الروح للقصيدة بغرضيها: الطَّلل والغزل وما خالطها من وصفِ الخمر وأثر معاقرتها في نفوسهم قد جاءت متساوقة مترابطة ترابطاً دقيقاً لا نكاد نجد بين أبياتها عوجاً ولا أمتاً، ولا نحس بينها انفراجاً حاداً يشوّه وحدتها أو يفسد بناءها، فقد التحمت أبيات الطّلل

الثلاثة حتى إذا رغب في الخروج من أطلالِ ديار صاحبته التي أورثته غمّاً شديداً وحزناً مقيماً توسّل إلى ذلك بعبارةٍ تقليدية شاعت في الشعر الجاهلي شيوعاً واسعاً ليربط بين وصف الأطلال ووصف صاحبته التي تيمته:

فدع هذا، ولكن من لطيفٍ يؤرّقني إذا ذهب العشاء
لشعثاء التي قد تيّمته فليس لقلبه منها شفاءُ

ثم مضى يرسم لفتاته لوحة فاتنة يُجسِّد فيها طرفاً من مظاهرها الجمالية الآسرة لتبرير عشقه لها وعنائه في حبّها، فجاءت لوحة الرِّيق الذي استعار له صورة الخمر الممزوجة بالعسل والماء تارةً وحيناً صورة التفّاح الغضّ الطري التي جاءت معترضة بين الصورة الأولى وبين عناصرها التي انبرى يستكملها من بعد مستعرضاً بعض آثارها في نفوس الشاربين خيراً وشرّاً، مدحاً وذماً ..

وواضح أن التلاحم بين هذه الأبيات وثيق، وتخلصه تخلص مبرّر مألوف لا مأخذ عليه ولا انتقاد. حتى إذا كان الغرضُ الثاني في القصيدة ألفينا انقطاعاً حادّاً وانفصاماً كاملاً بينه وبين المقدِّمة. ولعلَّ هذا الأمر هو الذي دفع (العدوي) إلى زعمه نظم حسّان للمقدّمة في الجاهلية ثم وصلها بالغرض الثاني في الإسلام، متناسياً طبيعة بناء القصيدة القديمة ومحاولات الشعراء المتباينة في تحقيق التخلُّص أو الخروج المناسب فيما بين أغراضها المتعددة عندما يوفقون تارات في ذلك، ويخفقون تارات أخرى .

على أنه إذا كان القسم الأول يمتاز بالترابط الدقيق فإن القسم الثاني يحظى بقدر كبير من التفكك والتفسُّخ الذي يجعل الأبيات تتناثر كأنها قيلت في أوقات متباعدة وجمعت على عواهنها بدون تدخّل من الشّاعر.. فقد جاءت الأبيات الخمسة الأولى متساوقة مترابطة تدور حول تهديد المشركين

بحربٍ مفاجئة تمزق شملهم، وتحذيرهم من مغبة عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، وتدعوهم لفتح أبواب مكّة أمام المسلمين لأداء شعائر العمرة.

وواضحٌ أن الأبيات تتناول فكرة واحدة محددة ولكنه سرعان ما ينفلت من أسارها ليتحدَّث عن قضية أخرى من قضايا الدعوة الإسلامية، حيث تحدّث عن جبريل ودوره في الدعوة، ثم ذكر إخبار الله عن نبوّة محمد ﷺ ودعوته التي تنطوي على الخير والحقِّ والهدى، وأعقبه بإعلان موقفه/ الشاعر/ من هذه الدعوة وذلك الرسول ودعوته المشركين للإيمان به كما آمن هو وقومه، ثم يشيد بدور الأنصار في تأييد الإسلام ، ويستطرد مفتخراً بقومه وتفوقهم على أعدائهم في معارك السِّلاح والهجاء .. حتى إذا فرغ من هذه الأشتات المتناثرات اندفع يهدّد خصمه أبا سفيان ويهجوه هجاءً مرّاً مقذعاً معلناً دفاعه عن الرسول ﷺ، وإجابته على هجائه له وتحقير شأنه مقابل تعظيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما يتّصف به من أخلاقية مثالية سامقة، مستخفاً كذلك بمواقف المشركين من الرسول مدحاً وذمّاً ونصراً ما دام الأنصار وفي طليعتهم الشاعر ووالده يدعمونه ويؤيدونه ويسندونه... ويجدها مناسبة ليختم قصيدته بافتخاره الواسع بشاعريته الفذة وعبقريته المبدعة التي لا يشقّ لها غبار.

وإذا تأمّلنا هذه الأبيات التي دار عليها الغرض الثاني فإنه يمكننا أن نتحسس ظلاً للروابط التي تربط بين بعض الأبيات خاصَّة إذا كانت تدورُ في فلك المهاجاة لأبي سفيان وهي الأبيات الخمسة الأخيرة (٢٤- ٢٨)، في حين جاء البيتان ٢٢- ٢٣ منفصلين عن السياق ويدوران حول فكرة واحدة هي تهديده وهجاؤه له، كما جاء البيت الأخير من القصيدة ختاماً لا يرتبط بما سبقه إلا بواشجة واهية من خلال استمرارية الحديث عن الشاعر وفخره بمواقفه من الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها شاعريته .

ويلاحظ أن الشّاعر كان أحياناً يُوثق الرَّبط بين بعض أبياته من خلال ما

يُعرف بالتضمين، حيث كان يصلح في جانب ويفسد في جانب آخر بسبب سوءِ رأي النقَّاد والبلاغيين القدماء في التضمين الذي عدّوه من عيوب القوافي خلافاً للمعاصرين الذين ارتأوا فيه ضرباً من دقة النَّسج ووثاقة الرَّبط بين الأبيات .

وقد جاء ذلك مرّتين في القصيدة: في وصف رضاب صاحبته إذ يقول:

كأنّ سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسلٌ وماءُ
على أنيابها، أو طعمَ غضّ من التُّفّاحِ هصّره الجناء

والآخر في قوله مهدّداً المشركين ومتوعداً:

فإمَّا تعرضوا عنّا اعتمرنا وكان الفتحُ وانكشف الغطاءُ
وإلاّ فاصبروا لجلادِ يومٍ يُعزُّ اللهُ فيه من يشاء

- **اللغة الشعرية في القصيدة:** ومن خلال تأملي في المعجم الشعري عند الشاعر نجد فيها تطوراً ملحوظا من حيث المفردات والأساليب والمعاني.

حيث نلاحظ من البيت ١ إلى البيت ١٠: سيطرة المعجم الجاهلي والتقاليد الفنية لبناء القصيدة الجاهلية. ومن البيت ١١ إلى بيت ٣٢ :سيطرة الخطابية سيطرة المعجم الإسلامي. وعدد المفردات ١٨ مفردة في ١٠ أبيات ، وهي : اعتمرنا والفتح في البيت ١٤ ، ويعز الله من يشاء في البيت ١٥ ، وجبريل رسول الله ، وروح القدس ، في البيت ١٦ ، و الله وأرسلت عبدا ، ويقول الحق ، في البيت ١٧ ، وشهدت به ، وصدقوه ، في البيت ١٨ والله ، ويسرت جندا ،في البيت ١٩ ، و محمد ، والله ، والجزاء ، في البيت ٢٤ ، وأمين الله ، في البيت ٢٦ ، ورسول الله في البيت ٢٧ ، ومحمد في البيت ٢٨.

فالشاعر استخدم أسلوب التهديد الذي يتماشى مع الظروف الحرجة التي كان يمر بها المسلمون، ويتمثل هذا بكثرة إيراده لمفردات الحرب والسلاح وما يتعلق بهما مثل الألفاظ (عدمنا خيلنا_ النقع: وهو الغبار المتعلق بالخيل وإثارتها للغبار

بسنابكها- الأعنة- الجياد- جلاد- جندٌ اللقاء- قتال- الدماء سيوفنا- قتلهم – نصروا).

كما اعتمد أسلوب الخطاب الجماعي أو الفردي ممثلاً بأبي سفيان وهذه الخطابية سمة من سمات شعر الدعوة لأنه أسلوب من أساليب الحماس الذي تثيره القصيدة لاحظ هذه الألفاظ:(تروها- فإمّا تعرضوا- وإلاّ فاصبروا- فقلتم لا نقوم- ألا أبلغ.. فأنت –هجوت- أتهجوه).

وهناك تطور آخر في لغة القصيدة يتمثل باستخدام الشاعر لغة الجماعة في الفخر، وإذا كان هذا الاستخدام موجودا من قبل فإن حسان بن ثابت لا يعني به هنا جماعة القبيلة، وإنما جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين، وهو يستخدمها حتى في وصف الخيول، والتهديد بها بخيل المسلمين:(عدمنا خيلنا- يبارين- تظل جيادنا) كما استخدم ضمير الجماعة تعبيرا عن الروح الجماعية الجديدة التي أوجدها الإسلام للأمة مثل قوله: رسول الله فينا- لنا في كل يوم- فنحكم بالقوافي) ولا يستخدم لغة المفرد إلاّ في الأبيات التي تخصه هو لكونه شاعراً:(هجوت...فأجبتُ) أو فخره بأنه سيدافع عن الرسول ﷺ بعرضه ولسانه:(فإن أبي ووالده وعرضي) أو إعلانه بقوة أشعاره التي سخرها لخدمة الدعوة الإسلامية:(لساني...وبحري).

وإذا نظرنا إلى القصيدة من زاوية جمالية ألفينا لغة الشاعر تميل إلى البساطة والسهولة وتنأى عن الإغراب والتعقيد والغموض، حيث خلت خلوّاً يكاد يكون تاماً من غريب الألفاظ ووحشيها؛ بل إن ظاهرة السهولة اللغوية تكاد تميّز شعر حسّان كله في الجاهلية والإسلام على السواء، خلافاً لكثير من الشُّعراء الذين اشتهروا بالإغراب.. ولذا لا نكاد نقع إلاّ على ألفاظٍ يسيرةٍ محدودة شابتها الغرابة تساقطت في القصيدة من مثل (مغث) ، وتعني التحارب والتناوش بالأيدي أو القتال عامة، ومن ذلك (كشع) في رواية أخرى لـ (ذهب العشاء) بمعنى قرب

أو دنا ... ولا نكاد نجدُ وراء ذينك اللفظين شيئاً يستوقف القارئ لما شابه وخالطه من شوائب الغرابة والغموض، بل تنساب ألفاظ القصيدة وأبياتها انسياباً هيّناً ليّناً دمثاً في كلّ أغراضها وأفكارها..

وهذه السهولة بطبيعة الحال التي تلقانا في شعر حسّان وفي هذه القصيدة ليس للإسلام دخلٌ أو تأثيرٌ فيها، وإنما هي سمةٌ بارزةٌ تميّز شعر حسّان الجاهلي والإسلامي على السَّواء، بل إن عنايته بما كان الشُّعراء الجاهليون أو أغلبهم يعنون به من وصف الناقة أو الرحلة، وهما مظنّة الغرابة أو الإغراب اللغوي كانت محدودة جداً قياساً إلى غيره، ومن هنا كانت قصائده الفخرية والمدحية تسيطر عليها السهولة اللُّغوية ولا يشيع فيها الغموض، حتى ما يلقانا في بعضها من الجزالة والفخامة والقوّة والفحولة كان يعودُ إلى المعاني والأفكار وليس إلى البناء اللّغوي الذي يستعين بالألفاظ النادرة الاستعمال أو الحوشية على نحو ما نجد في قوله المشهور، برغم ما خالطه من نقد ذائع مشهور:

لنا الجَفناتُ الغرّ يلمعن بالضُّحى وأسيافُنا يقطرن من نجدةٍ دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرّق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما[1]

فأنت تحسّ برغم جزالتهما سهولةً ووضوحاً في الألفاظ والمعاني .. ومن هنا لم يكن شاعرنا حسّان بن ثابت من شعراء الغريب الذين يحرصون على إشاعته، ويفرطون في استخدامه في شعرهم.

أما **الصُّورة الشِّعرية أو البيانية**، فقد حظيت القصيدة بعدة لوحات منها أبدع حسَّان في رسمها وتوزيع خطوطها وظلالها وألوانها مما يشهدُ بعبقريته وطاقاته الشعرية المبدعة .

(١) حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط٢، ١٩٩٤م،ص٢١٩.

ولعلَّ أبدع لوحاته تلك التي رسمها لريق صاحبته مستعيراً له صورة الخمر الممزوجة بالعسل والماء في قوله:

كأن سبيئة من بيتِ رأس يكون مزاجها عسلٌ وماءُ
على أنيابها، أو طعم غضّ من التفاح هصّرة الجناء

فقد صوّر عذوبة رُضابها طيبة بخمرٍ معتقةٍ مجلوبةٍ من بيت رأس (ممزوجة بعسلٍ مصفًّى وماء عذب .. وقد حشد من عناصر اللوحة طائفة من الخطوط والأصباغ تجسّد جماليتها إلى حدٍّ ما، فقد جعل الخمر مجلوبة أو مسبية/ سبئية من (بيت رأس) وهي قرية أو قريتان من قرى الشام مشهورتان بكرومهما الكثيرة، وكان أهلهما يتَّصفون بالمهارة والإتقان في تصنيع الخمر وتعتيقها، إحداهما كورة بالأردن ما تزال إلى اليوم قرب (إربد)، وربما جاء عزوها في بعض المصادر إلى (البيت المقدس) لقربها منها وفقاً للأسلوب القديم في تحديد المواضع كقولهم مثلاً، هذا الموضع يقعُ بين البصرة ومكة، أو في الطريق بين الطائف وبُصرى في بلاد الشام .. إلخ والأخرى قرية في نواحي حلب .. وعلى أية حال فالبيئتان المذكورتان للقرية من بلاد الشام المشهورة بكرومها الطيبة وخمورها الجيدة التي ما تزال إلى اليوم تستهوي أصحاب المتاع واللذة .

ثم جعل شاعرنا هذه الخمرة الطيبة ممزوجة بعنصرين مهمّين هما العسل والماء لتتضاعف جودتها ويزداد طيبها ويغلو ثمنها وتستطيبها نفوس الشاربين وتستهوي عشَّاقها المدمنين عليها .. كما حرص حسَّان هنا على مقارنة هذه الخمرة الطيبة بغيرها من الأشربات ليؤكِّد تفوقها وامتيازها عليها مستطرداً إلى وصف آثارها في نفوسهم عند معاقرتها في أحوال السلم والحرب والشجاعة والسماحة والجود ... وهي استطرادات شكّلت ملامح جمالية وعناصر فنية خارجة ، أو قل لم تجاوز إطار اللّوحة لتتغلغل في أحشائها وتتوغل في صميمها لتكون على مستوى اللّوحات الجاهلية لريق الحبيبة كما سنرى .

وإذا كان حسّان قد حرص على تكريس بعض الخطوط والظِّلال في لوحة الرِّيق في ظلّ لوحة الخمر التي جعلها سبيئة من تلك القرية المشهورة بكرومها وخمورها الطيبة المعتقة (بيت رأس) وما يمكن أن نتخيّله من جهودٍ مضنية ومشاق مرهقة يتجشَّمها التجار في جلبها ومغالاتهم في أثمانها، وبذل عشَّاقها كل ما يملكون فيها، وكذلك حرصه على إضافة عنصرين جماليين إليها هما (العسل والماء).

نقول: إن شاعرنا بالرّغم من حرصه على إثراء لوحته بإضافة كلِّ تلك العناصر الجمالية والفنية فإنه قد وقف عند الخطوط البارزة والألوان الرئيسة في اللّوحة التي تلقانا عند كثيرٍ من الشعراء الجاهليين في وصف ريقِ صواحبهم وثغورهن النقيَّة الطيبة الرائحة ولم يجاوزها إلى إضافة عناصر أو ظلال أو أصباغ أخرى إلى اللّوحة ليجسّد مظاهرها الجمالية التي تضفي عليها قدراً كبيراً من الجمال والبهاء والرواء ..

وتلقانا في القصيدة صورة أخرى جسَّد فيها سرعة خيل المسلمين المقتحمة صفوف المشركين في محاولة يائسة من نسائهم لردِّها أو الحدِّ من انطلاقتها في قوله:

يبارين الأسنة مصعدات على أكتافها الأسلُ الظماء
تظلّ جيادنا متمطِّرات تلطمهنّ بالخمر النساء

فقد جعل خيولهم، وقد نصبوا رماحهم بين آذانها تتوهَّم أنها في سباق مع خيولٍ أخرى عندما كانوا يبرزون أسنّتها وأطرافها لتكون في مستوى أنظارها فتنطلق بأقصى ما تطيق، وتبذل غاية شدّها وجريها .. كما تلقانا في البيت الأول صورة الرِّماح الظوامىء التي تتحرّق عطشاً لدماء المشركين وما يسودها من تشخيص بديع موفق .. ولا يلقانا وراء ذلك شيء من التصوير الذي يشدّ القارئ ويستوقفه حتى قوله مفتخراً بشعره وشاعريته:

لسَـاني صَـارمٌ لا عَيـبَ فيـه وَبَحْـرِي لا تُكـدّره الـدلاءُ

وإذا كانت الصورة الشعرية لم تحظَ بمكانة مرموقة أو بنصيبٍ وافرٍ من همزيّة حسّان، فقد حظي البديع بشواهد متعددة تدلُّ على فضلِ عناية قياساً إلى ألوان البيان، وإن كانت ألوانه ساذجة سهلة قريبة لا تعقيد فيها ولا التواء كالطِّباق في قوله:

ديارٌ من بني الحسحاس قفرٌ تعفّيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء

فقد طابق بين (الروامس/ الرياح) وبين(السماء/ المطر) وهما من العوامل الطبيعية الفاعلة في دثور المنازل ودروس الديار، كما طابق بين (نعم) و (شاء).. وفي البيت نفسه نلحظُ المقابلة الخفية بين حالتي عمران الديار بأهلها وخلوّها من كل أنيسٍ، وهما حالتا الماضي والحاضر .. وكذلك الطِّباق في قوله:

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنهنا اللِّقاء

حيث طابق بين ((ملوك)) و((أسد)) لارتباطها بحالي السِّلم والحرب والسخاء والشجاعة .. وكذلك المقابلة في قوله:

فنُحْكِمُ بالقَوافي مَنْ هجانا ونضربُ حين تختلط الدماء

وهما حالتا القتال والحرب، والسلام المشوب بنار الفتنة والعداوة والشنآن ودور الشعراء/الهجاء/ فيها .. وكذلك المقابلة بين موقفه الإيماني بالرسول ﷺ وموقف المشركين الرافضين الجاحدين في قوله:

شَهدتُ بـه فقُومـوا صَـدّقوه فقلـتم لا نَقُـوم ولا نشـاءُ

وكذلك الطِّباق بين (شرِّكما) و (خيركما)، كما جانس بين بعض الألفاظ كمجانسته الاشتقاقية بين (الملامة) و (ألمنا) ،و (قوموا)و (نقوم)، والناقص في (عدمنا)و(موعدها)،و(متمطرات)و(تلطمهن)،و(شعثاء) و(شفاء).

ومن ألوان البديع الأخرى التي تلقانا في هذه الهمزية (التقسيم) في مثل قوله:

فإمَّا تعرضوا عنّا اعتمرنا وكان الفتحُ وانكشف الغطاء
وإلاّ فاصبروا لجلاد يومٍ يعزّ الله فيه من يشاء

حيث وضع المشركين أمام خيارين لا ثالث لهما، أحدهما: فتح أبواب مكّة ليؤدِّي المسلمون مناسك العمرة، وفي ذلك من الفتح والنصر والتمكين ما أراده الله وهيّأه لهذه الفئة المؤمنة المجاهدة في سبيله لإعلاء كلمته ونشر دينه. والآخر: الجلاد والحرب والقتال المعروفة نتائجه، المقدِّرة خواتمه لصالح المسلمين .. ومنه قوله أيضاً:

لنا في كلّ يومٍ من معدّ قتالٌ أو سبابٌ أو هجاء

فقد فصّل أنواع الخصومات بينهم وبين (معدٍّ) فكانت: القتال/ الحرب، والسباب بعاديّ الكلام ومألوفه بين الناس في حياتهم اليومية، والهجاء/أحد أغراض الشِّعر الرئيسية المرتبطة بالصِّراعات القبلية خاصة.

ولكي تتَّضح صورة التقسيم في البيت الذي اختصره حسّان في ضربين اثنين فقط هما: الحرب بالسلاح، والتهاجي بالشّعر جاء بالبيت التالي فقال:

فنحكم بالقوافي من هجانا ونضربُ حين تختلط الدماء

حيث أفراد (الصدر) للهجاء، وخصّ (العجز) للقتال. ومن نماذج التقسيم كذلك ما نجده في قوله مستخفّاً بالمشركين ومواقفهم من الرسول ﷺ :

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

فقد ساوى الشّاعر بين نصرتهم للرَّسول صلى الله عليه وسلم ومدحهم وهجائهم، مؤكّداً أن لا قيمة لشيءٍ من ذلك ولا أثر ما دام الأنصار يقفون من دونه يدفعون عنه وينصرونه ويعزرونه ويوقرونه ..

ومن ذلك (التصدير) أو (ردّ العجز على الصدر) كما في بيتيه ٢٠، ٢٦، وكذلك (التصريع) الذي افتتح به القصيدة شأن أغلب قصائد الشِّعر العربي حيث كان الشُّعراء يفتتحون قصائدهم به، وأحياناً أخرى كانوا يكررون التصريع في بعض أبيات القصيدة الداخلية، وكأنهم بذلك يعلنون عن موضوع جديد أو فكرة جديدة.

على أن بعض القصائد الجيدة والطويلة رويت خلواً من التصريع، وربما كان وراء ذلك أكثر من سبب، يعودُ بعضها إلى عوامل الرواية وبعضها إلى ظروف إنشائها، وإلى غير ذلك من العوامل الفنيَّة أو الفكرية ..

ومن كل ذلك نتبين أن عناية حسّان بن ثابت بالألوان البديعية كانت تجاوزت حدود الصورة البيانية التي جاءت نادرة جدّاً، كما أن نماذجه في هذا الجانب البديعي كانت ساذجة قريبة المأخذ لا عمق فيها ولا إفراط شأن غيره من شعراء ذلك العصر الذين كانت تأتي ألوان البديع في قصيدهم عفو الخاطر مبرّأة من التكلف والإعنات اللذين شاعا عند الشُّعراء المحدثين في الأعصر العباسية فيما بعد.

٢- الشاعر عبد الله بن رواحة[١]

- **مولد الشاعر وسيرته** : ولد في يثرب وفيها نشأ وشبّ وترعرع وتركت في نفسه من الأثر والتوجيه ما يمكن أن تتركه البيئة عادة في نفس أبنائها. وهو خزرجي النسب يعود أصله إلى قبائل الأزد القحطانية الذين نزحوا إلى شمال الجزيرة بعد تصدع سدّ مأرب فسكن الغسانيون في بلاد الشام، وأقام الأوس والخزرج قوم عبد الله في المدينة.

ويسوق لنا الرواة عادة نسب ابن رواحة على الشكل التالي: هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري.

عبد الله بن رواحة شاعر أنصاري فارس وصحابي جليل وقائد من قواد معارك الإسلام وأحد شخصيات المسلمين الفذة الذين دافعوا عن الدين بالسنان واللسان والسيف والقلم والرمح والقرطاس.

شاعر مخضرم عاش في الجاهلية وشارك في أيام قومه ووقائعهم وحروبهم وكان سيداً من ساداتهم ثم جاء الإسلام فمنّ الله عليه بالإيمان والهداية. فقد كان عبد الله بن رواحة واحداً من النقباء المبايعين الذين تبنوا الدعوة للإسلام قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وبعد إسلامه وضع مقدرته الشعرية في خدمة الإسلام وصار من أكثر الأنصار عملاً لنصرة الدين ودعم بنائه.

وكان من أكثرهم يقظة لمكايد "عبد الله بن أبي" الذي كان أهل المدينة

(١) عبدالله بن رواحة،الديوان، تحقيق، د.وليد قصاب ،ط١، ١٩٨١م،ص١٣.

يتهيئون لتتويجه ملكاً عليها قبل أن يهاجر الإسلام إليها، فمضى يستعمل دهاءه في الكيد للإسلام. في حين مضى عبد الله بن رواحة يتعقب هذا الدهاء ببصيرة منيرة أفسدت على "ابن أُبي" أكثر مناوراته وشلت حركة دهائه.

لم يكن "عبد الله بن رواحه" مجرد شاعر ينطلق الشعر من بين ثناياه عذباً قوياً فحسب لكنه كان أحد الشعراء الثلاثة الكبار الذين جاهدوا في سبيل الإسلام وتصدوا للدفاع عنه ضد كل من أراد النيل منه أو التشكيك فيه.. لقد كون هذا الشاعر المجاهد مع حسان بن ثابت وكعب بن مالك جبهة شعرية قوية تقف إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ترد عنه الهجمات الشرسة التي استهدفت التشكيك في نبوته. كما أنه شارك في غزوة بدر وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتهائها إلى المدينة ليبشر المسلمين بالنصر، بل إن النبي كثيرا ما كان يردد أن من أقرب الشعر إلى قلبه شعر "عبد الله بن رواحة" حتى إنه كان كثيرا ما يستزيد منه ويردده بين يدي الرسول.

- **مديح ابن رواحة للنبي (ﷺ):** يُعرف المديح بشكل عام أنه:" فنٌ من فنون الشعر الغنائي يقوم على عاطفة الإعجاب، ويعبر عن شعور تجاه فرد من الأفراد أو جماعة أو هيئة- ملك على الشاعر إحساسه ،وأثار في نفسه روح الإكبار والاحترام لمن جعله موضع مديحه"[١] وتُعرف المدائح النبوية كما يقول الدكتور زكي مبارك بأنها فن:" من فنون الشعر التي أذاعها التصوف فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص[٢] .

(١) إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح،دار الجيل، بيروت،د.ت، ص٩

(٢) د.زكي مبارك،المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط١، ١٩٣٥،

هذا المديح جمع خصال النبي(ﷺ) وشمائله إذ جمع الكرم والعفو والتسامح والشجاعة والوقار والقداسة في شخص النبي(ﷺ) كما فعل كعب بن زهير وحسان بن ثابت الذي عرف عنه أنه شاعر الرسول يدافع عنه وعن دعوته.

ويتضح بعد قراءة قصائد ودواوين المديح النبوي عبر تعاقبه التاريخي والفني أنه كان يستوحي مادته الإبداعية ورؤيته الإسلامية من القرآن الكريم أولا فالسنة النبوية الشريفة ثانيا. كما أن هناك مصدرا مهما في نسج قصائد المديح النبوي يتمثل في كتب التفسير التي فصلت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تفصيلا كبيرا كما يظهر ذلك جليا في تفسير ابن كثير على سبيل التمثيل، بله عن كتب السيرة التي تتمثل في مجموعة من الوثائق والمصنفات التي كتبت حول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم سواء أكانت قديمة أم حديثة وأذكر على سبيل المثال: "السيرة النبوية" لابن هشام، وسيرة ابن اسحاق و"الرحيق المختوم" لصفي الرحمن، و"السيرة النبوية" لأبي الحسن الندوي، و" السيرة النبوية" لابن حبان.

ومن شعر "ابن رواحة" في النبي :ﷺ

أنت النبي ومن يحرم شفاعته ... يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا[1]

ومن أحسن ما مدح به النبي ﷺ قول عبد الله بن رواحة:

=
ص:١٧
(١) عبد الله بن رواحة، الديوان ،ص٩٤

لـو لم تكـن فيـه آيـات مبينـة كانت بديهته تنبيك بالخبر

وفي يوم كان النبي- ﷺ- جالسا مع أصحابه وأقبل عبد الله بن رواحة، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم: "كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول"؟ فأجاب عبد الله: "أنظر في ذاك ثم أقول".. ومضى على البديهة ينشد:

يـا آل هاشِـمَ إن الله فضـلكم والله يعلَـمُ أنْ مـا خـانني البصـر
إنـي تفرسـت فيـك الخـير أعرفـه فراسـة خـالفتهم في الـذي نظـروا
ولـو سـألت أو استنصـرت بعضـهم في جُـلِّ أمـرك مـا آووا ولا نصـروا
فثبـت الله مـا آتـاك مـن حَسَـنٍ تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا[١]

فسُرَ النبي ورضي وقال له: "وإياك، فثبت الله". وحين كان الرسول عليه الصلاة والسلام يطوف بالبيت في عمرة القضاء قال عبد الله بن رواحة:

خلـوا بـني الكفـار عـن سـبيله اليـوم نضـربكم علـى تأويلـه
ضـربا يزيـل الهـام عـن مقيلـه ويـذهل الخليـل عـن خليلـه[٢]

فالأبيات تظهر فيها المعاني الإسلامية بشكل متميز، سواء في روحها العامة أو ألفاظها وعباراتها، وفيها مقارنة بين موقفين: المسلمين الذين أخلصوا الطاعة لرسول الله ،وعرفوا أن الخير في اتباعه، وقبول ما جاء به والموت في سبيله؛ والكافرين الذين جحدوا وأنكروا، حتى حاقت بهم الذلة وكتب الله لعباده النصر والتأييد، وما يزال ابن رواحة كالعادة- ينسبهم إلى الكفر، فيسميهم ها هنا

(١) المرجع السابق، ص١٥٩

(٢) المرجع السابق ،ص١٤٤.

(بني الكفار). كما **قال "ابن رواحة" بين يدي الرسول:**

يـــا رب لـــولا أنـــت مـــا اهتـــدينا ولا تصـــــــدَّقنا ولا صـــــــلينا
فـــــأنزلن ســـــكينة عليـــــنا وثبـــــت الأقـــــدام إن لاقينـــــا
إن الـــذين قـــد بغـــوا علينـــا إذا أرادوا فتنـــــــة أبينـــــــا[1]

ولما سمعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "يا ابن رواحة أفي حرم الله وبين يدي رسول الله؟!" فرد عليه النبي ﷺ: "خل عنه يا عمر فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبال"[2].

- **شاعر التعبئة والجهاد:** عندما جاءت سنة ثمان للهجرة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا لمواجهة الروم وأمّر عليه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة فإن استشهدوا فليرتض المسلمون رجلا فليجعلوه عليهم.

ولما أراد الخروج بكى عبد الله فقالوا: ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة إليها ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ "وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا" فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله وردكم إلينا صالحين ودفع عنكم فوقف "ابن رواحة" والجيش يتأهب لمغادرة المدينة ينشد:

لكـــنني أســـأل الـــرحمن مغفـــرة وضـــربة ذات فـــرع تقـــذف الزبـــدا
أو طعنـــة بيـــدي حـــرَّان مجهـــزة بحربـــة تنفـــذ الأحشـــاء والكبـــدا

(١) المرجع نفسه ، ص٩٦.

(٢) محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية،ج٢، فصل كراهة التشدق في الكلام. عالم الكتب، (د.ط : د.ت)ص،٩٠ والحديث رواه النسائي والترمذي وصححه من حديث أنس.

حتى يقال إذا مروا على جدثي يا أرشد الله من غازٍ وقد رشدا[١]

وهكذا كانت أمنية عبد الله بن رواحة ولا شيء سواها، ضربة سيف أو طعنة رمح، تنقله إلى عالم الشهداء الظافرين، ولم يكن ذلك عجيبا عليه فقد خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في كل غزواته بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر راغباً في الموت في سبيل الإسلام ومن أشهر قصائده:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حياض الموت قد صليت
إن تسلمي اليوم فلن تَفُوتي أو تُبتَلي فطالما عُوفِيْتِ
وما تمنيتِ فقد أُعطيتِ إن تفعلي فِعلَهُما هُديتِ
وإن تأخَّرتِ فقد شَقِيتِ[٢]

وتحرك الجيش إلى مؤتة وحين استشرف المسلمون عدوهم وجدوا قرابة مائتي ألف مقاتل من الروم، فوجموا.. وقال بعضهم: فلنبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا، فنمضي له فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي إلى الجهاد قائلاً: ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة" وبدأ يحث الناس بشعره على الجهاد قائلاً:

إذا أدنيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائي

(١)الديوان، ص١٤٧.
(٢) الديوان، ص٩٩

وجـــاء المؤمنـــون وغـــادروني بـــأرض الشـــام مشـــهور الثـــواء[١]

وكان لشعر ابن رواحة مفعول السحر حتى إنه زَرَعَ الحماس في نفوس المجاهدين وانطلقوا لملاقاة جيش الروم وهم يهتفون: الله اكبر.. الله اكبر.

والتقى الجيشان وسقط الأمير الأول "زيد بن حارثة" شهيدا مجيدا.. وتلاه الأمير الثاني "جعفر بن أبي طالب" حتى أدرك الشهادة في غبطة وعظمة.. وتلاه ثالث الأمراء "عبد الله بن رواحة" فحمل الراية من يمين جعفر وكان القتال قد بلغ ذروته وكادت القلة المسلمة تتوه في زحام الجيش العرمرم الذي حشده هرقل وحين كان "ابن رواحة" يقاتل كجندي كان يصول ويجول في غير تردد.. أما الآن فقد صار أميرا للجيش ومسؤولاً عن حياته ولكنه بلا تردد استجمع كل قواه وأخذ يصيح بالمسلمين :

(١) الديوان ، ص١٥١

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... ما لي أراك تكرهين الجنة؟
يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت[1]

وكان يعني بذلك صاحبيه اللذين سبقاه إلى الشهادة: زيدا وجعفر رضي الله عنهما. وما إن سمع المسلمون صياح عبد الله بن رواحة حتى هبوا لمؤازرته وهو يعصف بجيش الروم بكل قوة وشجاعة وهم يرددون أنشودته الخالدة.. حتى سقط ابن رواحة شهيدا كما تمنى. وبينما كان القتال يدور فوق ارض البلقاء بالشام أخبر الوحي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حصل في الغزوة فحدث رسول الله الصحابة بذلك والمعركة مازالت تدور.

هكذا كان "عبد الله بن رواحة" شاعرا مجاهدا جسد أروع صور الدفاع عن الإسلام والذود عنه بشعر صادق يحض النفوس على التقوى والجهاد وطلب الشهادة.. فأحبه النبي وأثنى عليه كثيرا والتف حوله المسلمون وحفظوا شعره ورددوه عن ظهر قلب.

الملامح الفنية في شعر ابن رواحة[2] نلخصها في الآتي:

١- ابتعد الشعر عند عبد الله بن رواحة عن الصنعة الشعرية أو الجهد الفني فشعره سهل مطبوع يتدفق بيسر وانسياب حتى يوشك أن يكون في بعض الأحيان كالكلام العادي في خفته وقرب مأخذه وسهولة تناوله فهو شعر لم يتح له الوقت

(١) الديوان، ص١٥٣

(٢) عبدالله بن رواحة، الديوان، ص١٠٣.

للإعداد والتهيئة أو للمراجعة وتدقيق النظر. فمعظم شعره قاله ارتجالا.

٢- من الملامح أيضاً تجلي الروح الإسلامية في شعره لا سيما في المعاني التي طرقها وفي بعض الصيغ والألفاظ والتعابير فهو من هذه الناحية أكثر من صاحبيه- حسان – وكعب بن مالك- فلا نجد عنده فخرا قبليا ولا نسيبا أو غزلا وحتى هجاؤه للمشركين اتخذ طوابع مختلفة تمثل فيها أثر الإسلام فقد مضى ابن رواحه يعيرهم بالكفر وينسبهم إلى الضلالة والغواية وينعي عليهم دينهم ويسفه معتقداتهم فكأنما كان ابن رواحه راغبا في الانصراف عن الماضي المقيت كله.

٣- من تلك الملامح أيضاً أن شعره في ظل الإسلام كانت مقطعات قصيرة في مجموعها لا تحتوي على أكثر من غرض واحد. وهذا يتوافق وطبيعة شعر الفتوحات الإسلامية وظروف القتال وحياة الجند المليئة بأعباء الفتوح، والحركة الدائبة، وأهوال القتال وشدائد اللقاء، لا تدعو إلى استقرار، كما لا تساعد على تمهل أو امتداد نَفَس أو غناء، إنما هي ومضات سريعة تستوعب الانفعالات الحادة والعواطف الملتهبة التي تشبه الضربات المتلاحقة في غير امتداد في النفس وبتعبير مركز وموجز دون إسهاب فالفكرة مباشرة مرتجلة لا سيما إذا أدركنا أن عبدالله بن رواحة شهد كل الغزوات مع الرسول ﷺ حتى استشهد في غزوة مؤتة.

٣- كعب بن زهير: قصيدة (بانت سعاد)

حياته وشعره: هو الصحابيُّ الجليل والشاعر المخضرم أبو عقبة كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني وأمه كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم وهي من بني عبد الله بن غطفان. وهي أم سائر أولاد زهير كعب وسالم وبُجير[١]. ولد عند أخواله بني سحيم من غطفان وكان أكبر أولاد زهير. ويبدو أن كعباً كان على خلاف طبع أبيه ولم تسلم حياته من الاندفاع والنزوات. وكانت زوجته تلومه على تهوره واندفاعه[٢].

وقد عني والده بتربيته وتعليمه الشعر. وأجمع الرواة على أن كعباً من فحول الشعراء ووضعه ابن سلام في الطبقة الثانية. وحديث الحطيئة معه يؤكد مكانته الشعرية حيث قال له: يا كعب قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم وقد ذهب الفحول غيري وغيرك فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع. فقال كعب:

فَمَنْ للقوافي شانها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوّز جرول

إلى آخر القصيدة.

وتثبت حادثته مع النابغة الذبياني قوة شاعريته في صباه عندما أجاز قوله:

تراك الأرض إمّا متّ خفّاً وتحيا ما حييت بها ثقيلاً

---

(١) كعب بن زهير، الديوان، صنعه الإمام أبي سعيد السكري،شرح ودراسة د.مفيد قميحة، دار الشواف للطباعة والنشر الرياض،السعودية،ط١، ١٩٨٩م، ص٨.

(٢) الزركلي، فهرس الأعلام،مج٣،ص٥٢. وينظر: شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين، ص ٥١.

فقال له النعمان: هذا البيت إن لم تأتِ بعده ببيت يوضح معناه، وإلاّ كان إلى الهجاء أقرب، فتعسر على النابغة النظم فقال له النعمان قد أجَّلتك ثلاثاً، فإن قلت فلك مائة من الإبل العصافير، وإلاّ فضربة بالسيف بالغةٌ ما بلغت، فخرج النابغة وهو وجل، فلقي زهير بن أبي سلمى، فذكر له ذلك فقال اخرج بنا إلى البريّة فتبعهما كعب فردّه زهير، فقال له النابغة: دع ابن أخي يخرج معنا وأردفه، فلم يحضرهما شيء فقال كعب للنابغة يا عمّ ما يمنعك أن تقول:

وذلك إن فللت الغيّ عنها فتمنع جانبيها أن تميلا[١]

فأعجب النابغة وغدا على النعمان فأنشده، فأعطاه المائة، فوهبها لكعب بن زهير فأبى أن يقبلها[٢]. وقد برزت قصيدته بانت سعاد بوصفها درةً من درر شعره[٣].

وقد توفي كعب بن زهير في خلافة معاوية وولد له عقبة (المضرَّب) الشاعر وسلمى التي تزوجت من ثوبان وكان من نسله عدد من الشعراء، العوام وبشير من ولده عقبة. والقريض والعوثبان والرماح (ابن ميادة) من ابنته سلمى.

سبب نظم قصيدة بانت سعاد (البردة)وظروف إلقائها :

خرج كعب وبجير ابنا زهير بن أبي سلمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا (أبرق العَزاف) وهو ماء لبني أسد. وكان كعب عازفاً عن الإسلام شديد العصبية والعناد لذا لم تدخل الدعوة الإنسانية إلى قلبه ولم ترقق من

(١) ورد البيت في الاغاني،ج١٥،ص١٤٧،(نزلت بمستقر العرض منها ❖وتمنع جانبيها أن يزولا).

(٢) كعب بن زهير، الديوان، صنعه الامام أبي سعيد السكري، شرح ودراسة د. مفيد قميحة،ص١٤.

(٣) اعتمدنا في دراستها على شرح ديوان كعب بن زهير للسكري. وشرح ابن الأنباري. لرشيد عبد الرحمن العبيدي.

عصبيته وجفائه. فطلب إلى أخيه بجير أن يلحق بالرسول فينظر ما يقول على أن ينتظره كعب في المكان ذاته فقدم بجير إلى الرسول (ﷺ) وسمع منه وأسلم وبلغ ذلك كعباً فأنشد:

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
على خلق لم تلف أما ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
شربت مع المأمون كأساً رويةً ... فأنهلك المأمون منها وعلكا[1]

فبلغت أبياته الرسول فأهدر دمه. مع من أهدر دمهم من الشعراء الذين أقذعوا في هجائه ولم يدخل الإيمان إلى قلوبهم. فكتب إليه بجير أن يقدم إلى الرسول ويسلم وإلاّ فعليه أن ينجو بنفسه لأن الرسول قتل أناساً آذوه وشهروا بالإسلام وبه، فاحتار كعب في أمره وعدّ نفسه مقتولاً لا محالة. ونصحه قوم بالذهاب إلى الرسول وإعلان توبته وإسلامه فلم ير من الأمر بداً. فنظم القصيدة معتذراً فيها إلى الرسول مادحاً إياه تائباً عن أقواله وأفعاله.

أقبل كعب إلى الرسول سنة تسع للهجرة إلى مسجد المدينة وأناخ راحلته بباب مسجد الرسول. وكان مجلس الرسول من أصحابه مكان المائدة من القوم، حلقة ثم حلقة وهو يحدثهم، فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطى حتى جلس إلى الرسول فقال: يا رسول الله الأمان. قال من أنت؟. قال: كعب بن زهير.

قال: أنت الذي يقول.. كيف يا أبا بكر؟ فأنشده حتى بلغ قوله:

شَربتَ مَع المأمُون كأساً رويةً ... وانهلك المأمون منها وعلّكا

(١) كعب بن زهير، الديوان، صنعه أبي سعيد السكري، شرح ودراسة د.مفيد قميحة، ص١٧.

فقال رسول الله: مأمون والله. ثم أنشده كعب قصيدته بانت سعاد. فلما بلغ قوله:

إن الرّسول لسيفٌ يستضاء به مهنّدٌ من سيوف الله مسلول

في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا خور معازيل

أشار الرسول إلى الخلق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير وأعطاه الرسول بردته. وأضاف الرواة إلى هذا الخبر بأن كعباً عرض بالأنصار في قصيدته في عدة مواضع منها قوله:

كَانَتْ مَواعيدُ عرقوب لها مثلاً وَمَنْ مَواعِيدها إلا الأباطيلُ[١]

وعرقوب رجل من خيبر [٢]. فلما سمع المهاجرون بذلك قالوا ما مدحنا من هجا الأنصار فأنكروا قوله وعوتب على ذلك وطلب إليه أن يمدح الأنصار بعد أن أثار حفيظتهم بقوله هذا. فقال قصيدته:

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحي الأنصار

البـاذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج وقُبةِ الجبار[٣]

وتبدو الرواية الأخيرة موضوعة فلا داعي لإثارة حفيظة الأنصار ضد كعب ما دام عرقوب لم ينتم إليهم بل كان من العمالقة ومن المنطقي أنهم أُثيروا عندما دخل كعب مسجد الرسول وهو المعروف بعدائه الشديد للإسلام وللرسول

(١) كعب بن زهير، الديوان، ص١١٠.

(٢) عرقوب قيل :هو رجل من خيبر، كان يهودياً وكان يعد ولا يفي، فضرب به العرب المثل، وقيل: هو رجل من العماليق أتاه أخٌ له يسأله، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها، أتاه للعدة فقال: دعها حتى تصير بلحاً، فلما أبلحت قال دعها حتى تصير رطباً، فلما أرطبت قال دعها حتى تصير تمراً، فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجذَّها ولم يعط أخاه منها شيئاً فصار مثلاً. ديوان كعب، ص١١٠.

(٣) كعب بن زهير، الديوان، ص٥٨

وأنه قد أهدر دمه لتشبيبه بأم هاني بنت أبي طالب وهي ابنة عم الرسول [١].

وقيل إن كعباً أنشد قصيدته للرسول (ﷺ) في المسجد الحرام لا في مسجد المدينة [٢] وهو قول ضعيف غير متواتر والأرجح لدينا أنه أنشدها للرسول (ﷺ) في مسجد المدينة كما بينا سابقاً.

وقد زعم الرواة بأن معاوية أراد أن يشتري البردة من كعب أثناء خلافته فأغلى له الثمن، ولكن كعباً أبى بيعها. فلما مات راجع معاوية أهله واشتراها بثمن باهظ، ثم توارثها الخلفاء من بعده، وكانوا يخرجون بها للناس في العيدين [٣].

ولم يذكر الرواة شيئاً عن أخبار كعب بعد إسلامه غير طلب الحطيئة إليه أن يمدحه ويذكره في شعره لأنه لم يبق غيرهما من فحول الشعراء [٤]. ويبدو أن العمر امتد بكعب بعد الإسلام حتى قال:

وأفنى شبابي صبح يوم وليلة ... وما الدهر إلا مسيه ومشارقه
وأدركت ما قد قال قبلي لدهره ... زهير وإن يهلك تخلد نواطقه [٥]

وهي إشارة يفهم منها إنه عاش ثمانين حولاً أو ما يقاربها، وعلى ذلك يرجح الظن بأنه مات في أواخر العقد الخامس من القرن السابع للميلاد وذهب جرجي زيدان إلى أنه توفي عام ٢٤ للهجرة [٦].

---

(١) المبرد، الكامل ج٢، ص٢٧٤.
(٢) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني ج ١٧، ص٩١.
(٣) د. طه حسين، حديث الأربعاء ج١،ص ١١٩.
(٤) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني ج١٧،ص ٨٢- ٨٣.
(٥) شرح ديوان كعب. ١٩٠.
(٦) شعر أوس بن حجر ورواية الجاهليين ٥٧- ٥٨.

بين يدي النص :

١) اختلفت المصادر في عدد أبيات القصيدة فقد ذكر السكري خمسة وخمسين بيتاً[١] وأثبت ابن الأنباري أنها سبعة وخمسون بيتاً [٢]. ووردت ستين بيتاً [٣] وقد استعان الشارح برواية السكري مع زيادات من جمهرة أشعار العرب ومن كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب. وأوردها الباجوري بتسعة وخمسين بيتاً [٤]، ووردت عند آخرين في ثمانية وخمسين بيتاً [٥]. ونحن نميل إلى عدد الأبيات التي أوردها الديوان وسندرسها على هذا الأساس.

ولا يرجع الاختلاف في رواية القصيدة إلى عدد الأبيات فقط، بل إلى اختلاف الألفاظ، وترتيب الأبيات [٦]. وهذا الاختلاف هو الذي دفع طه حسين إلى التأكيد على عبث الرواة في القصيدة وإضافاتهم.

٢) وإذا كان الغرض الرئيس من نظم القصيدة. مدح الرسول (ﷺ) فإن الشاعر بدأ قصيدته بالغزل ثم انتقل منه إلى وصف الناقة، كما تعود الشعراء في الجاهلية أن يفعلوا لينتهي بعد ذلك إلى المديح الذي قصده. وقد استغرقت المقدمة الغزلية ثلاثة عشر بيتاً. واستغرق وصف الناقة ثمانية عشر بيتاً. أما الاعتذار والمديح وهما الغرضان الأساسيان في القصيدة فقد شملا أربعة وعشرين بيتاً سبعة أبيات منها في الاعتذار والبقية في مديح الرسول والمهاجرين.

---

(١) شرح ديوان كعب. ٦- ٢٥.
(٢) شرح بانت سعاد، مجلة كلية الآداب، ١٩٧٤.
(٣) مختارات من روائع الأدب في الجاهلية والإسلام، ص ٣٠٣.
(٤) شرح قصيدة بانت سعاد، الباجوري.
(٥) القرشي ،جمهرة أشعار العرب، ٢٨٢- ٢٨٧. دائرة المعارف الإسلامية، وجدي ج٨.ص ١٥٧/١٥٩.
(٦) قصيدة بانت سعاد،ص١٠٩.

٣) إن النهج الذي سار عليه كعب نهج تقليدي في القصيدة العربية في العصر الجاهلي من حيث البناء والصور والمعاني والأخيلة. وسلك في اعتذاره للرسول (ﷺ) ومديحه له مسلك النابغة الذبياني واعتذارياته من النعمان، فقد بدأ بالغزل ثم انتقل إلى وصف الناقة ومشاق الطريق وقوة الناقة التي أوصلته إلى الممدوح ليحسن الانتقال إلى الاعتذار من الرسول (ﷺ) طمعاً في كرمه وشمائله العربية الأصيلة، وتصويره لخوفه وفزعه وتنكر الناس له وضيق الدنيا عليه في قوله:

تسعى الوشاة جنابيها وقولهم إنك يا بن أبي سلمى لمقتول

التفسير اللغوي لمفردات النص:

١- بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيمٌ إثرها لَمْ يفد مَكبولُ

الغريب: بانت: فارقت وبعدت. **متبول**: أسقمه الحب فأضناه. **متيم**: ذلله الهوى أيّ عبّده لمحبوبته. ونوع من أواع الحب ودرجة من درجاته. **مكبول**: مكبل بقيد لا يبرح حبيبه. والمعنى للبيت: أن محبوبته فارقته فقيده حبها فأصابه السقم والذل والأسر فلا يستطيع الفكاك من قيده و لا الفرار من سجنه.

٢- وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

الغريب: البين: البُعد والفراق. والأغن: الظبي الصغير الذي في صوته غُنّه، وهو صوت يخرج من اللسان والأنف. قال ابن هشام الانصاري" والغنة صوت لذيذ خرج من الأنف يشبه صوت الرياح والأشجار الملتفة وقُدّر الظبي لأنه أكثر ما

يوصف بالغنة من الحيوان"[١]. **غضيض الطرف**: فاتر العين. **مكحول**: الكحل سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال. والمعنى للبيت: شبه الشاعر محبوبته(سعاد) وقت فراغها له بالظبي الصغير، الموصوف بغنة الصوت وغض الطرف، والكحل في أجفان العيون.

٣- هَيْفاءُ مُقْبِلَةً عَجْزاءُ مُدْبِرَةً لا يُشْتَكى قِصَرٌ مِنها ولا طُولُ

الغريب: **هيفاء**: هي المرأة ضامرة البطن دقيقة الخصر. **والعجزاء** : المرأة كبيرة العجيزة. والمعنى أن محبوبة الشاعر جميلة في نظره فإذا أقبلت فهي هيفاء وإذا أدبرت فهي عجزاء متوسطة بين الناس لا تعاب.

٤- تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ كأنَّهُ مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلُولُ

الغريب: **تجلو**: تصقل. **العوارض**: الأسنان التي في عرض الفم. وهي أول ما يبدو عند الضحك. **الظلم**:بريق الأسنان أو اللعاب الذي يسيل عليها .**منهل**: اسم مفعول من النهل وهو الشرب أول مرة.**الراح**: الخمر. **معلول**: من العلل وهو الشرب مرتين. والمعنى للبيت: إن سعاداً إذا ابتسمت كشفت للناظر عن أسنان ذات بياض ورقة وكأن ثغرها لطيب رائحته قد سقي الخمر مرة بعد أخرى.

٥- شُجَّتْ بِذي شَبَمٍ مِنْ ماءِ مَعْنِيةٍ صافٍ بأَبْطَحَ أضْحَى وهْوَ مَشْمولُ

الغريب: شُجت: مزجت. ذو شبم: ماء شديد البرودة. المحنية: منعطف الوادي، وماؤه عادة صافٍ وبارد. الأبطح: مجرى الماء مفروش بحصى نظيفة

(١) ابراهيم بن محمد اللخمي، مختصر شرح بانت سعاد وإعرابها، دراسة وتحقيق ضياء الدين حمزة عبد السلام الغول رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، ص١٦٥.

وصغيرة وهذا مما يزيد عادة في صفاء الماء. أضحى: من وقت الضحى قبل اشتداد حرارة الشمس. المشمول: ما ضربته ريح الشمال فصار باردا.

٦- تَنْفِي الرِّياحُ القَذَى عَنْهُ وأفْرَطُهُ مِنْ صَوْبِ سارِيَةٍ بِيضٌ يَعالِيلُ

الغريب: القذى: ما يحمله الماء ويشوبه من أقذار. **وأفرطُهُ**: سبق إليه وملأه. **الصوب**: والصيب هو المطر. **والغادية**: السحابة التي تمطر في الغداة أي في أول النهار. **والسارية**: التي تمطر في الليل أو في آخر النهار. **اليعاليل**: الحباب والفقاقيع التي تعلو الماء عند نزول المطر أو هي الجبال البيض التي ينحدر عليها ماء المطر. والمعنى للبيت: إن الرياح تزيل القذى والأوساخ عن الماء حتى لم يبق فيه ما يكدره وهذا الماء الصافي البارد هو الذي مزجت به الخمر.

٧- أكْرِمْ بها خُلَّةً لوْ أنَّها صَدَقَتْ مَوْعودَها أَوْ لَوَ أنَّ النُّصْحَ مَقْبولُ

الغريب: **الخلة**: الصداقة تطلق على المذكر والمؤنث والمفرد والجمع والمثنى. والمعنى للبيت: يقول الشاعر متفجعا على حبيبته. إنها لصديقة كريمة لو صدقت في وعدها، وقبلت النصح مني، لكانت على أتم الصفات وأكمل الأحوال.

٨- لكِنَّها خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِها فَجْعٌ ووَلَعٌ وإخْلافٌ وتَبْديلُ

الغريب: **سيط وشيط**: أي خلط بدمها هذه الصفات. **الفجع**: الإصابة بالمكروه والنوازل. **والولع**: الكذب. **والأخلاف**: خلف الوعد. **والمعنى للبيت**: إن صداقتها لازمها الكذب وإخلاف اوتبديل المواعيد والفجيعة بالمصائب حتى صارت هذه الصفات سجية لها وطبيعة لا تفارقها.

٩- فما تَدومُ عَلَى حالٍ تكونُ بها كَما تَلَوَّنُ في أثْوابِها الغُولُ

الغريب: **الغول**: سحرة الجن. تتلون الغول في البراري بألوان شتى، من الحيوان، والإنسان تأخذ جانبي الطريق في الفلاة يتبعها السائر فيضل الطريق فيهلك. **والمعنى** أن محبوبته لا تدوم على حال في محبتها فتتلون بأحوالها معه كما يتقلب الغول بصور شتى.

١٠- **ولا تَمَسَّكُ بالعَهْدِ الذي زَعَمْتْ إلاَّ كَما يُمْسِكُ الماءَ الغَرابِيلُ**

الغريب: **الوصل**: ضد الهجر. **والغرابيل**: جمع غربال وهو المنخل. **والمعنى للبيت** يقول عن محبوبته أنها لا تتمسك بالمواعيد التي تعد بها إلا إذا أمكن للغرابيل أن يمسك الماء. وهذا منه مبالغة في نقضها العهود وإخلافها الوعد.

١١- **فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ إنَّ الأمانِيَّ والأحْلامَ تَضْليلُ**

الغريب: ليس فيه لفظ غريب. والمعنى للبيت: يقول –مخاطبا نفسه- لا يخدعنك ما منتك إياه محبوبتك من الوصل أو كذبت عليك فيه من ترك الهجر وإن التمسك بالأمنيات وأحلام الليل، سبب الضياع والضلال.

١٢- **كانَتْ مَواعيدُ عُرْقوبٍ لَها مَثَلا وما مَواعِيدُها إلاَّ الأباطيلُ**

الغريب: **كانت**: أي صارت. **وعُرقُوب** بضم العين والقاف رجل من العمالقة يضرب به المثل في إخلاف الموعد فيقال: أخلف من عُرقُوب. والمعنى للبيت: إن محبوبته لا تفي بالوعد إذا وعدت ولا يزال يعول عليها وهي كمواعيد عرقوب الذي يضرب به المثل في إخلاف الوعد.

١٣- **أرْجو وآمُلُ أنْ تَدْنو مَوَدَّتُها وما إخالُ لَدَيْنا مِنْكِ تَنْويلُ**

الغريب: **التنويل**: العطاء والمراد به الوصول. والمعنى للبيت: أن ما فيها من الجفاء، وإخلاف الموعد، وعدم الوفاء بالعهد. كل هذا لا يحملني على اليأس وقطع الأمل من وصلها بل إنني لأرجو أن تعجل بالوصل، وإن كان عادتها كغيرها، طول عمرها المماطلة والتسويف وعدم الانجاز.

١٤- أمْسَتْ سُعادُ بِأرْضٍ لا يُبَلِّغُها إلاَّ العِتاقُ النَّجيباتُ المَراسِيلُ

الغريب: **أمست**: صارت. **والعتاق**: الكرام **والنجيبات**: جمع نجيبة وهي الناقة القوية الخفيفة. **والمراسيل**: جمع مرسال. وهي الناقة السريعة من قولهم ناقة رسله إذا كانت سريعة رفع اليدين في السير. والمعنى للبيت إن محبوبته نأت عنه بأرض بعيدة لا يبلغه إليها إلا الإبل الكرام الأصول القوية السريعة.

١٥- ولَنْ يُبَلِّغَها إلاَّ غُذافِرَةٌ لها عَلَى الأيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيلُ

الغريب: **العذافرة**: جمع عذفرة. وهي الناقة القوية، العظيمة. **والأين**: الإعياء والتعب. **والأرقال والتبغيل**: نوعان من أنواع السير السريع. والمعنى: لن يبلغه إلى أرض محبوبته إلا الإبل القوية السريعة.

١٦- مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ عُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مَجْهولُ

الغريب: **النضاخة**: الفوارة. **والذفرى**: العظم خلف الأُذن من يمين وشمال الناقة وهو أول ما يعرق منها عند السير. **والذفر**: الرائحة الطيبة. **عُرضتها**: العرضة الهمة. **وطامس الأعلام**: الدارس المتغير من علامات الطريق.

والمعنى للبيت إن ناقته كثيرة العرق، طيبة الرائحة، ولا يكون هذا إلا مع اشتداد سيرها. وهي تعرف الطريق، وتسير عليه، ولو كانت علاماته دارسة مجهولة. وذلك لكثرة أسفارها في تلك المفاوز.

١٧- تَرْمِي الغُيوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ إذا تَوَقَّدَتِ الحَزَّازُ والمِيلُ

الغريب: **الغيوب**: كل ما غاب عن البصر. كل ما ارتفع من الأرض. مفرد: الثور الوحشي الذي انقطع من اللحاق بالقطيع فهو يقلب عينيه يمينا وشمالاً ويسرع المشي ليدرك القطيع. **اللهق**: البياض الشديد. الحزان الأرض الغليظة. **الميل**: جمع ميلاء وهي كل عقدة ضخمة من الرمل. أو الميل المسافة من البصر. والمعنى للبيت: إن الناقة حادة البصر، فتبصر بعينيها الشبيهتين بعيني الثور الوحشي الأبيض مع خفة مشيه. فتبصر ما غاب من آثار الطريق وانطمس منها، وقت شدة الحر في الأرض الغليظة الصلبة، والرمال العظيمة.

١٨- ضَخْمٌ مُقَلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها في خَلْقِها عَنْ بَناتِ الفَحْلِ تَفْضيلُ

الغريب: **المقلد**: موضع القلادة في العنق أي الرقبة. **وفعم أو عبل**: هما بمعنى الممتلئ. المقيد: موضع القيد من يديها، بنات الفحل: الإناث من الابل الأصلية المنسوبة. والمعنى للبيت: الناقة ضخمة العنق، وهذا دليل على ضخامة هامتها وعظيمة القوائم، مما يدل على قوة سيرها وحملها لأثقال فهي تفضل غيرها من الإبل المنسوبة وعظم خلقها وجماله.

١٩- حَرْفٌ أخوها أبوها مِن مُهَجَّنَةٍ وعَمُّها خالُها قَوْداءُ شْمِليلُ

الغريب: **الحرف**: الناقة الضامرة. **المهجنة**: كريمة الأبوين. القوداء الناقة الطويلة الظهر والعنق. **والشمليل**: الخفيفة السريعة. والمعنى للبيت: الناقة أصيلة النسب لم يدخلها في نسبها من غير أقاربها شيء فهي كريمة الأصل، سلالتها معلومة. وهذا سر نجابتها: السرعة في سيرها.

٢٠- يَمْشي القُرادُ عَليْها ثُمَّ يُزْلِقُهُ مِنْها لِبانٌ وأقْرابٌ زَهالِيلُ

الغريب: **القراد**: دويبة صغيرة تتعلق بالبعير تمتص الدم، وهي كالقمل للإنسان. يزلقه: من الأزالق أي يسقطه. واللبان: بفتح اللام موضع اللبب وهو الصدر أو وسطه. **والأقراب**: الخواصر. **والزهاليل**: الملساء. **والمعنى للبيت**: لا يستقر القراد على جلدها بل يزلقه من المواضع الملتوية منه كوضع اللبب من الصدر والخاصرة وذلك لنظافتها وحسن قوامها.

٢١- عَيْرانَةٌ قُذِفَتْ بالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ مِرْفَقُها عَنْ بَناتِ الزُّورِ مَفْتولُ

الغريب: الناقة التي تشبه حمار الوحش في سرعته، وقوته ونشاطه. **النضح**: اللحم و(عن) بدل (من) **وعرض**: جانب. والمعنى انها اكتست اللحم من كل جانب من جوانبها ولم يضرها، أو ينقصها الحلب. **والمرفق**: يريد المرفقين في يديها. **والزور**: الصدر أو وسطه. **وبنات الزور**: ما يتصل به مما حوله من الأضلاع وغيرها. **والمعنى للبيت**: أن مرفق الناقة بعيد عن الصدر وما حوله فلا تصطك مرافقها بصدرها وأضلاعها وذلك لحسنها وامتلاء جلدها باللحم.

٢٢- كأنَّما فاتَ عَيْنَيْها ومَذْبَحَها مِنْ خَطْمِها ومِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطيلُ

الغريب: **الخطم**: الأنف أو موضع الخطام من الناقة **واللحيان**: العظمان اللذان تثبت عليها الأسنان السفلى من الجهتين. **والبرطيل**: الحجر المستطيل. **ومعنى البيت** هنا أن وجه الناقة من خطمها ومن اللحيين يشبه الحجر المستطيل. وطول الوجه صفة محمودة في الإبل.

٢٣- تَمُرُّ مِثْلَ عَسيبِ النَّخْلِ ذا خُصَلٍ في غارِزٍ لَمْ تُخَوِّنْهُ الأحاليلُ

الغريب: عسيب النخل : جريدة إذا لم يكن عليها خوص. وذا خصل: لفائف من الشعر. والمراد به ذيل الناقة. في غارز: وهو الضرع. الأحاليل: جمع إحليل وهو مخارج اللبن. لم تخوّنه : لم تنقصه. ومعنى البيت: أن شعر ذنب الناقة مثل جريد النخل، في كثرته، وطوله، وغلظه، يستر ضرعاً لم تنقصه مرات الحلب مع كثرتها.

٢٤- قَنْواءُ في حَرَّتَيْها لِلْبَصيرِ بِها عَتَقٌ مُبينٌ وفي الخَدَّيْنِ تَسْهيلُ

الغريب: **القنواء**: محدودة الأنف **والحرتان**: الأذانان. **والعِتق**.(بالكسر) الكرم. والمبين الظاهر. **وتسهيل**: فيه سهولة اللبن. **ومعنى البيت**: إن الناقة محدودبة الأنف، من كرام الإبل. تعرف بطول أذنيها وحُسنهما ونجابة في خديها من ليونة وعدم خشونة.

٢٥- تُخْذي عَلَى يَسَراتٍ وهي لاحِقَةٌ ذَوابِلٌ مَسُّهُنَّ الأرضَ تَحْليلُ

الغريب: **تخذي**: بمعنى تسترخي في سيرها ومع ذلك تسبق غيرها فكيف لو أسرعت اليسرات: القوائم الخفاف. وهي لاحقة: الضامرة التي تلحق بالنوق السابقة لها من قبل، أو إلى الديار البعيدة. ومعنى وهي لاهية : غافلة عن السير وذلك سجية لها. **الذاوبل**: الرماح الصلبة القاسية. وتحليل: أي قليل. **والمعنى للبيت** : أن الناقة سريعة ترفع قوائمها عن الأرض سريعاً أثناء سيرها وكأنها تلاحق الرماح ولا تمس الأرض بقوائمها إلا قليلاً.

٢٦- سُمْرُ العَجاياتِ يَتْرُكْنَ الحَصَى زِيماً لم يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأُكْمِ تَنْعيلُ

الغريب: **العجايات**: الأعصاب المتصلة بالحوافر. أو هي اللحم المتصل بالعصب المنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن أي أن أعصبها ولحم قوائمها قوية صلبة كالرماح السمر. **والزيم**: المجموعة من الحجارة بعد رميها. **الأكم**: جمع أكمة

وهي الأرض المرتفعة. **التنعيل**: وضع النعل في قوائم الدابة ليقيها من الحجارة. **والمعنى للبيت**: يصف أعصاب قوائم الناقة بأنها شديدة كالرماح السمر، ولسرعة سيرها، وقوتها تجعل الحصى خلفها أوزاعاً متفرقة وخفافها صلبة لا تحتاج إلى تنعل، عندما ترقى رؤوس الآكام.

٢٧- يَوْماً يَظَلُّ به الحِرْباءُ مُصْطَخِداً كأنَّ ضاحِيَهُ بالنّارِ مَمْلولُ

الغريب: **الحرباء**: حيوان صغير يستقبل الشمس حيثما كانت ويتلون جلده بلون الأمكنة التي يحل فيها. **مصطخماً**: منتصباً قائماً ومصطخداً متحرقا بالشمس. **ومرتئياً**: مرتفعا وضاحية: أي بارز وقت الضحى للشمس. **مملول**: موضوع في الرماد الحار وهي الملة. **ومعنى البيت**: ذلك اليوم حره لاهب يكون فيه الحرباء قائماً منتصباً كأن كل بارز في ذلك الوقت صار خبزاً مملولاً بالملة. وناقته لا يضرها مثل شدة هذا الحر.

٢٨- كأنَّ أَوْبَ ذِراعَيْها إذا عَرِقَتْ وقد تَلَفَّعَ بالكورِ العَساقيلُ

الغريب: **الأوب والأرب**: سرعة التقلب. **تلفع**: اشتمل والتحف. **والقور**: جمع قارة وهي الجبل الصغير. **والعساقيل**: السراب الخادع. **ومعنى البيت**: يقول الشاعر إن الناقة وإنْ أصابها العرق لحر الشمس لا لضعفها فإنها تسير مسرعة في وقت التحفت الأرض وجبالها بالسراب وقد غطاها من كل جوانبها الأربع. والصواب تقديم هذا البيت على الذي قبله لاشتماله على المشبه به وهي (الحرباء) والأصل تقديم المشبه على المشبه به.

٢٩- وقالَ لِلْقوْمِ حادِيهِمْ وقدْ جَعَلَتْ وُرْقَ الجَنادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَى قِيلُوا

الغريب: **الحادي**: السائق للإبل. **والورق**: جمع ورقاء وهو اللون الأخضر

القريب من السواد يُشْبِه الرماد. **الجنادب**: صغار الجراد. **وقيلوا**: من القيلولة، وهي النوم في نصف النهار. **يركضن**: يحركن ويرمين. والمعنى للبيت: يقول الشاعر في هذا اليوم وفي الصحراء القاحلة يقول الحادي: قيلوا لشدة الحر، وعدم الماء إن الجنادب لا يستطيع الطيران لشدة الحر فتنزل في الأرض تتفحص الحصى لتتزود وتستظل تحته.

٣٠- شَدَّ النَّهارِ ذِراعا عَيْطَلٍ نَصِفٍ قامَتْ فَجاوَبَها نُكْدٌ مَثاكِيلُ

الغريب: شد النهار: أي اشتد النهار وهو كناية عن شدة الحر. والعيطل: المرأة الطويل الجميلة. والنصف: المرأة بين الشابة والعجوز لبلوغ أشدها فهي أسرع على الحركة وأقدر من غيرها. النكد : جمع نكداء، وهي المرأة التي لا يعيش لها ولد. المثاكيل : كثيرة الثكل. والمعنى للبيت: يشبه الشاعر سرعة يد ناقته بسرعة حركة يدي المرأة لما تلطم وجهها لفقدها ولدها. ويجاوبها على فعلها نسوة ثكالى يبكين، ويلطمن الوجوه، لفقدهن أحبابهن.

٣١- نَوَّاحَةٌ رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَها لَمَّا نَعَى بِكْرَها النَّاعونَ مَعْقولُ

الغريب: **النواحة**: كثيرة النياح على فقدها. **ورخوة الضبعين**: مسترخية العضدين. **البكرة**: أول أولاد الناقة. **والناعون**: المخبرون بالموت. **معقول**: أي عقل لسانها فلا تنطق وذهب عقلها فلا تدري. **المعنى للبيت**: هذه المرأة كثيرة النياح على فقيدها، مسترخية العضدين ولما نعى الناعون بكرها –أول أولادها- لم يبق لها عقل فصارت تلطم وجهها وهي لا يحس بالنصب والإعياء.

٣٢- تَفْرِي اللَّبانَ بِكَفَّيْها ومِدْرَعُها مُشَقَّقٌ عَنْ تَراقيها رَعابيلُ

الغريب: **تفري**: تقطع. **اللبان**: الصدر. **والمدرع**: القميص. **ورعابيل**: القطع

المتفرقة. **ومعنى البيت**: يريد أن هذه المرأة تقطع وتمزق ثيابها بيدها لذهاب عقلها. والشاعر بهذا يشبه الناقة بهذه المرأة فكل منهما في ذهول لا يحس بالتعب والأعياء.

٣٣- يسْعَى الوُشاةُ بجَنبَيْها وقَوْلُهُمُ إنَّك يا ابْنَ أبي سُلْمَى لَمَقْتولُ

الغريب: **الوشاة** : جمع واشي وهو الذي ينقل الكلام بين الناس على سبيل الإفساد. وروي (الغواة) وهي بمعناه حيث هم المفسدون. **جنبيها**: أي حواليها. **مقتول**: أي متوعد بالقتل لأن النبي - ﷺ- قد أهدر دمه في أول الأمر. والمعنى إن الواشين يكادون يحيطون بناقته قائلين له إنك يا كعب بن زهير سيفتلك محمد.

٣٤- وقالَ كُلُّ خَليلٍ كُنْتُ آمُلُهُ لا أُلْهِيَنَّكَ إنِّي عَنْكَ مَشْغولُ

الغريب: **آمله** : آمل خيره ونفعه لي عند الشدائد. **لا ألهينك**: لا أشغلنك بأن أسليك وأهون عليك فإني مشغول عنك ولن تجدي عندي نفعاً. والمعنى أن صديقه تخلى عنه وهو أحوج ما يكون إليه.

٣٥- فَقُلْتُ خَلُّوا سَبيلِي لاَ أبالَكُمُ فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحْمنُ مَفْعولُ

الغريب: **خلوا سبيلي**: لا تعترضوا طريقي. **لا أبا لكم**: ذم لهم لكونهم لم يدافعوا عنه أو هي صيغة مدح على سبيل التهكم. **والمعنى للبيت**: قلت لهؤلاء الرفقاء الذين ينفعوني: خلوا سبيلي وما قدره الرحمن لي فهو حاصل لا محالة.

٣٦- كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ يَوْماً على آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ

الغريب: آلة حدباء: هي النعش الذي يحمل عليه الميت. **والمعنى للبيت**: كل إنسان يصير إلى الموت طال عمره أو قصر فلا يشمت بي أحد إذا قتلت أو مت. ولكن أمله القوي بعفو الرسول الكريم عنه يبدد اليأس عن نفسه ويدفعه إلى الانتقال السريع من الموت إلى الحياة ومن اليأس إلى الأمل فيقول:

٣٧- أُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَني والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

الغريب: أنبئت: أخبرت. **مأمول**: مرجو النفع. **أوعدني**: أهدر دمي بالقتل. **والمعنى**: أخبرت أن رسول الله- ﷺ- أهدر دمي ولكن آمل العفو منه وهو أهله. وإذا ورد هذا البيت على منوال بيت النابغة في اعتذاره للنعمان حيث قال:

أنبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا مقام على زأر من الأسد[١]

فالفرق كبير بين جمالية البيتين فإن اشتركا في مهابتهما والخوف من وعيدهما فإنهما مختلفان أشد الاختلاف في الأخلاق والمثل، فالنعمان وعيده مخيف موئس، على العكس من الرسول الكريم (ﷺ) الذي يكمن وراء وعيده المخيف الأمل والرجاء لأنه على خلق كريم وزاده القرآن الكريم الذي نزل عليه رحمة وحلماً[٢].

٣٨- مَهْلاً هَداكَ الذي أَعْطاكَ نافِلَةَ الـ قُرْآنِ فيها مَواعيظٌ وتَفْصيلُ

الغريب: هداك الله: دعاء له بزيادة الهداية وهداك للعفو عني. **والنافلة**:

---

(١) النابغة الذبياني، الديوان، شرح وتقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط٣، ١٩٩٦م، ص١٥ .

(٢) حديث الأربعاء ج١ ، ص١٢٤.

الزيادة سمي القرآن نافلة بحق الرسول لأنه زيادة على النبوة. والمعنى: تمهل يا محمد فقد زادك الله هدى حين أعطاك القرآن فيه مواعظ وتفصيل لأحكام الناس في دينهم ودنياهم.

٣٩- لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوالِ الوُشاةِ ولَمْ أُذْنِبْ وقَدْ كَثُرَتْ فِيَّ الأقاويلُ

الغريب: **لا تأخذني**: لا تعاقبني. **الأقاويل**: الآراء والمعتقدات الفاسدة. **والوشاة**: نقلة السوء. **والمعنى** يتلطف الشاعر في خطابه للرسول- ﷺ- قائلاً لا تستبح دمي بمجرد نقل الوشاة الساعين بيني وبينك بالإفساد.

وهو إذ يقسم ويرجو من الرسول ألاّ يأخذه بأقوال الوشاة الكاذبين وهو مدرك لأفعاله السابقة ضدّ الرسول وموقفه المعادي منه ومن دينه وشدة عصبيته وعناده، يقسم بالقرآن، وبروح إسلامية تناسب مقام الاعتذار. على العكس من النابغة الذبياني الذي يقسم قسماً جاهلياً وثنياً لا يناسب مقام النعمان ولا يلتفت إلى خطئه في هذا القسم لأنه راعى طقوسه الخاصة أكثر من مراعاته للنعمان حيث يقول:

فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الأنصاب من جسد[1]

على الرغم من أن النابغة كان شديد القرب من النعمان، تربطه وإياه وشائج من الإعزاز والصداقة والود، بينما كان كعب شديد البُعد عن الرسول الكريم (ﷺ) فقد هجا النبي وصحبه قبل الإسلام ووقف إلى جانب الشعراء المشركين كابن الزبعرى وأضرا به في التشديد على ذم الرسول الكريم(ﷺ) وصحبه

(١) النابغة الذبياني، الديوان، شرح وتقديم عباس عبد الستار، ص١٥.

والتشهير بهم وبالدين الإسلامي.

٤٠- لَقَدْ أقْومُ مَقاماً لو يَقومُ بِه أرَى وأَسْمَعُ ما لم يَسْمَعِ الفيلُ

الغريب: **لقد أقوم** : بمعنى الماضي أي لقد قمت. **المقام**: مجلس النبي ﷺ. **والمعنى للبيت**: إني قمت مقاماً بحضرة الرسول ﷺ. أرأى وأسمع فيه ما لو رأى الفيل أو سمعه. لظل يرعد خوفاً منه مع ضخامته وعظمه.

٤١- لَظَلَّ يرْعُدُ إلاَّ أنْ يكونَ لَهُ مِنَ الَّرسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْويلُ

الغريب: **يرْعُدُ**: تأخذه الرعدة من الخوف. **والتنويل**: التأمين والوعد بالخير. **والوجد**: شدة الخوف. **والبوادر**: اللحم الذي بين العنق والكتف. والمعنى للبيت: لو وقف الفيل أمام الرسول كما وقفت لصار يضطرب ويتحرك خوفاً وفزعاً مع ضخامته وكبره وقوة تحمله.

٤٢- حَتَّى وَضَعْتُ يَميني لا أُنازِعُهُ في كَفِّ ذِي نِقَماتٍ قِيلُهُ القِيلُ

الغريب: **لا أنازعه**: أي أطيعه وأرضى بحكمه. **ذي نقمات**: بكسر النون وفتح القاف، المنتقم من الكفار. قيله: قوله، وهو القول النافذ. والمعنى يصف حاله عند النبي ﷺ حين قدم عليه في المسجد، ووضع يده يستأمنه.

٤٣- لَذاكَ أَهْيَبُ عِنْدي إذْ أُكَلِّمُهُ وقيلَ إنَّكَ مَنْسوبٌ ومَسْئُولُ

الغريب: **أهيب** : أشد الخوف. **منسوب**: إلى أمور صدرت منك كقولك لأخيك بجير(سقاك بها المأمون) أو المعنى: قبيلتك التي قد تجيرك مني قد نبذتك وتركتك. والمعنى: إنني أخاف من الرسول وأتهيب من تكلمه لا سيما وقد قيل لي سيمتحنك ويسألك.

٤٤- مِنْ ضيغمٍ مِنْ ضراء الأُسْدِ مَخدرهُ مِنْ بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونَهُ غيلُ

الغريب: **الضيغم**: الأسد. ضراء (الأرض أو الأسد) الأرض التي فيها شجر. المخدر: غابة الأسود. عثّر: مكان مشهور بكثرة السباع قرب بلدة تباله. **الغيل**: الشجر الكثيف الملتف نتيجة جريان الماء حوله طيلة العام. والمعنى للبيت: أن الرسول ﷺ أهيب من الأسد في غاباتها وهي أشد ما تكون قوة إذا كانت مجتمعة وفي عرينها.

٤٥- يَغْدو فَيُلْحِمُ ضِرْغامَيْنِ عَيْشُهُما لَحْمٌ مَنَ القَوْمِ مَعْفورٌ خَراديلُ

الغريب: **يغدو**: من الغدو وهو الخروج أول النهار. **يلحم** : يطعم اللحم. **الضرغام**: شبل الأشد. **معفور**: ملقى في التراب. **والخراديل**: بالدال بالمعجمة والمهملة: هو القطع الصغار. والمعنى للبيت: يصف الأسد بأنه يخرج من خدره في الصباح فيطعم شبليه من لحم البشر. ويتركها قطعاً متناثرة في التراب، لكثرتها بعد شبعها.

٤٦- إذا يُساوِرُ قِرْناً لا يَحِلُّ لَهُ أنْ يَتْرُكَ القِرْنَ إلاَّ وهَوَ مَغْلُولُ

الغريب: **يساوره**: يواثبه. **والقرن**: المماثل. **والمغلول**: المكسور المهزوم. **والمعنى**: إن هذا الأسد القوي لا يقارع وينازل إلا مثله ومع هذا يهزمه ويغلبه.

٤٧- مِنْهُ تَظَلُّ سَباعُ الجَوِّ ضامرةً ولا تَمَشَّى بِوادِيهِ الأراجِيلُ

الغريب: الجو اسم لموضع، أو ما اتسع من الأودية، أو ما بين السحاب والأرض. ونافرة شاردة بعيدة. ضامرة: جياع. وضامرة: بالزاي: الحيوان الذي لا يجتر من الفزع. **والأراجيل**: الجماعة من الرجال. والمعنى يصف الأسد بالقوة والشجاعة حتى أنه لتخافه شجعان الرجال وأقوياء السباع من الحيوان والطير.

٤٨- ولا يَـزالُ بِواديـهِ أخُـو ثِقَـةٍ مُطَـرَّحَ البَـزِّ والدَّرْسـانِ مَـأْكـولُ

الغريب: **أخو ثقة**: يراد به الشجاع. **مطروح ومفرج**: مخضب بالدماء. **والبز**: السلاح. **الدرسان**: الثياب الخلقة. والمعنى: لا يمر بوادي هذا الأسد أحد من الأقوياء الشجعان إلا طرحه، ومزق ثيابه، ولحمه، وأكله. وهذا الأسد لا يأكل إلا الأقوياء الشجعان.

٤٩- إنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضاءُ بِهِ مُهَنَّـدٌ مِـنْ سُيـوفِ اللهِ مَسْلُـولُ

الغريب: **يستضاء** : يهتدي بهديه. المهند: السيف. **المسلول**: المخرج من غمده. وكانت عادة العرب إذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم اشهروا السيف الصقيل فيبرق ويلمع فيأتون إليه. **والمعنى للبيت**: يقول الشاعر إن الرسول دينه واضح بين للعيان فيما يدعو إليه كما أن السيف الصقيل إذا أخرج من غمده يلمع في وضح النهار.

٥٠- في عُصْبةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قالَ قائِلُهُمْ بِبَطْـنِ مَكَّـةَ لَمَّـا أسْلَمُـوا زُولُـوا

الغريب: **العصبة**: الجماعة من الناس. **الفتية**: جمع فتى وهم الأسخياء والكرام. **زولوا**: أي انتقلوا وتحولوا من مكة إلى المدينة مهاجرين. **والمعنى للبيت**: يمدح المهاجرين من قريش لما امتثلوا أمر الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة فتركوا أموالهم وديارهم.

٥١- زالُوا فمَا زالَ أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ عِنْـدَ اللِّقـاءِ ولا مِيـلٌ مَعازيـلُ

الغريب: **الأنكاس**: جمع نكس وهو الرجل الضعيف. **والكشف**: جمع كشف وهو الرجل الذي لا ترس معه يحمي رأسه في الحرب. الميل: جمع اميل: وهو الذي لا سيف معه، أو الذي لا يحسن الركوب على الخيل فيحمل على السرج.

والمعازيل: جمع أعزل وهو الذي لا سلاح معه. والمعنى: لما قال لهم الرسول ﷺ هاجروا وقاتلوا امتثلوا أمره فهاجروا وقاتلوا وهم حملة السلاح الشجعان في الحرب لا ينكشفون ولا ينهزمون.

٥٢- شُمُّ العَرانِينِ أبْطالٌ لُبوسُهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ في الهَيْجَا سَرابيلُ

الغريب: **شُم العرانين**: الأنوف المرتفعة. **نسج داود**: الدروع التي تلبس في الحروب. والمعنى : يصف الشاعر الصحابة المهاجرين، بأنهم أصحاب أقدار رفيعة ، ومنازل عالية، شجعان مغاوير، ثيابهم الدروع يتسربلونها ليلاً ونهارا.

٥٣- بِيضٌ سَوَابِغُ قد شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ كأنَّهَا حَلَقُ القَفْعَاءِ مَجْدولُ

الغريب: **بيض السوابغ**: هي الدروع الطويلة مجلوة تلمع ادخل حِلقْ بعضها في بعض فهي متماسكة قوية. **القفعاء**: نبات له شوك ينبسط على ظهر الأرض. **مجدول** : محكوم الصنعة. المعنى للبيت: يلبسون دروعاً، محكمة الصنعة، تلمع مجلوة عن الصدأ، طويلة ضافية على أجسامهم، منبسطة كانبساط الحسك مع شوكه على وجه الأرض.

٥٤- يَمْشونَ مَشْيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابيلُ

الغريب: **الزهر**: البيض. **يعصمهم**: يمنعهم. عرّد: أعرض وهرب. **والتنابيل**: القصار من الرجال. والمعنى: يصف المهاجرين بطول القامة، وبياض البشرة وإذا مشوا مشوا بوقار وسؤود إذا جزع غيرهم ممن هو دونهم وأعرض.

٥٥- لا يَفْرَحونَ إذا نَالتْ رِماحُهُمُ قَوْماً ولَيْسوا مَجازِيعاً إذا نِيلُوا

الغريب: **مفاريح**: كثيروا الفرح. **نالوا**: أصابوا. **مجازيع**: كثيروا الجزع.

والمعنى للبيت: لا يفرحون كثيرا بقتلهم أو أسرهم لأعدائهم، وإذا غلبوا أو هزموا لا يجزعون لشجاعتهم وقوة بأسهم.

٥٦- لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاَّ فـي نُحورِهِـمُ وما لَهُـمْ عَـنْ حِيـاضِ المـوتِ تَهْليـلُ

الغريب: **حياض الموت**: ساحات القتال. **التهليل**: التأخر. والمعنى إن وقوع الطعن في نحورهم وصدورهم دليل على شجاعتهم فلا ينهزمون و يتأخرون عن ملاقاة العدو.

الدراسة والتحليل للنص:

إن تعرض الإنسان للخوف يحول حياته إلى تفكير دائب بفكرة واحدة لا تنقطع وهي فكرة "الموت" وهذا ما تؤكده القصيدة حيث عبرت عن صراع تمثل في الأمل في وصال سعاد، واليأس من لقياها، ممزوجة بالرهبة والخوف، مما حمل الأبيات مدلولا رمزيا سما بالمضامين عن معناها المباشر.

هذه الملاحظات تلفت النظر إلى ما يكمن في أصل نظم قصيدة البردة من حالة نفسية تتمثل في الخوف وفي المؤشرات عليه. ونرى أن عوامل الخوف تجلت في المؤشرات الآتية:

١- الوعيد

٢- سعاد بين الماضي والحاضر.

٣- الناقة والاستقصاء للصورة

٤- الوشاة حيث يظهر خوفه من الوشاة

٥- الأسد واستقصاء صوره.

١- **الوعيد:** فقد أباح الرسول ﷺ دم كعب بن زهير لتعرضه النبي والدين والمسلمين بالإساءة، وأن الشاعر كان يهجو الرسول- ﷺ- ويحرض عليه، ويدس في مجالسه من يناله بمكروه، جريا على ما فعله كثير من الشعراء.

وبعد الفتح، قتل الرسول ﷺ من هؤلاء الشعراء المهدورة دماؤهم من قتل، مما أصاب زهيراً بالفزع الشديد، فتاه في الأرض، محاولاً الفرار من كل مسلم- فهم جميعا بالنسبة له أعداء، إلى أن وصلته رسالة أخيه بجير، التي يطلب فيها منه الاعتذار للرسول ﷺ ويبين له طبيعة الرسول(ﷺ) السمحة، فالرسول لم يقتل تائبا أبدا. و قد ظهر هذا الخوف جليا في قول الشاعر:

أُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

فقد تجلى الخوف بما وصل إلى سمعه من الأخبار أن رسول الله- ﷺ - أهدر دمه ولكن كما قال: (**والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ**) آمل العفو منه وهو أهله.

٢- **مؤشر الخوف(سعاد) :**

تعكس مقدمة القصيدة خوف الشاعر من حاضره الذي أصبح مليئاً بالفزع والخوف، وتعلقه بماضيه السعيد، إذ استهل القصيدة بقوله:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

بدأ البيت بكلمة بانت، وهي كلمة يندر البدء بها، وتحمل معنى البعد والانقطاع، ألحقها بكلمة "سعاد" المراد بها محبوبته، فالقصيدة، إذن، تبدأ ببعد وانقطاع لشخص من الماضي محبب إلى نفس الشاعر، وقد ألحق الشاعر كلمة "سعاد" بفاء تفسيرية (فقلبي) ، ويقصد أن هذا البعد هو ما سبب له الألم

والحزن، وقد أقرن ذلك بزمن "اليوم" لتدليل على الحاضر.

وكأنما الشاعر يريد أن يقول لنا: أن حاضره بائس حزين على عكس ماضيه الذي كان سعيد مشرقا، فنلحظه يشيح بنظره عن حاضره البائس الذي ظهر في البيت متحركاً، في حين ظهر الشاعر ثابتاً، فقال: " مكبول"، والكبل هو أعظم ما يكون من الأقياد.

فسعاد هي الماضي المنصرم بالنسبة للشاعر بمعنى آخر: سعاد تجسيد للإحساس بالماضي الذي يدبر عنه متمثلا في حياة الجاهلية التي انتهت بانتصار الإسلام، فسعاد تشبه أن تكون صورة من باطل حياة الجاهلية المدبر.

ونستطيع أن نلحظ ارتباط سعاد بحياة الشاعر الماضية من خلال الصفات التي وصف بها الشاعر سعاد. فهي كالحياة متقلبة. يقول:

فما تَدومُ عَلَى حالٍ تكونُ بها كَما تَلَوَّنُ في أثْوابِها الغُولُ

وهي لا تحفظ العهد، وتمني صاحبها بالأماني التي لا تلبث أن تزول، فيقول:

فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ إنَّ الأمانِيَّ والأحْلامَ تَضْليلُ

كما جاءت سعاد في الأبيات بوصفها المحبوبة التي لا يستطيع الشاعر نسيانها وإن هجرته وابتعدت عنه لتعلقه الشديد بها، وهذا التعلق يشبه تعلق الإنسان بماضيه وحياته الراحلة. يقول:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

من جهة أخرى هي كذلك تصوير للأفق الجديد الذي يريد الشاعر أن ينتهي إليه بانصرافه عن باطل حياة الجاهلية إلى نور الإسلام. فسعاد رمز له

واجهتان، فسعاد الأولى المذكورة في أول القصيدة غير سعاد الثانية التي يذكرها في قوله: أمست سعاد.

فبالرغم من أن سعاد هي رمز الماضي المنصرم والحياة السعيدة الراحلة، إلا أنها تحمل دلالة إيجابية، فهي رمز رحلة الخلاص والحياة الجديدة التي تحتاج منه إلى التأهب والاستعداد، فهي تمثل رحلة تحديد مصير، التي ينتظر الشاعر في نهايتها الوصول إلى مبتغاه، وهو عفو الرسول- (ﷺ)- واللحاق بركب الإسلام.

أمْسَتْ سُعادُ بِأرْضٍ لا يُبَلِّغُها إلاَّ العِتاقُ النَّجيباتُ المَراسِيلُ

فلننظر أولا للزمن الذي اختاره الشاعر في البيت للحديث عن الرحلة، فقد قال:" أمست"، وهو زمن يناسب حالة الشاعر، فهو مهدور الدم يحتاج إلى التخفي، والمساء أنسب الأوقات لذلك. ثم فلننظر للمكان الذي اختاره، فالشاعر خائف لدرجة أنه لم يستطع تحديد المكان في البيت، فقال: "أرض"، وهي كلمة مبهمة تناسب حالة الشاعر، فمصيره المبهم يجعله غير قادر على تحديد مكان يذهب إليه.

٣- **من مؤشر الخوف (الناقة)** والاستقصاء للصورة:لقد استخدم الشاعر أسلوب الاستقصاء على نحو واسع في القصيدة، ونعني بالاستقصاء هو: التركيز على جزيئات وتفصيلات الصور الفنية إلى حد كبير. ومنبع ذلك هو التفكير المتواصل بفكرة الموت الذي يلاحقه، وللتأكيد على هواجسه التي تتراءى له في كل ما هو حوله.

ويستطيع القارئ أن يلمس أن صور هذه القصيدة قد جاءت نتيجة كد ذهني، استغل فيها الشاعر ما استطاع من طاقة اللغة، وعمد إلى الاستقصاء فأصبحت كل كلمة وكل مفردة في القصيدة تشد أزر الأخرى، وتأكد المعنى

وتقويه، بحيث يشعر القارئ أن لا زيادة لمستزيد، أي أن الصور التي قدمها الشاعر بشكل أو بأخر صورا مثالية بلغت الذروة في بنائها.

وتعد صورة الناقة وهي تسير والعرق يتصبب منها من أكثر صور القصيدة ارتباطا بحالة الشاعر النفسية، إذ استخدم الشاعر الاستقصاء للتعبير عن سرعة الناقة. كما قال:(**إلاَّ العِتاقُ النَّجيباتُ المَراسِيلُ**) و"مراسيل" هنا للتعبير عن الرحلة، والرحلة بالنسبة للشاعر هنا هي رحلة خلاص، ثم أتبع ذلك قوله:

- **مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقَتْ عُرْضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مَجْهولُ**
- **تَرْمِي الغُيوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ إذا تَوَقَّدَتِ الحَزَّازُ والمِيلُ**

ويظهر خوف الشاعر هنا من خلال حديثه المبهم عن الناقة، فظاهر الأمر أن الشاعر يصف الناقة، بأنها حديدية البصر تعرف جنبات الطريق وإن لم ترها من قبل. لكنّ الشاعر هنا كان يقصد نفسه، فهو يتحدث عن رحلته على الناقة، وهي رحلة غامضة غير محددة الوجهة، فيقول: "الأعلام" ويقصد العلامة الدالة على الطريق، وقد ظهرت في الأبيات غامضة غير محددة (طامس) ، وفي ذلك إشارة إلى خوفه واضطرابه وعدم قدرته على تحديد وجهة يسلكها. كما أشار الشاعر إلى مصيره المجهول- إشارة غير مباشرة- بقوله" ترمي الغيوب"، أي تتنبأ بالغيب "فالإنسان يتنبأ بالغيب عندما يسيطر عليه هاجس ما.

٤- **من مؤشرات الخوف أيضاً (الوشاة) حيث يظهر خوفه من الوشاة في قوله:**

- يسْعَى الوُشاةُ بجَنبَيْها وقَوْلُهُمُ إنَّك يا ابْنَ أبي سُلْمَى لَمَقْتولُ
- وقالَ كُلُّ خَليلٍ كُنْتُ آمُلُهُ لا أُلْهِيَنَّكَ إنِّي عَنْكَ مَشْغولُ
- فَقُلْتُ خَلُّوا سَبيلِي لاَ أبالَكُمُ فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحْمنُ مَفْعولُ

- كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ يَوْماً على آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ

فنلحظ هنا أن الشاعر يتصور كل من هم حوله أعداء له، وكل الناس من حوله واشون، وهو محاصر بالأعداء، يقول "**بجنبيها**" أي أن الأعداء يحاصرونه من جانبيه ويخبرونه أنه مقتول، كما نلحظ كثرة التأكيدات في الأبيات، وظهر ذلك من خلال استخدامه الجمل الخبرية، بدلا من استخدام الجمل الإنشائية، كما استخدم "إن" واللام المزحلقة زيادة في التأكيد، رافق ذلك تأكيد معنوي، إذ قال: " يا ابن أبي سلمى" فالشاعر يشعر أنه معروف ومشهور، حتى أن أي شخص يستطيع أن يميزه ويوشي به.

وهكذا تبقى فكرة الموت ماثلة أمام الشاعر، يسوق لها ما يؤكده في جميع جوانب حديثه وتنصب جميع مفرداته حولها؛ فمن الواضح أن الصورة السابقة من نسج خيال الشاعر وانعكاس لما يمر به من هواجس. ثم يشدد الشاعر الحصار على نفسه فيصور لنا أن كل الناس تخلو عنه، حتى أقربهم إليه (**كل خليل كنت آمله**) ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى اضطرابه . ثم نراه يستسلم لحقيقة الموت ويتقبلها، ويراها حتمية لابد أن تصيب كل إنسان، فالموت بالنسبة للشاعر حقيقة تتبلور جميع وجداناته حولها، فنراه يتقلب بين الهروب منها تارة، وتقبلها والاستسلام لها تارة أخرى، وتلك سمة الخائف، لأن الخائف لا يتسم بالثبات العاطفي.

٥- **من مؤشرات الخوف (الأسد)واستقصاء صوره:** فقد ظهرت معالم الخوف في رسم الأسد واستقصاء صوره بقوله:

لَـذاكَ أَهْيَـبُ عِنْـدي إذْ أُكَلِّمُـهُ وقيـلَ إنَّـكَ مَنْسـوبٌ ومَسْئُـولُ
مِـنْ ضيغمٍ مِـنْ ضراء الأُسْدِ مَخدرهُ مِـنْ بَطْـنِ عَثَّـرَ غِيـلٌ دونَـهُ غيـلُ
يغـدو فـيلحم ضـرغامين عيشـهما لحـم مـن القـوم معفـور خراديـل

ولا يـــزال بواديـــه أخـــو ثقـــة مضّـــرج البـــزّ والدّرســـان مـــأكول

يرى الشاعر أن وقوفه بين يدي الرسول -ﷺ- أهيب وأصعب عليه من وقوفه بين يدي أسد، واختار الشاعر الأسد لأنه أقوى الحيوانات، وزاد من قوته فجعله أقوى الأسود وأكثرها افتراسا.

إن الشاعر في هذه الأبيات أختار أسد قويا (ضراء الأسد) ، يسكن في مأسدة لا يعيش بها سوى أقوى الأسود وأضراها (بطن عثّر) ، والمكان مليء بالأشجار الملتفة التي لا فراغات بينها (غيل دونه غيل) . ومن الواضح أن الشاعر هنا يحاول أن يزيد من قوة الأسد بذكر هذه التفاصيل. ثم يزيد الشاعر الأسد قوة فيصوره لنا وقد خرج في الصباح الباكر للصيد، وفي ذلك إشارة إلى أنه كان جائع، والأسد إذا جاع زادت ضراوته.

وتستمر الصورة بالنمو من خلال الحديث عن أبناء هذا الأسد، فقال: " ضرغامين"، وابن الأسد يسمى شبلا، إلا أن الشاعر جعله ضرغاما لقوته، وكأنه يقول لنا: إذا كان أبنائه بهذه القوة، فكيف تكون قوته؟ ولم يكتفي الشاعر بوصف قوة الأسد، بل يزيد من قوته ورغبته في الصيد، فيحمله مسؤولية ضرغامين لا يأكلان إلا لحم البشر، فحاجة الأسد إلى الصيد كبيرة لأنه لا يبحث عن طعام لنفسه فقط، بل لأبنائه أيضا.

ثم تنتهي الصورة بمشهد الموت، فيصور الشاعر لنا مشهد الأسد وقد طرح رجلا شجاعا أرضا ومزقه إلى قطع صغيرة، ولتوضيح هذه الصورة يقول: " يريد أنه لا يمر بوادي هذا الأسد إلا أكله وطرح ثيابه التي مزّقها، فلا يولع إلا بالشجعان، ولا يلتفت لغيرهم. "

عناصر الصورة(التأثر الحسي بالبيئة):

إن التأثر الحسي بالبيئة يبرز في الموضوعات الثلاثة التي طرقها في قصيدته. فإذا ما تغزل بسعاد شبهها بالظبي في سواد عينيها، وإنها فاترة الطرف. جميلة الصوت

ولا يمنعه استرساله في وصف محاسنها من تشبيه ريقها بالخمرة التي علت بالماء وهو مدرك ولا بد أن الإسلام قد حرم الخمرة ونهى عن شربها، ولم تثنه مؤثرات البيئة عن ذكرها أمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحبه وفي مسجده، وهو قادم للاعتذار وطلب العفو. وتدفعه مؤثرات البيئة إلى الاهتمام بتجسيد برودة الماء التي علت بها الخمرة كأجمل ما يكون التجسيد وأبدع ما تكون الصورة الشعرية، فالماء عذب بارد صاف في منحنى رملي تكتنفه صغار الحصى أبعدت الرياح الهابة عنه الأوساخ والأدران وملأته سحابه بيضاء سارية ليلاً. للتأكيد على صفاء الماء وبرودته، حيث يبرد الجو ليلاً:

شجت بذي شبم من ماء محنية صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تجلو الرياح القذى عنه وأفرطه من صوب سارية بيض يعاليل

إنها حرارة الصحراء وقلة مياه الغدران الباردة تلك التي دفعته إلى أن يبدع في تجسيد هذه الصورة على الرغم من أن الاستطراد واضح فيها وكان في إمكان كعب تجاوزها لو أن الإسلام دخل قلبه في الصميم وأضعف لديه مؤثرات البيئة القوية التي بدت وكأنها أقوى من إيمانه بالإسلام. ويدفعه حماسه وهو يصف أخلاق سعاد المتبدلة وخصالها المتغيرة فتظهر مؤثرات البيئة قوية فيشبهها بتلون أثواب الغول وهو يدرك أو لا يدرك بأن الغول من الأشياء التي عفا عليها الإسلام، ولكنها مؤثرات البيئة التي تجذرت في نفسه قوية لا تقاوم، وإذا ما أراد أن يصور وصلها لم يجد تشبيهاً غير الغرابيل التي تسيح منها المياه إذا وضعت فيها ولا تتمكن من مسكها.

وتظهر مؤثرات البيئة بشكل أشمل في وصفه للناقة وهو أمر بدهي لأن كعباً كرجال عصره فهو لا يستطيع الوصول إلى سعاد التي أضحت بعيدة كل البعد يعسر الوصول إليها إلاّ على ظهر ناقة شديدة غليظة سريعة خفيفة الحركة لا تعرف معنى للوهن والتعب ذات همة عالية. قد جربت الأسفار الطويلة. تستطيع

بلوغ الأماكن البعيدة التي لا يستطيع غيرها من النوق الوصول إليها. وإذا ما اشتدت الهاجرة لا تكسل ولا تتوانى وناقة كعب غليظة الرقبة ممتلئة الرسغ تفضل جميع النوق في عظم خلقها. وقد خرج كعب على ما اعتادت عليه العرب في وصف الناقة كما يقول الأصمعي:

"هذا خطأ في الصفة لأنه قال هي غليظة الرقبة وخير النجائب ما يدق مذبحه ويعرض منحره[١] وذهب أبو هلال العسكري مذهب الأصمعي: "من خطأ الوصف قول كعب بن زهير: ضخم مقلدها لأن النجائب توصف برقة المذبح"[٢]. ونحن نرى بأن وصفه لها بضخامة الرقبة يتماشى مع وصفه لضخامة خلقتها ولا ينبو عن الذوق ولا يخرج عن المبالغة والتفخيم اللتين سادتا الشعر العربي قبل الإسلام وإنما يدلل على قدرتها الكبيرة في قطع المسافات الطويلة وأنها أقوى على السير من غيرها.

ويمضي كعب في وصفه لناقته بتأثيرات بيئية. فيصفها بكرامة الأصل، ملساء الصدر والخاصرة صلبة لم تحلب ولا تنال منها الحشرات والهوام إيذاء. وجبهتها صلبة ملساء، لم تنتج ولم تحلب فاحتفظت بقوتها. عظيمة الذنب كثير وبره تمر به على ضرعها لطوله وعظمه. وقد عدّ السكري ذلك عيباً في وصف الناقة حيث قال: "خطأ أن توصف بعظم الذنب وكثرت الهلب وأفضل منها للركوب أن تكون جداء قصيرة الذنب وإذا كانت للحلب فسبوغ الأذناب وكثرة الهلب يستحب فيها" [٣].

وينتقل كعب ثانية من وصف جسد الناقة إلى وصف رأسها: أنفها أقنى.

---

(١) شرح ديوان كعب بن زهي، ص ١١.
(٢) شرح بانت سعاد،ص ٥٣.
(٣) شرح الديوان، ص ١٣.

وأذناها كريمتان وخداها سهلان، أما عصب رجليها فقوي وأخفافها قوية صلبة وساقاها طويلان كأنهما ذراعا امرأة ثكلى تنوح وتلطم بكرها، فهي في أشد حالات لوعتها احتداماً في اللطم والنواح وهي تقطع قميصها عن صدرها من شدة اللوعة والحزن:

شد النهار ذراعاً عيطل نصف ... قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها ... لما نعى بكرها الناعون معقول
تفري اللبان بكفيها ومدرعها ... مشقق عن تراقيها رعابيل

إن هذا التشبيه الرائع لخلق صورة كاملة للناقة المحبوبة تدلل على براعة الأداء الفني في هذه القصيدة. وهي تذكرنا بالبراعة الفنية في وصفه لماء الغدير الذي مرّ ذكره.

وليس هذا فحسب وإنما حاول كعب أن يخلق نمطاً من الأجواء القصصية لإعطاء البعد النفسي له في رحلته الشاقة المترقبة، وفيها تصوير للتوحد الذي هو أقرب إلى التصعلك. فلا نرى في لوحة الرحلة غير الناقة والصحراء، والجبل المتلفع بالسراب والحرباء والجنادب بعد أن ابتعد عنه الأصدقاء وتجنبه المعارف وعافه الأحباب وأهدر دمه وفارقه الأخ والصحب ولم يبق أمامه في هذه السفرة الطويلة غير كلمة واحدة من رسول كريم تعيد إلى نفسه الاستقرار وتدفعه إلى التشبث بالحياة، ليحيا كما يحيا بقية الناس:

يوماً يظل به الحرباء مصطخماً ... كأن ضاحية بالنار مملول
كأن أوب ذراعيها وقد عرقت ... وقد تلفع بالقور العساقيل
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ... ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا[1]

(١) كعب بن زهير، الديوان، ص١١٣.

إن الوقوف عند موضوع الناقة يثير أكثر من مسألة نلخصها في الآتي.

أولاً: إنها المعادل الموضوعي لسعاد. فإذا كانت سعاد قد خذلته وتنكرت له فالناقة قد رافقته في رحلته الطويلة النفسية والمادية. إن وقوف كعب الطويل عند وصف محاسنها يدلل على حبه الشديد لها. فهو يتغزل بجمالها كما تغزل بجمال سعاد. بل أكثر عمقاً وتأثيراً. فإذا جاء تغزله بسعاد تقليدياً تذكرياً، فإن غزله بالناقة فيه من الصور الإيحائية المتجددة والتأكيد ما هو أبعد أثراً وأكثر عمقاً، إنه التعويض الشجاع لفقد يبدو مع مرور الزمن لا قيمة له، فإذا لم تكن سعاد خليقة به، فالناقة (هو) شجاعة عنيدة صامدة متوحدة ساعية لهدف، هو هدفه، فهي جزء منه وهو جزء منها، فهي كحصان امرئ القيس في معلقته، لقد كان فقد سعاد السبب الأساس في هذا الوقوف المتأني من الناقة المحبة المحبوبة. المتحركة المتلاحمة مع قائدها كعب، فهي على العكس من ناقة طرفة (الصورة)، فناقة كعب هي الحياة والأمل والمستقبل الموعود المترجى الهنيء.

ثانياً: الناقة بشجاعتها وقوتها وصمودها وتوحدها هي كعب بن زهير وهو إذ يصف الناقة بكل هذه الخصال الحميدة لا يصف إلاّ نفسه التي سعى إلى أن يجعلها تمهيداً لرضا الرسول (صلى الله عليه وسلم) عنه على الرغم من مواقفه الخطيرة منه، ولكنه، رجل شجاع شهم يطلب المغفرة من رسول كريم عرف بالسماحة والشهامة والعفو عند المقدرة.

ثالثاً: الناقة هي الوسيلة للوصول إلى حضرة الرسول الكريم (ﷺ). فلا يمكن الاستغناء عنها في بيئة صحراوية ولرجل تشبع بالعصبية الجاهلية وأثرت فيه

البيئة كل هذا التأثير الكبير، وهكذا نجد التلاحم عظيماً بين ما سمي بالغزل ووصف الناقة والاعتذار والمديح للرسول (ﷺ) إنها الوحدة الموضوعية والعضوية معاً والذي يقود كل جزء منها إلى الجزء الأخير حتى نهاية القصيدة.إن وصف الناقة جزء أساس في القصيدة لا يمكن تجاهله لدى أي باحث تشبع بجمال القصيدة وأدائها الفني الرفيع.

وماذا عن الجزء الأخير من القصيدة، الاعتذار والمديح وتأثير البيئة فيهما ؟!

إن الشاعر وهو يصور مشاعر الرهبة في حضرة الرسول (ﷺ) وما سمعه عنه لم يجد تشبيهاً له غير الفيل لضخامته حتى أنه توهم بأنه أكثر الحيوانات قوة سمع. وربما عزا ذلك لكبر أذنيه، والشاعر مولع بالمبالغة والتفخيم. وجاءت صورة الفيل المرتعد الخائف قبل أن يسمع العفو ويحصل على الأمان من الرسول (ﷺ) جميلة رائعة على العكس من البيت السابق عليها.

وإذا ما أراد أن يجد تشبيهاً للرسول لم يجد غير الأسد والسيف، وهو يعطي لهذين التشبيهين أجمل ما لديه من أداء فني، فهو يصف هيبة الرسول (ﷺ) بهيبة أسد لم يبرح أكمته بعد أن اصطاد فريسة ومزقها وأطعم من بقاياها أولاده حتى بانت الحمر الوحشية الخائفة عازفة عن الإطعام والاجترار لشدة هلعها وخوفها من هذا الضيغم المهيب:

لذاك أهيب عندي إذ أكلمه ... وقيل إنك مسبور ومسئول
من ضيغم من ضراء الأسد مخدره ... ببطن عثّر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ... لحم من القوم معفور خراذيل
إذا يساور قرناً لا يحل له ... أن يترك القرن ألاّ وهو مغلول
منه تظل حمير الوحش ضامزة ... ولا تمشى بواديه الأراجيل

إن هذه الصورة الجميلة التي أعطاها الشاعر للرسول (ﷺ)، هي بالإضافة إلى جمالها الفني تعبر عن الواقع النفسي الخائف للشاعر المذعور الطالب للمغفرة

والأمان كما سنرى.

وهي بحركة الجزئيات الموجودة في داخل الصورة تعكس الوضع النفسي المتقلب للشاعر بين طمعه بالعفو وخشيته من العقاب، وهي ليست استطراداً كما قال بعض الشراح وإنما جزء مهم من الصورة لا تكتمل اللوحة بدونه. ونحن نعجب كيف أهمل كاتب حساس ومتذوق رفيع للشعر مثل هذه الصورة ولم يعرها أي اهتمام[١].

وإذا ما شبه كعب الرسول (ﷺ) بالسيف لم يأت بجديد وحتى عندما يكون هذا السيف مهنداً ولكن الشاعر خصّ هذا السيف بصفة لم يسبقه أحد إليها أنه من سيوف الله ومشهَر دائماً في وجه الأعداء والمشركين، وهكذا جمع كعب في الاستضاءة به بين الرسول وسيف الله المسلول حتى أصبحت هذه الصفة بعد ذلك من صفات خالد بن الوليد كناية عن شجاعته وقوته وشدة بطشه بالأعداء[٢].

وهكذا لم يجد كعب أقوى وأعظم من الأسد والسيف ليشبه بهما الرسول (ﷺ) ولكنه عندما مدح المهاجرين أعطاهم صفات بيئية يفخر بها العربي؛ فهم شم الأنوف، أبطال شجعان، لباسهم الدروع السابغة لأنهم لا يعرفون معنى للراحة حتى يستتب الحق بانتشار الإسلام. وإذا ما وقف الشاعر واصفاً الدروع التي يرتديها صحب الرسول وقف وقفة متأملة واختار تشبيهه للدرع بنبات انتزعه من البيئة الصحراوية (كأنها حلق القفعاء مجدول).

فهم قد تعودوا على النصر ولا تخيفهم الهزيمة لأنهم مقبلون دائماً على

(١) طه حسين،حديث الأربعاء، ج١،ص ١٢٣.

(٢) قال النبي (ص) في غزوة مؤتة: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه. ونقل ابن كثير أنه (ص) قال أيضاً: اللهم إنه سيف من سيوفك أنت تنصره. قال ابن كثير: فمن يومئذ سمي سيف الله، السيرة النبوية، ابن كثير ج٣:ص ٤٦٩، ٤٦٦.

أعدائهم لا يعرفون للأدبار معنى وإذا ما شبه مشيهم اختار أحب الحيوانات إليه وأقربها إلى نفسه (الجمال) وأعطاها صفة البياض المستحبة، وجاءت المقابلة بين (الجمال الزهر يعصمهم ضرب) وبين (إذا عرد السود التنابيل) رائعة جداً لبيان عظمة المهاجرين وخور وجبن أعدائهم. وقال شارح الديوان: "ويقال إنه عرض بالأنصار في هذا البيت فيما قال الذي أراد قتله عند النبي (ﷺ) [١].

من الأساليب البلاغية في نص البردة:

١- الوصف والنعوت: يظهر لنا من خلال النص المعجم الشعري لدى كعب بن زهير فهو استخدم جملة الألفاظ التي تعكس شاعريته وقوتها فاستخدم أوصافا ونعوتاً كثيرة تبين المظهر الحسي والنفسي سواء أكانت هذه النعوت مباشرة أم غير مباشرة أو خبراً أو مفردة أو متكررة لاحظ الأمثلة الآتية:(فقلبي، اليوم، متبول متيم إثرها لم يفد والبعض الآخر مستفاد من جملة فعلية مثل: إلا أغن، غضيض الطرف؛ مقبول- العتاق، النجيبات، المراسيل، الوشاة – مقتول- مشغول- وإن طالت سلامته، يستضاء به، مهند ، مسلول، أنكاس، شم العرانين ...

٢- التشبيه: في هذه القصيدة نقف مع أربع تشبيهات: الأول ورد في قول الشاعر:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

فالشاعر هنا قدم التشبيه في صورة المقارنة بين حبيبته والغزال وقد بالغ به وحاول أن يضفي عليها بعض الجدة بتخصيصه في الغنة وغضاضة الطرف

(١) شرح الديوان ص ٢٤.

واكتحال العينين. حيث شبه هذه المحبوبة بالجمال وغنة الصوت بالغزال.

الثاني: قوله:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل

حيث شبه مواعيد المحبوبة بمواعيد عرقوب فقد استفاد من الأسطورة أو المثل الجاري ليجلو معانيه ويؤكد تلك الصفة في محبوبته.

الثالث: في قوله:

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

فقد تشبه في عظم خوفه من الرسول بالفيل وهو تشبيه افتراضي إيحائي وليس واقعيا كتشبيه الحبيبة بالغزال أو نفسيا كتشبيه وعودها بوعود عرقوب. وهو تشبيه استطرادي انصرف فيه إلى التفاصيل والجزئيات.

الرابع: في قوله:(لذاك أهيب عندي من خادر من ليوث الأسد) فالتشبيه هنا يقوم على المقارنة بين النبي والأسد المتربص، مع إيثار للنبي. فهو لا يقوم على المقابلة بل على المفاضلة بحيث يسمو المشبه على المشبه به.

ومن الأساليب التي استخدمها الشاعر: **أسلوب التمني** وهو من الإنشاء الطلبي في قوله: (**لو أنها صدقت موعودها- أو لو أن النصح مقبول**): والتمني ينطوي على معنى النفي والاستحالة. فتمنيه لصدق وعدها ينم عن تعذُّره عليه. ومثله قوله أيضاً(**أرجو وآملُ أن تدنو مودتها**) حيث تجسد التمني بفعله المباشر وهو التوسل للمحبوبة.

أيضاً من الأساليب التي استخدمها الشاعر هنا (الأمر والنهي) وهما يعبران

عن الموقف والإرادة كقوله : (**لا يغرنك ما منت**) نهي طلب الكف على وجه التحذير . ومنه (**لا تأخذني بأقوال الوشاة**) نهي يهدف من وراء ذلك الاستعطاف. أمّا الأمر فمثل قوله(**خلوا سبيلي**) ويقصد من خلاله الثورة والتذمر والمضي في الرأي بما يخالف الآخرين. ومنه أيضاً (**مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن**) ويقصد من خلاله التريث والتنبيه والاستدراك.

ومن الأساليب التي استخدمها الشاعر أسلوب الحصر والاستثناء في قوله:(**وما سعاد....إلاّ أغن**) وهو يفيد التخصيص في المبالغة والغلو والمثالية. ومنه قوله: (**وما مواعيدها إلاّ الأباطيلُ**) ويقصد منه النعت المنفرد المستقل بحيث يمنع عنّا أي افتراض دونه فهو يدل على الاطلاق والتأكيد. ومنه أيضاً (لا يبلغها إلاّ العتاق) ويهدف منه الغلو في بعد المسافة ومشقة السفر. ومنه قوله(لا يقع الطعن إلا في نحورهم) ويفيد معنى الاطلاق والتأكيد .كما استخدم أسلوب الحوار أيضاً وقد بدا في مثل قوله(وقولهم: إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول) ومنه (**قال: كل خليل كنت آمله**) ومنه (**فقلت خلوا سبيلي**).

❖❖❖

الفصل الثالث

النثر الفني في صدر الإسلام

١- نشأة النثر الفني وتطوره

٢- الخطابة موضوعاتها وخصائصها

٣- أدب الرسائل

المبحث الأول

نشأة النثر الفني في عصر صدر الإسلام

نشأة النثر الفني وتطوره: تطور فن النثر عمّا كان عليه في الجاهلية بفضل نزول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وما نتج عنهما من دراسات جاءت لتفسر وتوضح وتبين ما في هذين الكتابين ونشأ تبعا لذلك فنون نثرية جديدة وتطورت فنون نثرية كانت موجودة في الجاهلية :

القرآن الكريم : وهو كلام الله الذي أنزله على عبده محمد بواسطة جبريل المنقول من اللوح المحفوظ في السماء السابعة ، وهو كتاب العربية المعجز في كونياته، والنثر الخالد المحتوي على أسرار كثيرة، وقد نزل من السماء السابعة إلى السماء الدنيا دفعة واحدة ، ثم نزل منجما حسب المقتضيات والوقائع والأحداث والتدرج والتكاليف والفرائض بمدة زمنية تصل إلى ٢٣سنة.

لقد نقل العرب نقلة نوعية من حياة البداوة والتخلف والجهل والظلام إلى حياة التحضر والعلم ، وأول سورة نزلت هي: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]. وآخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

(١) سورة العلق/١- ٥

يُظْلَمُونَ ﴾[١].

وقد نزلت قبل وفاة الرسول(ﷺ) بتسع ليالٍ ، وكان محفوظا في الصدور، ثم نقله الصحابة إلى السطور ، وقد رتب جبريل عليه السلام بوحي من الله سوره وآياته كما نراها اليوم ، وجمع على الجلود و اللحاف والعظام في زمن الرسول ﷺ، وأسرع أبو بكر وعمر إلى كتابته بعد مقتل سبعين قارئا من حفاظه ثم جمع عثمان القرآن في مصحف واحد ونسخه إلى خمس نسخ وزعها على الأمصار قسم القرآن إلى ثلاثين جزءا ثم أحزاب لتسهيل حفظه.

قام بتفسيره مجموعة من الصحابة كابن عباس . سعيد . عطاء بن رباح ، ثم تدرج تفسيره إلى أن بلغ عدد التفاسير نحو/ ١٧٠٠/ ونيف. نزل قسم منه في مكة وقسم في المدينة ، وقد أحصى السيوطي في كتابه : البرهان في علوم القرآن . أكثر من تسعين فناً وعلماً متعلق به. اهتمت سوره المكية بالحساب والعذاب ونفي عبادة الأوثان وقصص الأمم السابقة ، بينما اهتمت السور المدنية بالتشريع الديني والسياسي، والعسكري ونظام الأسرة والميراث والطلاق والزواج والبيع والشراء والزكاة . جُمع على لهجة قريش ، ووحد اللغة العربية وحفظها من الانقراض وما تزال كنوزه تستخرج بفضل العلوم الحديثة .

الحديث الشريف: يطلق مصطلح الحديث النبوي الشريف ، أو السنة النبوية عند المحدثين على كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، فمن قوله ﷺ: "عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر"[٢].

---

(١) سورة البقرة/٢٨١.

(٢) روى البخاري في صحيحه حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ،قال: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ مَنْصُورٍ ،عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّوَإِنَّ الْبِرَّ

ومن أفعاله التي نقلت عن السيدة عائشة أنه كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله ، ومن تقريره عليه السلام عدم إنكاره على خالد بن الوليد عندما أكل الضب أمامه ، وقد رفض عليه السلام أكل الضب قائلا: "إنّ نفسي تعافه وهو ليس في أرض قومي"[١] ، وتعود أهمية الحديث من كونه مفصلا ومفسرا وموضحا ومكملا لما جاء في القرآن الكريم وقد حفظ الكثير من الناس أحاديث الرسول وسجل بعضهم الكثير منها في حياته وإن كان قد نهى عليه السلام من كتابة الحديث حتى لا تختلط بكلام القرآن . وممن كتبوا في حياته : عبد الله بن عمر بن العاص في صحيفة أسماها الصادقة وقد مرّ تدوين القرآن في **ثلاث مراحل** :

١- مرحلة الصحف والأجزاء الصغيرة : وبقيت منتشرة حتى عصر أوائل التابعين.

٢- مرحلة ضم التسجيلات المتفرقة: وقد استمرت حتى أوائل القرن الثاني الهجري بدعم من الأمويين وبفضل ابن شهاب الزهري .

٣- مرحلة تصنيف الأحاديث في فصول وأبواب : ومن أشهر المصنفات في هذه المرحلة الموطأ لمالك بن أنس ثم أفردت الأحاديث في مؤلفات خاصة تسمى بالمساند وتخلو من فتاوى الصحابة والتابعين كمسند الإمام أحمد بن حنبل ثم دونت

= يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنّ الرّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتّىيَكُونَ صِدّيقًا و..صحيح البخاري / كتاب الأدب/ باب قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا/ حديث رقم : ٥٦٢٩

(١) الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم،ج٣،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط١، ١٩٩١م ،ص ١٥٤٣ . من كاتب الصيد رقم الحديث(١٩٤٦) ورد في حديث أبي أمامة بن سهل بن الحنيف عن ابن عبدالله بن عباس أخبره؛ أن خالد بن الوليد، الذي يقال له سيف الله أنه دخل مع رسول الله ﷺ على ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته وخالة ابن عباس .فوجد عندها ضبا محنوذا. قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجدٍ. فقدمت الضب لرسول الله ﷺ وكان قلما يُقدم إليه طعام حتى يحدث به ويسمي له فأهوى رسول الله ﷺ يده إلى الضب.فقالت النسوة الحضور أخبرن رسول الله ﷺ بما قدمتن له قلن هو الضبُّ. يا رسول الله! فرفع رسول الله ﷺ يده. فقال خالد بن الوليد : أحرام الضبّ يا رسول الله؟ قال: لا . ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه} .

كتب الصحاح كصحيح مسلم والبخاري وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجة.

أثر الحديث في اللغة والأدب والثقافة :لا تتعدى أغراض وموضوعات القرآن وموضوعاته المتركزة حول العقيدة والعبادة والمعاملات وشؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية وقد رويت أحاديث كثيرة بمعانيها لا بألفاظها مما جعل الروايات تختلف في الحديث الواحد، بالإضافة إلى ما صنعه الأعاجم من تغيير في هذه الروايات من تعديل وإبدال ألفاظ بألفاظ أخرى، مما جعل المفسرون، لا يحتمون بها في اللغة والاستدلال بقواعدها وإن كان البعض قد أجاز ذلك ومن أمثلة الأحاديث التي رويت رواية تواتر بلفظها ومعانيها، قال ﷺ مخاطباً الأنصار: أما والله ما علمتكم إلا لتقلّون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع.

وقال ﷺ: أوصاني ربي بتسع: أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية ، وبالعدل في الرضا والغضب، وبالقصد في الغنى والفقر وأن أعفو عمّن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرا.

وقوله ﷺ: حمى الوطيس . وقد دارت بعض أحاديثه دوران الأمثال كقوله : لا يلسع المؤمن من جحر مرتين . ويعد الرسول عليه السلام من فصحاء العرب وهو القائل : أنا أفصح العرب بيد أني من قريش[١]. وكان الرسول الكريم ﷺ يخاطب القبائل العربية بلهجاتها.

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط١، ١٩٨٢م،ص٥٩. وينظر المزهر في علوم اللغة العربية،ج١ ،ص١٧٥

أهم أنواع النثر التي برزت في هذا العصر:

١- الوصايا. ٢- الكتابة. ٣- الحِكَمْ ٤- الخطابة. ٥- أدب الرسائل

وسوف نقف مع الخطابة وأدب الرسائل بشيء من التفصيل ما أمكن.

١- **الوصايا:** كانت في الجاهلية مقصورة على حكمائهم وبلغائهم يوصون فيها عشائرهم وقبائلهم حين حضور الوفاة وعلى بعض النساء حين يوصين بناتهن عند الزواج.

- أمّا في الإسلام فقد أفاد منها الخلفاء في وصاياهم لمن يتولى الخلافة بعدهم ولأمراء الجيوش والقادة حين يرسلونهم إلى فتح أو جهاد .

٢- **الكتابة:**وقد كان لها شأن خطير لا يقل عن شأن الخطابة وخاصة فيما يتعلق بدعوة الأمم والممالك إلى الدخول في الدين وبالعهود والمواثيق التي كان يكتبها الرسول صلى الله عليه وسلم أو التي كان يكتبها الخلفاء لمن يولون أمور الولايات كما كان لها دور كبير حين اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وأصبحت العلاقة بين الخليفة وعماله لا تقوم إلا بها.

٣- **الحكم**: جاءت قليلة في هذا الطور حيث انصرف عنها جلّ العرب كما هو الحال في الأمثال ولكنها مع ذلك كان لها جريان على ألسنة الخلفاء الراشدين. كما يمكن لنا أن نلحق بها أحاديث الرسول التي أخذت شكل الحكمة والدالة على جوامع الكلم.

عوامل تطور النثر الفني في عصر صدر الإسلام:

١. إن العرب كانت الأمية شائعة فيهم وفي هذه الحال تصبح الخطابة هي الوسيلة الوحيدة لدعوتهم إلى الدين الجديد وإقناعهم به وإيصال شرائعه إليهم.

٢. أن الإسلام لما جاء أعلى من شأن العقل ورفع من قدره حيث اتجه به إلى الإقناع بالمنطق والحجة وجعل هذا شرطا في صحة العقيدة وهذا ما جعل الخطابة لها الدور البارز بتراجع الشعر الذي يخاطب العاطفة لتحل محله.

٣. أن الخطابة ارتبطت بالدين ارتباطا وثيقا فقد كانت في البداية أداة الدعوة الإسلامية ثم اتخذت بعد ذلك وسيلة للتشريع ورسم الحدود التي تقوم عليها الدولة في الإسلام ونظم الحياة في المجتمع.

٤. أن المجتمع العربي بعد الإسلام نال حظا من الرقي السياسي والاجتماع وبالتالي دعت الحاجة لتكون الصلة بين الرعية والنبي ﷺ وخلفائه والجيوش وقادتها.

٥. المواقف التي عاشها المسلمون بعد وفاة النبي وارتداد بعض العرب عن الإسلام ووقوع الفتنة بين المسلمين كل تلك المواقف أدت إلى أن يكون للخطابة مجالها الفسيح الذي جعلها ترقى وتزدهر.

٦. أن أهل العرب كانوا أهل لسن وفصاحة وكانوا يجيدون القول إعدادا وارتجالا وكانوا قادرين على تصريف وجوه الكلام بصورة تثير الإعجاب.

❖❖❖

المبحث الثاني

الخطابة موضوعاتها وخصائصها

الخطابة: كان للخطابة شأن خطير ودور رائد في حياة العرب في العصر الجاهلي، فلما جاء النبي محمد(ﷺ) بالدعوة الإسلامية استدعت تلك الدعوة من أهلها ألسنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها، فأصبحت الخطابة أداة الدعوة تشرح للناس أسرارها، وتبين المُثُل والقيم التي أتت بها، وتوضح خفاياها، وتحبب الناس فيها، وتجادل خصومها.

إن هذا الانقلاب الديني قد فجر كثيرا من الطاقات الكامنة عند العرب، وتلك الدعوة العظمى إلى الإسلام، قد أنشطت الألسن من عُقلها، وأثارت الخطابة من مكامنها، فكان أن تعاظمت وعملت على اختلاب النفوس بسحر بيانها، فوق ما كانت عليه في جاهليتها، وكان العمل الاكبر والأساسي لصاحب الدعوة سيدنا محمد (ﷺ) الذي بلّغ القرآن، وعمل جاهدا على نشر دعوته معتمدا كثيراً على الخطابة بدعوته عشيرته الأقربين، وذهابه إلى أحياء العرب، ولقائه الناس في الأسواق العامة وفي مواسم الحج، ثم في يثرب، ومع وفود العرب التي كانت تفد إليه من كل حدب وصوب، فيشرح لهم ببيانه ويفيض عليهم من عذوبة لفظه وسماحة لسانه.

مكانة الخطابة: كانت لها منزلة سامية عند العرب حيث كانوا يتباهون بالفصاحة في القول والارتجال به. يقول الجاحظ " كان الشاعر أعظم قدرا من الخطيب وهم إليه أحوج لردهم مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم فلما كثرت

الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر"[١] وهذا ما دفع أحمد حسن الزيات إلى أن يقول:" ليس في عصور اللغة عصر زها بالخطابة وحفل الخطباء كهذا العصر لانصراف العرب عن الشعر إليها واعتمادهم عليها في الدين والسياسة""[٢].

موضوعات الخطابة وأنواعها: أبرز موضوعاتها :أنها تناولت كل ما يتعلق بالعقيدة والسعادة في الدارين والحساب والعقاب والجنة والنار....

- **أنواعها ثلاثة:** ١- خطب المواعظ والتشريع

٢- خطب الحث على الجهاد

٣- خطب السياسة وبيان منهاج الحكم.

خصائص الخطابة في صدر الإسلام: تمتاز الخطابة في صدر الإسلام بأشياء أهمها:

أ- أنها كانت تسلك مسلكاً دينياً مفروضاً في خطب الجمع والعيدين والحج والمناسبات وذلك لخدمة الدين.

ب- كما تمتاز ببعدها عن الغرابة والاستكراه والسجع المتكلف ومطابقة الكلام لمقتضيات الأحوال.

ت- كما أنها عنيت بكثرة الاقتباس من القرآن الكريم وكلام الرسول ﷺ.

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين ، ،تح/فوزي عطوي ،دار صعب،بيروت،ج٣، ص٥٩٨

(٢) أحمد حسن الزيات تاريخ الادب العربي، دار الثقافة بيروت، ص١٩٢.

ث- كما تمتاز بقوة ووضوح الفكرة وسلاستها.

نموذج من خطب الرسول ﷺ : حجة الوداع: (نص الخطبة الوداع)

" أيُّها النّاسُ، اسمعوا قولي، فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعدَ عامي هذا، بهذا الموقِفِ أبدًا.

أيُّها النّاسُ، إنّ دماءَكم وأموالَكم عليْكُم حرامٌ، إلى أن تلقَوا ربّكم كحُرمةِ يومِكم هذا، وَكحُرمةِ شَهرِكم هذا، وإنكم ستلقونَ ربّكم، فيسألُكم عن أعمالِكم وقد بلّغتُ، فمن كانت عندَهُ أمانةٌ فليؤدِّها إلى منِ ائتمنَهُ عليْها وإنّ كلّ ربًا موضوعٌ، ولكن لَكم رؤوسُ أموالِكم، لا تظلِمونَ ولا تُظلَمونَ قضى اللَّهُ أنّهُ لا ربًا وإنّ ربا العبّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ موضوعٌ كلُّهُ، وإنّ كلّ دمٍ كانَ في الجاهليّةِ موضوعٌ، وإنّ أوّلَ دمائكم أضعُ دمَ ربيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطَّلب- وَكانَ مستَرضَعًا في بني ليثٍ، فقتلتْهُ هُذيلٍ- فَهوَ أوّلُ ما أبدأُ بِهِ من دماءِ الجاهليّةِ..

أما بعدُ أيُّها النّاس، إنّ الشّيطانَ قد يئِسَ أن يعبدَ في أرضِكم هذِهِ أبدًا، ولَكنّهُ أن يطاعَ فيما سوى ذلِكَ فقد رضِيَ بِهِ مِمّا تحقِّرونَ من أعمالِكم، فاحذروهُ على دينِكُم.

أيُّها النّاسُ: « إنّمَا النّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ مَا حَرّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرّمَ اللَّهُ » ، ويحرِّموا ما أحلّ اللَّهُ، وإنّ الزّمانَ قدِ استدارَ كَهيئتِهِ يومَ خلقَ اللَّهُ السّمواتِ والأرضَ، وَ «إنّ عدّةَ الشّهورِ عندَ اللَّهِ اثنا عشَرَ شَهراً منْها أربعةٌ حُرُمٌ» ، ثلاثةٌ متواليةٌ، ورجبُ الَّذي بينَ جُمادى وشعبانُ.

أمّا بعدُ أيُّها النّاسُ، فإنّ لَكم على نسائِكم حقًّا ولَهنّ عليْكم حقًّا، لَكم عليْهنّ أن لا يوطِئْنَ فُرُشَكم أحدًا تَكرَهونَه، وعليْهنّ أن لا يأتينَ بفاحشةٍ مبيّنةٍ، فإن

فعلنَ فإنّ اللَّهَ قد أذنَ لَكم أن تَهجُروهنّ في المضاجعِ، وتضرِبوهنّ ضربًا غيرَ مبرّحٍ، فإنِ انتَهينَ فلَهنّ رزقُهنّ وَكسوتُهنّ بالمعروفِ واستوصوا بالنِّساءِ خيرًا، فإنّهنّ عندَكم عَوانٍ لا يملِكنَ لأنفسِهنّ شيئًا، وإنّكم إنّما أخذتُموهنّ بأمانةِ اللَّهِ، واستحللتُم فروجَهنّ بكلمةِ اللَّهِ، فاعقلوا أيُّها النّاسُ قولي، فإنّي قد بلّغتُ وقد ترَكتُ فيكم ما إنِ اعتصمتُم بِهِ فلن تضلُّوا أبدًا، أمرًا بيّنًا كتابَ اللَّهِ وسنّةَ نبيّهِ.

أيُّها النّاسُ، اسمعوا قولي واعقِلوهُ تعلمُنّ أنّ كلّ مسلمٍ أخو للمسلِمِ، وأنّ المسلمينَ إخوَةٌ، فلا يحلُّ لامرئٍ من أخيهِ إلا ما أعطاهُ عن طيبِ نفسٍ منه فلا تظلِمُنّ أنفسَكمُ اللَّهمّ هل بلّغتُ قالوا: اللَّهمّ نعَم، فقالَ ﷺ: اللَّهمّ اشهَدْ"[1].

الأفكار الرئيسة في الخطبة :

١- **الفكرة الأولى:** من قوله (ﷺ) : (أيها الناس اسمعوا قولي ...إلى قوله فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية) الفكرة هنا هي التأكيد على ما جاء القرآن من وجوب تأدية الأمانات إلى أصحابها والوفاء بالعهود والمواثيق وتحريم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وتحريم الربا وأكل مال الناس.

٢- **الفكرة الثانية** من قوله(ﷺ): أما بعد أيها الناس: فان الشيطان قد يئس،.....إلى قوله....فاحذروه على دينكم) فالفكرة تحذير الرسول الكريم للمسلمين من وساوس الشيطان أو العودة إلى الجاهلية الذميمة التي حاربها الإسلام.

٣- **الفكرة الثالثة:** من قوله (ﷺ) :(أيها الناس: إن النسيء....إلى قوله ...ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان) الفكرة هنا بيان الرسول(ﷺ) عدة

(١) ابن جرير الطبري صحيح وضعيف تاريخ الطبري،ج٢ ص٣٤٤. وينظر: شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية،ج١٧، ط١ ،٢٠٠٤م، ص٢٦٤.

الشهور وتحديد الأشهر الحرم منها وتحذيره من المساس بها أو التلاعب بمواقيتها.

٤- **الفكرة الرابعة** يبدأ من قوله(ﷺ) : أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً... إلى قوله : واستحللتم فروجهن بكلمات الله) الفكرة هنا بيان حقوق، وواجبات كل من الزوج والزوجة تجاه بعضهما البعض مع التأكيد على رعاية المرأة وبيان كيفية تأديبها ومعاملتها.

٥- **الفكرة الخامسة** يبدأ من قوله(ﷺ) : (فاعقلوا أيها الناس قولي .... إلى قوله اللهم هل بلغت؟ نهاية الخطبة الفكرة هي توجيه الرسول الكريم للمسلمين بوجوب الاحتكام في كل أمر إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم مع التأكيد على أخوة المسلمين ونفي الظلم أو التظالم من بينهم.

الشرح والتأمل في نص الخطبة :

١- **الفكرة الأولى:** بدأ الرسول(ﷺ) خطبته هذه بحمد الله تعالى كما هي عادة الخطباء في الإسلام ثم خاطب الحجيج وأشعرهم بدنو أجله عليه السلام وأنه قد ينتقل إلى الرفيق الأعلى وأن عليهم أن يسمعوا قوله ويعوه ويتفهموه جيدا ويعملوا به وبعد أن جذب انتباههم إليه واستيقن من استماعهم وإصغائهم له بدأ عليه السلام بتوضيح أهم الحقائق والقواعد التي لا غنى للمجتمع الإسلامي عنها وقد ذكرها عليه السلام **على النحو الآتي:**

أ- تحريم قتل النفس الإنسانية التي حرم الله إلا بالحق وذلك ليقوم المجتمع الإسلامي على أساس من الوحدة والترابط لا تسوده الفوضى والخوف والثأر أو الحقد والعداوة. فمن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً.

إن قتل النفس الإنسانية ظلماً وعدواناً يترتب عليه انتشار الفوضى وتخلخل للمجتمع وتدمير له ولهذا كانت وصية الرسول الكريم الأولى للمسلمين هو بالحفاظ على أرواحهم ودمائهم والاحتكام دائما إلى الله ورسوله وقد جعل الرسول(ﷺ) نفسه القدوة في ذلك حين قال (وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث عبد المطلب...)[١] .

والنفس الإنسانية معززة مكرمة عند الله تعالى ولذلك فلا يجوز قتلها إلا في حالات حددها الشرع الإسلامي الحنيف وهي : الزاني المحصن. وقاطع الطريق الذي يروع المسلمين ويخيفهم ويسلب أموالهم ويقتلهم. والمرتد والخارج على جماعة المسلمين وفي كل هذه الحالات لا ينفذ حكم القتل إلا القاضي أو من ينيبه عنه للقيام بذلك.

ب- تحريم الربا الذي ورد في تحريمه النص القطعي(وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) [٢] ذلك إن الربا فيه استغلال للضعفاء والفقراء وفيه تجميع للأموال في يد فئة تصبح بواسطته هي المتحكمة والمتنفذة والمتسلطة والمحتكرة بينما المجتمع الإسلامي مجتمع الوحدة والتكافل لا يمكن أن يرضى بهذا الأسلوب.

ولحرص النبي(ﷺ) على حقوق الناس فقد بين إن للمرابي أن يسترد رأس ماله فقط وألا يعود للربا أبداً لأن الإسلام يَجُبُ ما قبله وهذا منتهى العدل والموضوعية وقمة الكياسة التي يحتاجها أبناء المجتمعات على أسس سلمية وصحيحة.

---

(١) المرجع السابق،ج٢، ص٣٤٤

(٢) سورة البقرة/٢٧٥.

ت- تأدية الأمانات إلى أصحابها كاملة غير منقوصة عندما يطلبها أصحابها فإذا شاع الأمن والاستقرار في المجتمع واطمأن الجميع إلى حقوقهم ازدهر المجتمع وتطور أمّا إذا شاع في المجتمع عدم الاستقرار والاطمئنان وخاف الناس على أموالهم ومصالحهم اختل ميزان المجتمع وبدأ يتدهور. فالأمانة عبء ثقيل لا يقوى على حمله إلا الإنسان ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (١).

٢- الفكرة الثانية: يحذرنا الرسول الكريم من أن نتبع الشيطان أو وساوسه خاصة وأن الشيطان يحاول وبشتى السبل التزيين للنفس الإنسانية أعمالها كي تقع في الخطأ والزلل وبعد ذلك يتخلى عنها ويبتعد والشيطان يستعمل أساليبه كي يغرر بالإنسان أو تزيينه ولا يتبع هوى النفس إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي. وعلى الإنسان المسلم أن يحذر الاستهانة بالأشياء لأن أعظم النار تأتي من مستصغر الشرر وهكذا يأتي الإنسان بالكبائر بعد أن يستهين بالصغائر.

٣- الفكرة الثالثة: يحذر الرسول (ﷺ) المسلمين من محاولة الخروج عن تعاليم الله تعالى بتحليل ما حرم أو تحريم ما حلل. وعليه فلا يجوز التلاعب بالأشهر الحُرم وهي: ذو القعدة وذو الحجة وحرم ورجب فلا يجوز القتال أو الاعتداء فيها. أما إذا المسلمون فيها فعليهم الرد بالمثل ولا يجوز العودة إلى الأعمال الجاهلية بتقديم هذه الأشهر أو تأخيرها كما يريدون وذلك كي يطمئن الحجيج إلى حجهم ويؤدوا مناسكهم دون خوف أو وجل وعليه فلا يجوز لمسلم أن يحل حراماً أو يحل حلالاً خدمة لشهوته أو طمعاً في الاعتداء وتحقيق

(١) سورة الأحزاب/٧٢

النصر على عدوه مستغلا أيام الحج والأشهر الحُرُم.

٤- **الفكرة الرابعة**: وفي الفقرة من خطبته عليه الصلاة والسلام يتحدث عن اللبنة الأولى في بناء المجتمع القوي المتماسك ألا وهي الأسرة وحقوق وواجبات كل من الزوج والزوجة على الآخر فللرجل على زوجته:

أ- ألا تدخل أحدا بيته إذا علمت أن زوجها يكره هذا الشخص ولا يرحب به في بيته.

ب- أن تحافظ الزوجة على نفسها وبيتها فالعفة والطهارة شرط أساسي لبناء الأسرة على أساس قوي ومتين أما إذا ساد العلاقة نوع من الشك أو الريبة فإن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع يصيبها الضرر والخلل.

وإذا أخلت بهذه الشروط فقد بين الرسول (ﷺ) أن المعالجة للأمر يكون على النحو الآتي وبالتدريج:

١- هجر الزوجة في المضاجع بأن ينام في مكان آخر غير مكان نومها وفي هذا إشعار من جانب الزوج لزوجته بغضبه وعدم قبوله لسلوكها وأن عليها أن تعدل عمّا هي فيه وأن تمتثل لأوامر الزوج الشرعية.

٢- إذا لم ترتدع الزوجة بعد ذلك أجاز الشرع للزوج أن يضربها للتأديب والردع وليس بقصد الإيلام والقسوة عليها كي تمتثل وترتدع فإن امتثلت وتوقفت عن غيها فلها على الزوج حقوقها التي بينها الرسول (ﷺ) في خطبته وهي: - رزقها أي الإنفاق عليها دون إسراف وتبذير أو بخل وتقتير. – كسوتها بالمعروف أي دون إسراف أو تقتير وأن يكون اللباس مما يرتضيه الشرع ساترا لعورتها يحفظ عليها دينها وخلقها –المعاملة الحسنة والمعاشرة الطيبة واحترامها وتقديرها فهي أمانة في عنق الرجل وضعيفة كالأسير تحتاج إلى كل عون ومساعدة.

الفكرة الخامسة : يؤكد الرسول(ﷺ) في هذا الجزء على أمور هامة نلخصها على النحو الآتي:

١- إن اعتصام المسلمين بقرآنهم وسنة نبيهم هو الضمان لوحدتهم وهدايتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة وإن الاحتكام اليها هو الضمانة الوحيدة لسيادة العدل بين الناس ورفع الظلم عن المظلومين وإعطاء كل ذي حق حقه و بدونهما تسود الفرقة ويتشتت الشمل وينفرط عقد الأمة وتضيع الحقوق.

٢- أنه لا يجوز للمسلم أن يؤاخي أحداً إلا مسلماً مثله فلا إخوة إلا بين المسلمين والمسلمون إخوة دماؤهم وأموالهم عليهم حرام فلا يجوز للمسلم أن يأخذ من أخيه إلا ما هو حق له أو أخذه هدية عن طيب نفس دون خجل أو إكراه لأنه إن كان كذلك فهو ظلم وغصب لحقوق الغير لا يجيزه الإسلام ولا يصح أن يقع بين المسلمين. وواجب المسلم لأخيه المسلم هو التناصح والتذاكر فيما بينهم في كل أمر يعرضون له في حياتهم اليومية في كل زمان ومكان.

الخصائص الفنية لخطبة الرسول(ﷺ):

١- تبدأ بالتحميد والثناء على الله تعالى وهذه سمة تشترك فيها جميع الخطب في صدر الإسلام وإذا ما خلت الخطبة من التحميد أطلق عليها اسم (بتراء).

٢- التأثر بأسلوب القرآن الكريم من حيث الاستدلال والتركيز على الحجة والإقناع والتأثير في السامعين لدفعهم إلى الإيمان والتصديق.

٣- الاقتباس من القرآن باللفظ أو المعنى أما الخطب التي لا تقتبس من القرآن فسميت(شوهاء).

٤- كانت ألفاظها سهلة وأسلوبها متين وقوي مع تجنب السجع وإيراد

الحكم كيف لا ؟ وقد أوتي عليه الصلاة والسلام جوامع الكلم.

٥- اشتمالها على التعاليم الدينية والنصائح القويمة، ووضعها الأسس القويمة لبناء المجتمع الإسلام الحديث ودولته الفتية.

٦- التنويع في داخلها بين الإيجاز والإطناب وبين الترغيب والترهيب وبين التحليل والتحريم وفيها التوازن والمقابلة بين الجمل والعبارات لجذب الانتباه وتعميق التأثير وسرعة الاستجابة.

اللفظ والمعنى: - أبرز ما ميز ألفاظ الخطبة ومعانيها هو السهولة والوضوح وذلك لأن الخطبة موجهة إلى الناس عامتهم وخاصتهم دون استثناء وعليه كان من صميم الحكمة والتوفيق الإلهي أن تأتي ألفاظه عليه الصلاة والسلام على هذا النحو من السهولة والوضوح ومن القوة والمتانة ، بعيدة عن التكلف أو التصنع أو المبالغات المقيتة التي تقلل من شأنه النص الأدبي.

- جاءت ألفاظه ومعانيه عليه الصلاة والسلام متأثرة بالقرآن الكريم ولذلك فقد اكتسبت سحرا وتأثيرا في نفوس السامعين الأمر الذي دفعهم إلى الإسراع في إبلاغ وصاياه عليه الصلاة والسلام.

الأسلوب:

١- اعتمد الرسول (ﷺ) أسلوبا عقليا قائما على إيراد الحقائق ومخاطبة العقل كي يميز بين الحق والباطل وبين الغث والسمين.

٢- اعتمد الرسول أسلوبا موسيقيا مؤثرا ليشد انتباه السامعين إلى أقواله وقد تأتى له ذلك من خلال المقابلة والموازنة بين الجمل والعبارات مع قلة التقديم والتأخير والحشو.

٣- كان أسلوب الخطبة قويا متينا حيث اعتمد الجمل الفعلية أكثر من

غيرها ليكسب النص قوة وتأثيرا كما اعتمد المزاوجة بين الخبر والإنشاء ولم يتح المجال للعاطفة للظهور كثيرا أو الخيال أن يحلق بل بقي بسيطا وفق ما اقتضاه الحال.

٤- إن أسلوب الرسول عليه الصلاة والسلام قد أعجز العرب وهم أئمة الفصاحة والبيان عن أن يقلدوه كيف لا وهو النبي الكريم المؤيد بوحي الله في كل ما ينطق أو يفعل أو يقرر ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ *إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [١].

❖❖❖

(١) سورة النجم/٣- ٤

المبحث الثالث

أدب الرسائـــل

من رسائل النبي للملوك (رسالته للنجاشي) أنموذجًا

رسالة رسول الله محمد – ﷺ – إلى النجاشي عظيم الحبشة

"بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ إِلَى النّجَاشِيّ عَظِيمِ الْحَبَشَةِ؛ أَسْلِمْ أَنْتَ، فَإِنّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللّهَ الّذِي لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدّوسُ السّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ وَأَشْهَدُ أَنّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطّيّبَةِ الْحَصِينَةِ فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَخَلَقَهُ اللّهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَإِنّي أَدْعُوكَ إِلَى اللّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَتْبَعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالّذِي جَاءَنِي فَإِنّي رَسُولُ اللّهِ وَإِنّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَقَدْ بَلّغْتُ وَنَصَحْت فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى"[1] من خلال ما سبق من الرسالة السابقة تظهر لنا أهم خصائص أسلوب الرسائل في عصر صدر الإسلام وهي على النحو الآتي:

١- الإيجاز حيث اقتصرت الرسالة على ما يؤدي المعنى ويوضحه.

٢- الخلو من المبالغة أو التهويل أو الزخرفة.

٣- الألفاظ محددة وواضحة.

٤- السهولة والوضوح.

---

(١) ينظر محمد الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ص ١٨١.

٥- التقابل والتضاد.

٦- مراعاة مقتضى الحال وذلك حين راعى النبي ﷺ ما في النصرانية من روح المحبة والتسامح والسلام فيضمن رسالته من أسماء الله الحسنى ما يتفق مع طبيعة هذا الدين(فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللّهَ الّذِي لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدّوسُ السّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ وَأَشْهَدُ أَنّ عِيسَى) مع أن نص الآية القرآنية ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] ولكن الرسول عرض في كتابه من أسماء الله الحسنى ما يكون النجاشي أكثر اهتزازا له وأشد خشوعا أمامه من غيره، وليبين ما بين الديانتين من تلاق صادق في العقيدة الألوهية. وجاء الحديث من قبل عن طبيعة السيد المسيح وأمه مريم...حديث تعظيم وتجلة وتوقير ردا على ما زوره بعث قريش لمحاولة الإيقاع بين النجاشي وبين مهاجرة المسلمين إلى الحبشة.

٧- **الاقتباس** وهذا ما نلاحظه عندما قال للنجاشي(رُوحُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطّيّبَةِ الْحَصِينَةِ) وهو اقتباس واضح من قوله تعالى:(إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)[2].

❖❖❖

(١) سورة الحشر/٢٣

(٢) سورة آل عمران/٤٥

الفصل الرابع

الدولة الأموية

البيئات والفنون الشعرية الجديدة والمتطورة

- المبحث الأول: الشعر السياسي
- المبحث الثاني: النقائض مفهومها وقيمتها الفنية ودراسة نموذج جرير والفرزدق.
- المبحث الثالث: بيئات الغزل واتجاهاته.
- المبحث الرابع النثر الفني وتطوره في العصر الأموي.

٢- عصر الدولة الأموية

البداية : عام ٤١ هـ النهاية : ١٣٢ هـ

وقد ظلت الخلافة في بني أمية من سنة ٦٦١- ٧٥٠م.أي من ٤١- ١٣٢هـ فتعاقب عليها منهم أربعة عشر ملكاً أولهم معاوية وآخرهم مروان بن محمد الملقب بالحمار لصبره على الأعمال.

المبحث الأول

الشعر السياسي

الشعر السياسي في العصر الأموي : ويقصد به : القصائد التي قيلت لإحياء أو تمجيد أو دعوة لفكرة سياسية أو هو نضال عن حكم أو نظرية معينة فيه[١]، فهو دفاع من جهة وهجوم من جهة أخرى، ودفاعه يكون عن نظرية يعتنقها جماعة وهجوم على خصومه الذين يعارضونه .

الأسباب التي أدت إلى ازدهار الشعر في العصر الأموي:

أ- ظهور الأحزاب السياسية.

ب- عودة العصبية القبلية.

ت- التنافس بين الشعراء.

ث- حياة الترف وكثرة مجالس اللهو والطرب والفراغ.

ففي هذا العصر (الأموي) كثرت الانشقاقات في الأمة الإسلامية وتكتلت على شكل أحزاب ومن أبرزها.

١. **الحزب الأموي**: الذي استحوذ على السلطة والنفوذ في هذه الفترة بمعنى أدق (الحزب الحاكم) أصبح في عهدهم (النظام وراثي) في بني أمية.

٢. **حزب الشيعة**: والذي تمثل بأهل البيت ومواليهم.

٣. **حزب الخوارج**: ويرى بعض الباحثين أنهم من أقدم الفرق الإسلامية

---

(١) محمد عثمان علي، في أدب الإسلام، ص ٣٧٤.

٤. **الحزب الزبيري**: الذي تزعمه عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأحزاب عدى الأول منها تلتقي في موضوع واحد وهو أن بني أمية مغتصبون للخلافة

لقد كثرت الخلافات والنزاعات السياسية بين العرب أنفسهم وبين العرب والموالي، كما كثُر الاضطهاد السياسي لخصوم الدولة الأموية، لذلك برزت ظاهرة الشعر السياسي بما فيها النقائض والفنون الأدبية الأخرى، كالخطابة والرسالة وديوان الرسائل والنقد.

لذلك أصبح الشعر لساناً يعبّر عن أهداف الجهة التي يعود إليها الشاعر. وهذا النوع من الشعر السياسي الديني يمثّل: الأدب والشعر السياسي الديني، والذي يحتوي على:

١ . **شعر الشيعة:** ويتمثّل بشعر الشاعر الكميت الأسدي.

٢ . **شعر الخوارج**: ويتمثّل هذا النوع بشعر عمران بن حطّان وقطري بن الفجاءة.

٣ . **شعر المرجئة:** وهم أمويون قالوا إنّنا نطيع الخليفة ولو كان فاسقاً ونرجئ أمره إلى الله فالله هو الذي يتولّى حسابه، ويمثّل هذا الجناح الأخطل المشهور بالخمريات، والحطيئة وجرير، إضافة إلى الفرزدق الذي كان يتردّد على البلاط الأموي لسدّ ودفع التهمة ولكنّه في آخر عمره قرّر مصيره مع أهل البيت.

أولاً . حزب الخوارج: سموا بذلك لأنهم خرجوا(ثاروا) على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفين أو لأنهم خرجوا في سبيل الله. " وقيل بل هم الذين سَمّوا هذا الاسم" [١] من قوله تعالى: ﴿ مَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ

(١) د. شوقي ضيف، التطور والتجديد، ص٨٧.

الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾[1]. والذي يلحظ على الخوارج هو غموض النشأة ويمكن أن يلمح صورا لها في الحوادث التالية:

١- حادثة الجعرانة حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم غزوة حنين فاعترض حرقوص بن زهير على عدالة القسمة فمثل باعتراضه روح الخوارج هذا الاعتراض الذي يرى العدل عدلا مطلقا ولا يعترف بسلطان الظروف والأشخاص.

٢- خروج أبي ذر على عثمان احتجاجا على سياسته المالية.

٣- النقمة والثورة على عثمان وقتله. وقد هاج فريق القراء المتدين عندما قبل علي التحكيم ورأوا في قبوله له أنه يحارب من أجل غرض دنيوي هو الخلافة وحده وقانونية هذا الحق وردد الهائجون صرخة (لا حكم إلا لله) معبرين عن سخطهم وهؤلاء الساخطون هم نواة الخوارج الذين يعرفهم التاريخ السياسي.

لقد نظم الخوارج صفوفهم بعد التحكيم وهاجموا (المدائن) وقتلوا عامل علي عليها فأسرع علي إلى محاربتهم. ولما كانت وقعة النهروان أنها التي اجتمع فيها اثنا عشر ألف من الخوارج صفا واحدا. وأهم أثر للنهروان أنها ركزت المذهب الخارجي ومنحته هذه الصبغة في الثبات من أجل الفكرة.

تعاليمهم: تعاليمهم السياسية تتعلق بالخلافة وجعلها شورى فهم الجمهوريون الأول في التاريخ الإسلامي أولى الناس بالخلافة عندهم أصلحهم لها. **وأما** تعاليمهم **الدينية** فمصبوغة بالتشدد والقسوة على مرتكب الكبيرة بينما تعاليم غلاتهم فإنها تعتبر بقية المسلمين مرتدين وتبيح لذلك قتلهم.

---

(١) سورة النساء/١٠٠.

كان الخوارج أول جماعة خرجت على علي ولكنهم سرعان ما أصبحوا حزبا سياسيا له طابعه الخاص وكانوا أصحاب رهبة وقوة لا يخافون ولا يتملقون لهم شخصياتهم إذ كانوا مخلصين جدا لوحدتهم ثم أنهم أشجع رجال العرب في الحرب.

أدبهم: للخوارج في الأدب مكانته كبيرة وأدبهم يدور حول السياسة والحرب والتقوى فهو أدب ثائر عنيف قوي مخلص ينبع من القلب مؤمنة بعقيدتها لا تهاب الموت في سبيلها ليعلن في عزيمة طاغية تمجيد الإخلاص في سبيل المبدأ ونكران الذات ويصور بحماسة فذة مصارع الأبطال في النضال دون الحق والجهاد في سبيل المثل العليا التي ارتضوها.

الوحدات ثلاث في شعر الخوارج: يقول د. إحسان عباس[1]:"من يتأمل في شعر الخوارج يجد أنه قد سيطرت على هذا الشعر وحدات ثلاث: وحدة الغايات، وحدة الخصائص، ووحدة التيارات النفسية.

أ- وحدة الغايات فتمثل النقطة التي تلتقي عندها أحلام كل واحد من أولئك الشراة وهي الاستشهاد في سبيل الله أو طلب الموت ويمثلها قول البهلول:

من كان يكره أن يلقى منيته ... فالموت أشهى إلى قلبي من العسل
فلا التقدم في الهيجاء يعجلني ... ولا الحذار ينجيني من الأجل

وحدة الخصائص فهي مجموعة الصفات السامية التي يمكن أن تقال في كل خارجي صادق العقيدة، ولذلك تشابه هؤلاء في الصورة العامة الكبرى وأصبح الشعر المقول في وصف الشاري لا يميز إلا باختلاف الأسماء لأنه لا فرق بين أبي

(١) ينظر: د. إحسان عباس، شعر الخوارج،دار الثقافة بيروت لبنان، ط٢، ١٩٧٤م، ص١٠- ١٢ بتصرف.

بلال ومطر وصالح بن مسروح وداود بن النعمان والخطار فكل واحد فيهم يمكن أن يقال فيه ما يقال في الآخر وهذه الخصائص تتمثل في كل فرد على حده.

ب- وحدة التيارات النفسية فتتمثل في الاتفاق على معاني التلوم النفسي عند أدنى شعور بالتقصير في جانب الوحدتين السابقتين: وحدة الغاية ووحدة الخصائص يقول الشاعر الخارجي:

ولقد مضوا وأنا الحبيب إليهم وهمُ لديّ أحبةٌ أبرارُ
قدرٌ يخلّفني ويمضيهم به يا لهف كيف يفوتني المقدار[١]

ويقول شاعر آخر:

إخوان صدق أرجيهم وأخذلهم أشكو إلى الله خذلاني لأنصاري

وتقول امرأة من الخوارج:

أحمل رأسًا قد سئمت حمله
وقد سئمت دهنه وغسله
ألا فتى يحمل عني ثقله[٢]

لقد تميز الخوارج بأدب له طابع خاص ومزاياه تكمن في الآتي:

١- الأسلوب عربي صرف يمثل فصاحة اللغة في أزهى أيامها.
٢- أدبهم أدب دعوة يلتزم مبدأ ويدافع عنه.

(١) ينظر: المرجع السابق،ص١٢.
(٢) شعر الخوارج،ص١٥.

٣- لم يكن يعبر عن عاطفة شخصية بل كان يعبر عن فكرة الخوارج أو فكرة الحرب ومبادئها. إلا أن الخوارج قلدوا الأقدمين مجاراة لهم فقد كان عندهم بعض الغزل العفوي العفيف.

٤- أدبهم صورة ناصعة وضاءة عن الأدب العربي يسمو بمدلوله ومعناه وغرضه وعاطفته.

٥- كانوا لا يقصدون من الشعر إلا ما كان سامي الغرض يدافع عن مبدأ أو يدافع عن عقيدة.

أبرز شعراء الخوارج: قطري بن الفجاءة، وعمران بن حطان، والطرماح (وشعرهم وأقوالهم المنثورة في كتب الأدب ولبعضهم ديوان مطبوع كالطرماح وسبب ضياع أدبهم وندرة أخبارهم التاريخية على عظم شأنهم في التاريخ يعود إلى أن السلطة الحاكمة فيما يبدو لم تكن تسمح بتداول ما لا يوافقها.

قطري بن الفجاءة: من قادة الخوارج وكان شاعراً وخطيباً بليغاً دعا لنفسه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان في خلافة عبدالله بن مروان سنة٧٩هـ.

امتاز شعره بسمات الشعر الخارجي "حماسة العقيدة، وروح الشجاعة والفدائية، والتقليل من شأن الحياة والموت واتخاذ النسيب وسيلة فنية لإبراز رأيه وتصوير مواقفه في الحروب وإيثاره نعيم الآخرة على متاع الدنيا[١]. ومن شعر قطري بن الفجاءة قوله:

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك إن سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاعي

(١) د. عبد العزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي، ص١٥١

فصـــبرا في مجـــال المـــوت صـــبرا فمـــا نيـــل الخلـــود بمســـتطاع
ومـــا ثـــوب البقـــاء بثـــوب عـــز فيطـــوي عـــن أخـــي الخنـــع الـــيراع
ســـبيل المـــوت غايـــة كـــل حـــيّ فداعيـــــــه لأهـــــــل الأرض داع
ومـــا للمـــرء خـــير في حيـــاة إذا مـــا عـــدّ مـــن ســـقط المتـــاع[1]

ثانياً: حزب الشيعة وشعرهم :

إنّ تاريخ الشيعة مليء بالثورات والانتفاضات على الحكّام الظالمين، حيث أخذ الطغاة يراقبونهم سرّاً وعلناً مع العلم أنّ الشيعة لم يتراجعوا عن مبدأهم. ولو تصفّحنا كتب الأدب العربي لرأينا أنّ فنون الأدب الشيعي قد مُلئت بها وبالأخص الشعر السياسي الديني؛ لأنّه أدب يلهب العاطفة ويهيجها نظراً لِما مرّ في تاريخ الشيعة من ثورات، خاصّةً واقعة الطفّ، حيث الدم أريق، والحرمات انتهكت، والبيوت سُبيت ودُمّرت، والأجساد صُلبت.

وعلق د. شوقي ضيف على الشعر العلوي قائلا :((إذا أخذنا نقرأ أشعار شعراء الشيعة وجدناهم محزونين على أئمتهم الذين سفك دمهم الأمويون، وقد تحولوا يبكونهم ويندبونهم بدموع لا ترقا ولا تجف وربما كان هذا الطابع أهم ما يميز الشعر الشيعي في هذا العصر فهو زفرات و دموع سخينة))[2] وأبرز شعراء الشيعة هم: الكميت بن زيد الأسدي والسيد الحميري، وأيمن خريم الأسدي كُثير عزة...

(١) د. إحسان عباس ، شعر الخوارج، دار الثقافة بيروت لبنان،ط٢، ١٩٧٤م، ص١٠٥

(٢) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي،ص٣١٥.

الكميت بن زيد : وُلد الكُميت بن زيد الأسدي[١] نحو سنة ٦٠هـ في الكوفة، وتوفي سنة١٢٦هـ حيث كان شاعراً وخطيباً وحافظاً للقرآن وفقيهاً وفارساً وعالما بأنساب العرب ومثالبها ، والكميت فضلا عن كونه شاعرا ،كان خطيبا نشأ في الكوفة وتأدب على أيدي علمائها وأخذ من الأعراب اللغة العربية وعالج الشعر حتى نبغ فيه ويُعتبر شعره ثروة كبيرة، والذي بلغ ٥٢٨٩ بيتاً. ويعتبر شاعر الشيعة الأول أيام الأمويين فقد أكثر من مدح الهاشميين وله في مدائحهم ديوان يعرف بـ(الهاشميات) وأشهر قصائده الهاشميّات التي بلغت ٥٦٣ بيتاً قالها في بني هاشم لإثبات حقّهم السياسي والديني.

وكان الكميت يتعصّب للكوفة، وأوّل من جاهر بحبّ آل البيت في شعره والذي يعتبر وثيقة تاريخية. فكان يحتجّ لهم ويدافع عنهم بقوّة طوال حياته حتّى قضى شهيد هذا العشق. لقد احتوت قصائده على الفخر والمدح والهجاء والرثاء والحماسة. والمتأمل في قصائده الهاشميات يلاحظ أنها " لا تبتدئ ببكاء الأطلال والديار على عادة القصائد القديمة، إنما تبتدئ بحب أهل البيت الهاشمي والنسيب بهم"[٢].

واشتهر بقصيدته البائية ومن ألمعها، ولم يزده الاضطهاد في سبيل تشيعه إلا إصراراً عليه وتمسكاً به وفي ذلك يقول:

طرِبت وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لَعِباً منّي وذو الشوق يلعبُ
بني هاشم رهط النبيّ فإنّني بهِمْ ولَهُمْ أرضى مراراً وأغضبُ[٣]

(١) شاعر الهاشميين من أهل الكوفة اشتهر في العصر الأموي وكان عالماً بآداب العرب ثقة في علمه محازاً إلى بني هاشم كثير المدح لهم وهو من أصحاب الملحمات اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في شاعر: ينظر الأغاني،ج٤، ص١٢٩. وينظر: الأعلام ،ج٥، ص٢٣٣.

(٢) د. شوقي ضيف، التطور التجديد في الشعر الأموي، ص٢٧٢.

(٣) الكميت، شرح الهاشميات، تح/ د. داود سلوم، وآخر، مكتبة النهضة العربية، ط٢ ، ١٩٨٦م، ص٤٦

موضوعات شعر الكميت هي على النحو الآتي:

١. **السياسية**: وهي أهم موضوعات الكميت ونستطيع أن نوجز مذهبه السياسي في فكرتين هما: **الأولى**: إن الخلافة وراثية في بني هاشم وأولادهم(أولاد علي وفاطمة)لأنهم أقرب الناس إلى الرسول(ﷺ) وأحقهم في وراثته وأجدرهم على نشر دينه والحفاظ عليه. **والثانية**: إن بني أمية طغاة وقد سلبوا الخلافة، وعصوا الله، فهم كفار ولن يستقيم حال المسلمين إلا بزوال ملكهم.

٢. **المديح** وقد خص به بني هاشم ، ومدائحه فيهم كثيرة.

٣. **العصبية العدنانية على القحطانية** وهذه أيضاً من أهم موضوعات الكميت ولعله كان اسبق الشعراء إلى تأثيرها حتى استطار لهبها مدة من الزمن .

خواص شعر الكميت :

١. المحاججة والمجادلة بالشعر: وقد كان أسبق الشعراء فيها بتأييد أحق والتدليل عليه بالقرآن والمنطق.

٢. لم يبدأ هاشمياته بالبكاء على الأطلال بل كان يبدؤها بحبه وتأكيد ولائه لآل البيت.

٣. كان شعرا متدفقاً طويل النفس: حيث امتازت معظم قصائده بالطول.

٤. كان كثير الحفظ للشعراء القدامى : مما ترك فيه أثرا عميقا في تجديده حتى اتهمه بعض النقاد بالسرقة كخلف الأحمر.

ومن شعراء الشيعة أيضاً **كثير عزة**: هو كثير بن عبدالرحمن بن أبي جمعة شاعر حجازي من خزاعة كان ينزل المدينة كثيراً وكان قميئاً شديد القصر

محمقاً"[١] متشيع كيساني يؤمن بالرجعة والتناسخ ولمكانته كان الأمويون يحترمونه على الرغم من تشيعه وكثير يلتقي مع الكميت في التشيع ومدح الهاشميين وكلاهما اخذ بالتقية ومدح الأمويين إلا أن الكميت مدحهم متأخراً مُرغَماً وكثير عزة مدحهم راغباً محترماً وكلاهما له شعر في فنون أخرى غير شعر التشيع[٢].واشتهر كثيرُ فيها بالنسيب، ولم يعرف عنه أنه هجا الأمويين وإن لم يكن راضياً عن منهجهم السياسي ويعتبرهم هم مع الزبيريين عصاة ووقود النار ومن شعره قوله:

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف بريّا ولم تتبع مقالة مجرم
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي فعلت فأضحى راضيا كل مسلم[٣]

وقد قال ذلك لما مدح عمر بن عبد العزيز وهو في ذلك يشير إلى نهي عمر عن سب علي بن أبي طالب..

السيّد الحميري: «هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مُفرغ الحميري، وكان شاعراً ظريفاً حسن النمط مطبوعاً جداً محكم الشعر مع ذلك، وكان أحذق الناس بسوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر»[٤].من شعراء اليمن البارزين والمشهورين في هذه الفترة عاش في العصرين الأموي والعبّاسي. والذي افتخر بحميريته بقوله:

إني امرؤ حميريّ غيرُ مؤتشبٍ جدي رعين وأخوالي ذوو يزني

(١) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص٣١٩.
(٢) د. عبد العزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي،ص١٧٠
(٣) كثير عزة ، الديوان، جمعه وشرحه د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان،١٩٧١م،ص٣٣٤
(٤) ابن المعتز، طبقات الشعراء، تح/عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر، ص٣٢

وقد مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يُفرط فيه من سب أصحاب رسول الله وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم"[١] .

كما كان يعتقد بالرجعة أي عودة محمد بن الحنفية لأن غلاة الشيعة يزعمون أنه لا زال حياً ولم يذق طعم الموت وأنه سيعود في جيش لجب وسيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملأت جورا[٢] . وقال الأصمعي يمدح شعره ويذم مذهبه" قاتله الله ما أطبعه وأسلكه لسبيل الشعراء! والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدّمه من طبقته أحد"[٣]

كان من أباضية الخوارج ثم تشيع لآل عليّ وله فيهم قصائد كثيرة وقد تغالى في هذا التشيع حتى أنه ليرى أن الأئمة من قريش أربعة فقط هم :علي والحسن والحسين ومحمد بن الحنفية. وقد سجل آراءه في قصيدته الهمزية التي منها هذه الأبيات:

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
عليّ والثلاثة من بنيه هم أسباطة والأوصياء
فسبط سبط إيمان وحلم وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء[٤]

أغراض الشعر الشيعي:

(١) الأصبهاني الأغاني، ج٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦م،ص٢٤٩.

(٢) المرجع السابق ، ج٧،ص٢٤٩.

(٣) المرجع السابق،ج٧،ص٢٥٥

(٤) السيد الحميري،الديوان،جمعه وحققه شاكر هادي شكر،منشورات المكتبة الحدرية –قم، ١٤٣٣هـ،ص١٦- ١٧.

لقد كان الشعراء الذين مثلوا الحزب الشيعي قد نظموا الشعر السياسي لأغراض مختلفة منها :

١. إظهار المحبة لآل البيت.

٢. الاحتجاج لحق الأئمة في الخلافة : فهم يدللون على أن الخلافة حقهم وحدهم بأدلة دينية وعقلية.

٣. إبراز الجوانب الدينية والإنسانية في شخصية الأئمة (المديح السياسي)

٤. إظهار الحزن والتفجع على الشهداء من الأئمة (الرثاء السياسي)

٥. التصدي لخصومهم (الهجاء السياسي).

٦. الدعاية لمذهبهم وعقيدتهم التي يؤمنون بها .

الخصائص الفنية للشعر الشيعي:

ذكر الدكتور عبدالعزيز عتيق جملة من الخصائص نلخصها في الآتي[١]:

١. ظهور أسلوب الجدل والبرهنة اعتماداً على الحجج القوية والأدلة البارعة وتبدو هذه الظاهرة أكثر في (الهاشميات) للكميت الأسدي وفي ذلك يقول الجاحظ:" إن الكميت وطأ للشيعة وفتح باب الاحتجاج لمذهبهم وأعلن ما أضمره الناس) وكان الأصل العام لاحتجاجه هو وغيره قرابة الهاشميين من الرسول لذلك كانوا مظلومين.

٢. ظهور شعرهم السياسي في صور وفنون شتى من :احتجاج ووصف ومديح ورثاء وابتهال إلى الله وهجاء لأعدائهم من الأمويين والزبيريين. ويمكن رد هذه

(١) ينظر: د. عبدالعزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي، بتصرف.

الفنون المختلفة إلى أصل واحد هو الجهاد الأدبي في سبيل الخلافة العلوية أو حكومة آل الرسول وأوصيائه ذوي الحق الإلهي المقدس عند هذا الحزب السياسي.

٣. تنوع الأسلوب على حسب الدواعي والمقتضيات فهو تارة هادىء رزين حين يسلك سبيل التقرير والاحتجاج العقلي أو الديني وتارة قوي ثائر حين يغضب من سلوك الخصوم وينقم منهم وقد يكون رفيقا حين يبكي آلام العلويين ويصف هوانهم ويرثي لحالهم وهو في جميع هذه الحالات حزين ساخط ناقم وإن لم يبلغ في القوة مبلغ شعر الخوارج .

٤. يعد شعر الشيعة أدبا جديدا تجلى في موضوعاته ومعانيه وأساليبه فموضوعه سياسي مذهبي ومعانيه مشتقة من حقوق العلويين المدعاة وأساليبه جزلة بعيدة عن التكلف والصنعة يبدو فيها التأثر بأساليب القرآن الكريم.

ثالثا- حزب الدولة الأموية وشعرهم: لقد تحوّل الشعر السياسي في هذا العصر من مجرّد مدح أو هجاء أو تأييد ديني إسلامي إلى شعر سياسي بمعناه الصحيح يدافع عن طائفته التي ينتمي إليها وبكلّ وسائل الدفاع.

أغراض الشعر الأموي :

١. الإشادة لبني أمية والاحتجاج لخلافتهم (المديح السياسي)

٢. التصدي لأعداء بني أمية ومناهضة خصومهم (الهجاء السياسي)

٣. تخليد ذكرى من قتلوا من زعماء الحزب وأبطاله (الرثاء السياسي)

الخصائص الفنية للشعر الأموي :

١. امتزاج المعاني الدينية بالعناصر السياسية

٢. تكثر في أشعارهم صفات الأئمة التي نجدها تكثر في الشعر الشيعي

٣. شيوع المعاني الدينية في شعرهم المناهض للخصوم (الهجاء السياسي)

٤. ضعف عنصر الصدق الانفعالي في شعر الأمويين بصورة عامة .

رابعاً – حزب الزبيرين:" هو أقصر هذه الأحزاب عمراً فقد ظهر مع دعوة ابن الزبير لنفسه بالخلافة بعد وفاة معاوية حتى إذا تُوفي يزيد أجابته الحجاز كما أجابته مصر والعراق وبعض بلدان الشام"[١] وهم جماعة من قريش، تتلخص فكرتهم السياسية بآن آل أمية مغتصبون للخلافة، وأن الخلافة يجب أن تبقى في أبناء الصحابة من قريش والحجاز. **وقد** اعتمد هذا الحزب على ما اعتمد عليه الإسلام في أول عهده (نظام الشورى) الانتخاب ومع ذلك فإن آل الزبير يصرون على أن الخلافة يجب أن تبقى في مكان واحد وهو الحجاز وفي قبيلة واحدة وهي قريش.

وهذه الفكرة حظيت باهتمام أهل الحجاز وأيدته قبائل قيس وبفضلها صارت الجزيرة وخراسان تحت إمرة الزبير حيث نهض لأمر الخلافة ، وتجدر الإشارة إلى أن دولة الحزب الزبيري كانت قصيرة العمر والتي أسسها عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وانتهت على أيدي الأمويين بمقتلهم ، وانتهى هذا الحزب وتلاشى من الوجود. ومن أبرز شعراء هذا الحزب(١- عَبيد الله بن قيس الرقيات ٢- سراقة بن مرداس البارقي).

أغراض الشعر الزبيري :

١- الإشادة بآل الزبير والتأييد لخلافتهم. ٢- التصدي لخصوم دعوى الزبير.

٣- رثاء قتلى الزبيريين.

---

(١) د. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص٨٥.

خصائص الشعر الزبيري :

١. ضعف الاحتجاج والبرهنة على صواب دعوتهم.

٢. قلة نتاجهم الشعري.

٣. قلة المعاني الدينية في شعرهم.

٤. قوة وجزالة شعرهم تشبه فصاحة أهل البادية.

٥. إنفراد شعرهم في التصدي لخصومهم بضروب من الغزل الذي أسماه الباحثون (بالغزل السياسي أو الكيدي أو الهجائي).

عبيد الله بن قيس الرقيات[١]: هو عبيد الله بن قيس بن شُريح ، وينتهي نسبه إلى لؤي بن غالب، وأمه قتيلة بنت وهب، ويرتفع نسبها إلى عبد مناف فهو إذا قرشي الأب والأم. أما الرقيات، فالراجح إنه لقب غلب عليه لا على أبيه لأنه تغزل في نساء ثلاث ، وكلهن تحمل نفس الاسم . توفى سنة (٨٠ هـ).

خصائص شعر ابن الرقيات :

١. لم يقتصر شعره على الدعاية للزبيريين، فانه تغنى بالعلويين وافتخر بقريش[٢].

٢. شعره السياسي ممزوج بصيغة خطابية .

٣. صدق العاطفة في شعره.

٤. يغلب على شعره سهولة التعبير ووضوحه واختيار مفرداته وتجانسها.

---

(١) أمل منسي عائض الخديدي، عوارض التركيب في شعر عبيدالله بن قيس الرقيات، رسالة ماجستير،جامعة أم القرى، لسنة ١٤٢٩هـ. ص١٢

(٢) ينظر: د. عبدالعزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي.

٥. نلمس في شعره كثرة الاقتباس من القرآن الكريم.

٦. اشتهر بن الرقيات بلون من الغزل اصطلح على تسميته بالغزل الكيدي الذي كان يغيض به خصومه (أي تغزل بمحارم خصومه) .

٧. إيمانه بزبيرياته يختلف عن إيمان الكميت في هاشمياته

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

مُلكه ملك قوة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء[١]

❖❖❖

(١) ابن الرقيات، الديوان، تح/ د. محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت،(د.ت) ص٩١

المبحث الثاني

النقائض: نشأتها وعواملها و (أبرز شعراء النقائض)

تعريفها في اللغة: النقيضة مصطلح مأخوذ في الأصل من الفعل (نقَض) البناء إذا هَدَمَه، **قال تعالى**: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [١].

"وناقَضَه في الشيء مناقضةً ونِقَاضًا خالفه، والمناقضة في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه، والمناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر ما قال الأول، حتى يجيء بغير ما قال خصمه، والنقيضة هي الاسم المفرد يُجمع على نقائض ولذلك قالوا: نقائض جرير والفرزدق"[٢].

وفي الصحاح:(النقض: نقضُ البناء والحبل والعهد. والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقضُ معناه. والنقيضة في الشعر: ما ينقضُ به)[٣]

النقائض في الاصطلاح: تمثل النقائض مصطلحاً أدبياً لنمط شعري نشأ في العصر الأموي ويمكن أن تعرفها بأنها:" مناظرات أدبية أوجدتها ظروف عقلية وأخرى اجتماعية واقتصادية لعصر بني أمية"[٤].

أو هي أيضاً: عبارة عن معارك شعرية دارت رحاها بين عدد من الشعراء في العصر الأموي، وكان فرسانها الأخطل وجرير والفرزدق ، وكان الشاعر يكتب

---

(١) سورة النحل/٩٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقض) مج/ ٦، ص٤٥٢٤

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة(نقض) تح/ أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي مصر، ج٣ ،ص ١١١٠.

(٤) د. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص١٨٦.

قصيدة في هجاء خصمه، فيرد الخصم ناقضاً هذه القصيدة بقصيدة أخرى لها نفس الوزن والقافية، و قد تركزت النقائض في العصر الأموي على غرض الهجاء تحديدا حيث كان الشاعر لا يصبر على هجاء خصمه فيجيبه بقصيدة أخرى أكثر إقذاعاً و إفحاشاً .

النشأة والتطور:

فن النقائض نشأ بين شعراء العصر الأموي الذي تمثل بإعادة العصبية الجاهلية. وقد أضرمت نار العصيبة بين شعراء اتسموا بالفحولة في الشعر وأعادوا الناس إلى العصر الجاهلي الذي امتاز بالتفاخر بالقبيلة وأيامها وانتصاراتها على خصومها من القبائل الأخرى.

- و أول من اخترع هذا المصطلح " النقائض" أبو عبيدة وقد جمعت قصائد الهجاء المتبادلة بين جرير وغيره من الشعراء وبخاصة الفرزدق والأخطل وتقع النقائض في ديوانين هما : نقائض جرير والأخطل ، ونقائض جرير والفرزدق.

- **و أول اشتباك** في النقائض حدث بين جرير وشاعر يقال له غسان السليطي، فلما انتصر عليه جرير انبرى شاعر من قوم الفرزدق يقال له البعيث فانتصر لغسان وهجا جريراً . وقد اشتهرت نقائض الفرزدق وجرير والأخطل ، وقد كان أحدهم يتجه نحو خصمه بقصيدة هاجيًا، فيعمد الآخر إلى الرد عليه بشعر مثله هاجيًا ملتزمًا البحر والقافية والرَّوِيَّ الذي اختاره الشاعر الأول. ومعنى هذا أنه لابد من شروط وهي على النحو الآتي:

١- وحدة الموضوع فخرًا أو هجاءً أو غيرهما.

٢- ولابد من وحدة البحر، فهو الشكل الذي يجمع بين النقيضتين ويجذب إليه الشاعر الثاني بعد أن يختاره الأول.

٣- ولابد كذلك من وحدة الرَّوي لأنه النهاية الموسيقية المتكررة للقصيدة الأولى، وكأن الشاعر الثاني يجاري الشاعر الأول في ميدانه وبأسلحته نفسها.

ونمو شعر النقائض له أسبابه السياسية والاجتماعية والعقلية والاقتصادية وكان الناس يجدون فيه نوعاً من التسلية والترويح ، أما النقائض بحد ذاتها فقد كانت تعبيراً واضحاً عن نمو العقل العربي ومرانه على الحوار والجدل والمناظرة.

عوامل نشأتها:

أهم العوامل التي تضافرت في إيجاد هذا الفن الجديد " النقائض" هي على النحو الآتي:

١- **العامل السياسي** فتمثل فيما يلي:

أ- <u>أن الأمويين حاولوا الإفادة</u> من هذه العصبيات في تثبيت دعائم ملكهم فعملوا على إثارتها وإغراء الشعراء على التمادي فيها فضلاً عن محاباتهم لقبائل دون أخرى، وتحريض القبائل بعضها على بعض .

ب- <u>احتكاك القبائل في مواطنها الجديدة</u> التي هاجرت إليها قد أعان على قيام هذا العصبيات ونهوضها والشعراء أنفسهم قد أمدوا هذه العصبيات ونهوضها والشعراء أنفسهم قد أمدوا هذه العصبيات بوقود جزل من شعرهم وأحيوا إحناً وضغائن مشى عليها الإسلام بدعوته السمحاء .

٢- **العامل الاجتماعي**: "ولعل العصبيات القبلية خاصة كانت أقوى أسباب النقائض وبواعثها وأبعد مقوماتها تأثيرا في عناصرها"[١]. وقد تمثلت في الآتي:

أ- أن النظام الاجتماعي الذي قامت عليه الأمصار وبخاصة في العراق كان نظاماً قبليا بحتا مما يعني أن هذه القبائل نقلت معها خصوصياتها الجاهلية إلى هذه الأمصار فأصبحت متحفزة لأدنى احتكاك يقع بينهما.

ب- حاجة المجتمع إلى ضرب من الملاهي يقطع به الناس أوقات فراغهم فحين تنشأ المدن تنشأ معها أوقات الفراغ فإذا كان الحجاز قد أوجد لنفسه ضرباً من اللهو يتمثل في الغناء فإن مجتمع العراق وبخاصة في البصرة قد دفعته صلته الشديدة بحياته البدوية القديمة إلى أن يجد من فن النقائض سدًا لحاجته إلى ضرب من الملاهي يتناسب وصلته الوثيقة بالحياة البدوية القديمة.

٣- العامل العقلي وقد تمثل في نمو العقل العربي ومرانه الواسع على الحوار والجدل والمناظرة في النحل السياسية والعقائدية وفي الفقه وفي شؤون التشريع

وفي ضوء ذلك كله أخذ شعراء النقائض يتناظرون في حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها كل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويبحث في أدلته ليوثقها وفي أدلة خصمه لينقضها دليلاً دليلا .

٤- العامل الاقتصادي وهذا العامل يتصل بأسباب العيش فلو نظرنا إلى نقائض جريرٍ والأخطل لوجدنا أنها قامت بهذا العامل إذ إنها قامت على ما كان بين قيس وتغلب من عداوة مردها المنافسة على أرض الجزيرة واستغلالها.

شروط النقائض :

---

(١) د. أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢ ، ١٩٥٤م، ص١٨٨.

١- أن تكون القصيدة في الفخر والهجاء معاً.

٢- أن تكون من وزن وقافيه معينة.

٣- أن يرد الخصم على القصيدة بنفس الوزن والقافية.

٤- أن يفند الخصم على خصمه كل ما ألحق به من مثالب بيتاً بيتاً.

٥- لا يشترط في النقيضة المشافهة والرد السريع فقد يستغرق الشاعر وقتاً في الرد على خصمه.

٦- غالبا ما تكون تلك القصائد من المطولات قد تصل فوق المائة وتشمل البناء الجاهلي من نسيب ووصف الرحلة والفخر والهجاء حتى في صورها ومعانيها. وليست النقائض شعرًا فحسب، بل قد تكون رَجَزًا أو تكون نثرًا كذلك[١].

وقد اعتمدت النقائض في صورتها الكاملة على عناصر أساسية في لغة الشعراء، منها النَّسَب الذي أصبح في بعض الظروف وعند بعض الناس من المغامز التي يُهاجِم بها الشعراء خصومهم حين يتركون أصولهم إلى غيرها، أو يدَّعون نسبًا ليس لهم. وقد كانت المناقضة تتخذ من النسب مادة للتحقير أو التشكيك أو نفي الشاعر عن قومه أو عدّه في رتبة وضيعة، وكذلك كان الفخر بالأنساب وبمكانة الشاعر من قومه وقرابته من أهل الذكر والبأس والمعروف أساسًا، تدور حوله النقائض سلبًا أو إيجابًا. فاعتمد الشعراء المناقضون على مادة النسب وجعلوها إحدى ركائز هجائهم على أعدائهم وفخرهم بأنفسهم .ومن

(١) للمزيد ينظر: د. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي،ص١٦٢- ٢١٨. وينظر: د. أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي. وينظر: محمد عثمان علي، في أدب الإسلام، ص٤٢٥-٤٤١.

أسباب ذلك أن المجتمع العربي ف عصر بني أمية رجع مرة أخرى إلى العصبية القبلية التي كان عصر النبوة قد أحل محلها العصبية الدينية.

ومنها أيضًا أيام العرب التي اعتمدت النقائض عليها في الجاهلية والإسلام، فكان الشعراء يتَّخذون منها موضوعًا للهجاء ويتحاورون فيه،كما صور جزء من النقائض الحياة الاجتماعية أحسن تصوير، ووصف ما جرت عليه أوضاع الناس، ومنها العادات المرعية والأعراف والتقاليد التي يحافظ عليها العربي أشد المحافظة، فكانت السيادة والنجدة والكرم، وكان الحلم والوفاء والحزم من الفضائل التي يتجاذبها المتناقضون، فيدعي الشاعر لنفسه ولقومه الفضل في ذلك. وقد أصبحت النقائض سجلاً أُحصيت فيه أيام العرب ومآثرها وعاداتها وتقاليدها في الجاهلية وفي الإسلام.

ومن الواضح أن جريراً والفرزدق درسا تاريخ القبائل العربية في الجاهلية والإسلام وهذا ما يعد وثائق تاريخية طريفة ولم يكن الشاعر يدرس تاريخ القبائل التي يدافع عنها فحسب وإنما كان يدرس أيضا تاريخ القبائل التي يهجوها ليقف على الأيام التي انهزمت فيها حتى يستطيع أن يبدع في هجائه وسرعان ما وصلت النقائض إلى العصر الأموي ليس في مجال المدح والهجاء فحسب وإنما امتدت إلى النسب والغزل والفخر والولاء وغيره . ومن قول الفرزدق في جرير:

ووجدت قومك فقّأُوا من لؤمِهم عَينيك عند مكارم الأقوامِ
صغرت دلاؤهم فما ملأوا بها حوضا ولا شهدوا عراك زحام[1]

(١) الفرزدق، الديوان ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١ ،١٩٨٧م، ص٦٠٩

فأجابه جرير بقوله:

مَهــلا فــرزدقُ إن قومــك فيــهُم خَــورُ القلــوبِ وخِفَــة الأحــلامِ
الظــاعنون علــى العمــى بجمــيعهم والنازلــــون بشــــر دار مقــــام[١]

أما الأخطل فقد أرسل إليه أحد أسياد قبيلة مجاشع (قبيلة الفرزدق) بألف درهم وكسوة وبغلة لكي يدعم الفرزدق في حربه ضد جرير فقال قصيدة يهجو جريراً ويفضل الفرزدق عليه منها:

أجريــر إنــك والــذي تسمــو لــه كأسـيفة فخـرت بحـدج حصــان
تَــاجُ الملــوكِ وَفَخــرهم في دارم أيــام يــــربوع مــع الرعيــان[٢]

فأجابه جرير:

يــا ذا العَبــاءة إنّ بِشْــراً قــد قَضــى ألا تَجــوز حُكومــــة النشــــوانِ
فـدعَوا الحُكومـة لسـتُم مِـنْ أهلهـا إنَّ الحُكومَــة في بــني شــيبانِ[٣]

واتصل الهجاء بين الأخطل وجرير وتناقلت الناس أشعارهما ٢٠ سنة أخرى.

ولابد من ملاحظة الدوافع القبلية والشخصية لهذا التهاجي فالفرزدق ميلا لم يهج دفاعا عن القبيلة فقط بل لأنه أراد منافسة جرير على زعامة تميم الشعرية. كما أن الأخطل سخط أيضاً على جرير لأنه مدح قبيلة قيس المعادية لبنى تغلب

(١) جرير، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت،١٩٨٦م، ص٤٥٣

(٢) أبو تمام نقائض جرير والأخطل،ص٢٢٢.

(٣) أبو تمام نقائض جرير والأخطل،ص٢٠٨. وينظر: جرير، الديوان، ص٤٧١.

رهط الأخطل كما خاف الأخطل أيضا أن يزاحمه جرير على مكانته في بني أمية واستمر الحقد متصلاً فعندما مات الأخطل في حياة جرير قال فيه:

زار القبـــــور أبـــــو مالـــــك فكـــــــــان ألأم زوارهـــــــــا [١]

كما هجا الفرزدق بعد موته فقال:

مـــات الفـــرزدق بعـــدما جدعتُـــهُ ليـــت الفـــرزدق كـــان عـــاش قلـــيلا[٢]

ولَمَّا لَامَهُ الناس في ذلك رثاه ببيتين من الشعر، ولم يلبث أن مات بعده ببضعة أشهر .

قيمة النقائض: تتمثل في الآتي:

١- أنها **عكست جانبا دينيا** واضحا فقد كان للإسلام أثره فيها حيث حفلت في الفخر والهجاء بالكثير من المعاني التي تتصل بالدين ومن أمثلة ذلك ما نجده في إلحاح جرير في النيل من نصرانية الأخطل أن يستغل ذلك في العديد من الصور التي رسمها للسخرية من الأخطل وقومه تغلب وقبولهم دفع الجزية واستحلالهم لحم الخنزير فيقول:

قَـــبحَ الإلـــهُ مَـــنِ الصـــليبُ إلهـــهُ والـــذابحِينَ إذا تقـــاربَ فِصـــحُهُمْ[٣] واللابســـــينَ بـــــرانسَ الرُّهْبـــــانِ شُـــهبَ الجُلُـــودِ خسيســـةَ الأثمـــان[١]

(١) جرير، الديوان ص٢٣٥

(٢) عبدالقادر البغدادي، خزانة الأدب ولُب لباب لسان العرب،ج١ ، تح/عبدالسلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة ،ط٤ ،١٩٩٧م، ص٧٧.

(٣) فصحهم: عيدهم. شهب الجلود: يعني خنازير

كما استغل جرير ضعف الوازع الديني عند الفرزدق الذي تسلطت عليه الروح الجاهلية فيقول فيه جرير:

إنَّ الفرزدقَ حينَ يدخلُ مسجداً رجسٌ فليسَ طهورهُ بطهورِ
إنَّ الفرزدقَ لا يبالي محرماً ودمَ الهديِّ بأذرعٍ ونحورِ[٢]

٢- أنها **عكست لنا الحياة السياسية** في هذا الطور بكل ما فيها من صراعات حزبية حول الحكم وتصوير الأحداث التي نجمت عن هذه الصراعات. فالنقائض التي صدرت عن هؤلاء الشعراء قد ضمت مديحا للحزب الأموي وولاة الأمر فيه أضف إلى ذلك أن جانبا من العصبيات التي مثلتها هذه النقائض قد أخذت طابعا سياسيا.

٣- أنها **حفظت لنا اللغة العربية الخالصة** مثل ما كانت عليه في الجاهلية فقد عدّ اللغويون الفرزدق أحد مصادر اللغة فعن أبي عبيدة قال": سمعت يونس يقول: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث "[٣] وقال بعضهم " لذهب ثلثاها " وهذا لأن الفرزدق كان يتميز عن زميليه بجزالة الألفاظ وفخامتها وكثرة الغريب فيها . لدرجة أن عدوا الغريب في شعر الفرزدق قد بلغ أربعين ألفا ومعظمها كان متصلاً بالمعاني الجاهلية القديمة .

٤- أنها من جانب الشكل قد اختصت النقائض بالمحافظة على نظام القصيدة الجاهلية في بنائها واشتمالها على النمط الجاهلي نسيب ووصف الرحلة

=

(١) أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، علق على حواشيها الاب انطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٢م. ص٢٠٨.

(٢) جرير، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت،١٩٨٦م، ص١٤٩

(٣) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني،ج٢١ ، موسوعة الشعر العربي، ص٧٨٥١

والفخر والهجاء أو المدح أو الرثاء. كما أن هذه النقائض فيها الكثير من صور الجاهليين مبثوثاً في تضاعيفها بمعنى آخر أنها تمازج بين القديم والجديد في صور مختلفة.

٥- أنها تمثل قيمة عالية في الفن الشعري فهي فيها فنية بالغة في نقض المعاني التي تشمل عليها قصيدة الخصم المراد نقضها ولعل أبرز مثال على ذلك ما نقضه جرير من معاني الفرزدق في لاميته المشهورة التي تبلغ مائة وستة "١٠٦" أبيات فقد قال الفرزدق يهجو جرير:

إنَّ الَّذي سَمَكَ السَماءَ بَنى لَنا بَيتاً دَعائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطوَلُ
بَيتاً بَناهُ لَنا المَليكُ وَما بَنى حَكَمُ السَماءُ فَإِنَّهُ لا يُنقَلُ[1]

فقد نقضه جرير بقوله

أخزى الذي رفع السماءَ مجاشعاً وبنى بناءً بالحضيضِ الأسفلِ
بيتاً يُحَمِّمُ قينكمْ بفِنائِهِ دَنِساً مقاعدُهُ خبيثُ المدخلِ[2]

أقول إن النقائض لم تكن تمثل فقط ثأراً شخصياً بل كانت مجالاً للمنافسة بين الشعراء طلباً للجوائز وشجعها الخلفاء لصرف الانتباه عن مظالمهم ورغب فيها الناس لما وجدوه فيها من تسلية وترويح ولكن خصائصها الفنية وتأريخها لماضي القبائل وأيام العرب المشهورة وقوة أسلوبها ومبالغتها في الخيال جعلها تقدم للغة العربية ثروة أدبية عظيمة وسجلاً تاريخياً لكثير من الوقائع والعادات في العصر الأموي وما قبله ، أما ما يعيب النقائض فهو دعوتها إلى العصبية القبلية

(١) الفرزدق، الديوان، ص٤٨٩.
(٢) جرير، الديوان، ص٩٤٠.

وخروجها على روح الإسلام السمحة التي تنهى عن التفاخر بالأحساب والهجاء الفاحش.

مثلث شعراء النقائض: جرير والأخطل والفرزدق. وسوف نقتصر في دراستنا على شاعرين هما:(جرير والفرزدق).

١- جرير الخطفي :

نسبه : جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي ينتهي نسبه إلى كليب بن يربوع بن تميم، وقد ولد جرير سنة ٣٠هـ لسبعة أشهر مما جعل الفرزدق يشير إلى ذلك معيراً له في مثل قوله :

..... وأنت ابن صغرى لم تتم شهورها[١].

ونشأ في بيئة شعرية حيث كان جده الخطفي شاعراً وورث الشعر من بعده أبناؤه وخاصة بلال وحفيده عمارة فكانت أسرته أسرة شاعرة كغيرها من الأسر الشاعرة مثل أسرة زهير. وكانت وفاته سنة ١١٤هـ بعد وفاة الفرزدق بسته أشهر. "وكان جرير من فحول شعراء الإسلام، ويُشبَّه من شعراء الجاهلية بالأعشى. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: هما بازيانِ يصيدان ما بين العنديب إلى الكركي"[٢]. كما أنه كان أحسن الناس تشبيباً ومن أشد الناس هجاءً. ولعل أبرز أحداث حياته تلك التي تتصل بمعركة الهجاء أو النقائض بينه وبين الفرزدق والأخطل وغيرهما من شعراء العصر الأموي وهي الأخبار التي لفتت

(١) أبو الفرج، الأصبهاني، ج ٨ ، ص٢٦٣٩

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء،ج١ ، ص٤٦٥

الأنظار إليه وحرضت الرواة على حفظ شعره وتداوله كما حددت أبعاد شاعريته.

تبنى موقف الدفاع عن قيس وناصرها على قبيلته الأم تميم وفقاً للأصول الجديدة التي قام عليها فن النقائض الأموية مخالفاً بها الأصول القديمة التي كانت تقوم عليها جذوره الجاهلية. يكنى بأبي حزرة وهو أكبر أبنائه وكان يمثل مع رفيقيه الفرزدق والأخطل ما عُرف بالمثلث الأموي الذي ضم أشهر فحول الشعر في عصر بني أمية ولم يكن يتقدم عليهم أحد من شعراء العصر وإن اختلف العلماء في ترتيبهم اختلافا كبيراً لا سبيل إلى وضع نهاية له وربما يرجع الخلاف بين الشاعرين التميميين الفرزدق وجرير إلى الفروق الضخمة بين البطون التي ينتميان إليها.

حيث كان جرير ينتمي إلى يربوع وكليب اليربوعية كانت ترعى الغنم والحمير ولم يكن لها شيء من أمجاد قبيلة مجاشع ومآثرها. وقد دفع ذلك إلى الفخر بيربوع متجاوزاً كليبا لما كانت تمده به من أمجاد حققتها في حروبها وصراعتها القديمة. فقد روى ابن سلام عن ابن دأب أن "الفرزدق أشعر عامة وجرير خاصة"[١]. وقال أبو عبيدة:" كان أبو عمرو يُشبه جريراً بالأعشى والفرزدق بزهير والأخطل بالنابغة. قال أبو عبيدة يحتج من قدم جريرا بأنه كان أكثرهم فنون شعر وأسهلهم ألفاظا وأقلهم تكلفا وأرقهم نسيباً وكان دينا عفيفا. وقال أبو حاتم كنت اسمعه(أيّ الأصمعي) يفضل جريراً على الفرزدق كثيراً "[٢].

(١) ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص١١١.

(٢) الأصمعي، فحولة الشعراء، تح/ ش. تورّي، دار الكتاب الجديد، بيروت،ط٢ ، ١٩٨٠م، ص١٣

وكشف بشار عن رأيه في الثلاثة لابن سلام فقال:" لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه. قلت فهذان؟ قال كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق"[١] ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير.

وقال جرير:" والله ما يهجوني الأخطل وحده وإنه ليهجوني معه خمسون شاعرا كلهم عزيز ليس بدون الأخطل ؛ وذلك أنه كان إذا أراد هجائي جمعهم على شراب فيقول هذا بيتا وهذا بيتا وينتحل هو القصيدة بعد أن يتمموها"[٢]. وإذا صحت هذه الرواية فإنها تحمل اتهاما كبيرا لشاعرية الأخطل وهو أمر لا يمكن قبوله على أنه إن كان حدث مرة فإنه لم يحدث في كل مرة. و" مر راكب بالراعي وهو يتغنى :

وَعاوٍ عَوَى من غير شيءٍ رَمَيْتُهُ بقافيةٍ أَنفاذُهَا تَقْطُر الدَّما
خَرُوج بأَفْواهِ الرُّوَاةِ كأنها قَرَى هِنْدُوَانيّ إذا هزَّ صَمَما [٣]

فسمعها الراعي فأتبعها رسولاً، وقال له: من يقول هذين البيتين؟

قال جرير، فقال الراعي: أؤلام أن يغلبني هذا ؟ والله لو اجتمع الجن والإنس على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئاً"[٤].

(١) ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص١٢٢.
(٢) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، موسوعة الشعر العربي ج٨ ، ص٢٥٩٩.
(٣) جرير، الديوان، ص٤٤٦.
(٤) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، موسوعة الشعر العربي ج١٨ ، ص٨٥٩٨

نشأ في أسرة متواضعة، ووقف في الحرب الهجائية وحده أمام ثمانين شاعرًا، فحقق عليهم النصر الكبير ...كان عفيفًا في غزله ، متعففًا في حياته، معتدلا بعلاقاته وصداقاته . كما كان أبيًّاً محافظًا على كرامته، لا ينام على ضيم، هجَّاء من الطراز الأول، يتتبع في هجائه مساوئ خصمه، وإذا لم يجد شيئًا يشفي غلته، اخترع قصصًا شائنة وألصقها بخصمه، ثم عيره بها. واتصل بالخلفاء الأمويين، ومدحهم ونال جوائزهم سلك في شعره الهجاء والمديح والوصف والغزل عاش حوالي ثمانين سنة.

أسلوب جرير الشعري:

أول ما يطالعنا في أسلوب جرير، سهولة ألفاظه ورقتها وبعدها عن الغرابة، وهي ظاهرة نلاحظها في جميع شعره، وبها يختلف عن منافسيه الفرزدق والأخطل اللذين كانت ألفاظهما أميل إلى الغرابة والتوعر والخشونة. وقد أوتي جرير موهبة شعرية ثرة، وحسا موسيقيا، ظهر أثرهما في هذه الموسيقى العذبة التي تشيع في شعره كله. وكان له من طبعه الفياض خير معين للإتيان بالتراكيب السهلة التي لا تعقيد فيها ولا التواء .. فكأنك تقرأ نثرا لا شعرا. ومن هنا نفهم ما أراده مالك بن الأخطل عندما أرسله " ليسمع شعر جرير والفرزدق فسأله أبوه عنهما فقال: جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر. فقال: الذي يغرف من بحرٍ أشعرهُما"[١] وهذا القول يشير إلى ظاهرة أخرى في الشاعرين، وهي أن جريرا كان أكثر اعتمادا على الطبع من الفرزدق، وأن الفرزدق كان يلقى عناءً شديدًا في صنع شعره .

(١) الجاحظ، البيان والتبيين،ج٢تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ،مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،ط٧، ١٩٩٨م،ص١١٧

وإن اعتماد جرير على الطبع وانسياقه مع فطرته الشعرية من الأمور التي أدت أيضا إلى سهولة شعره وسلاسة أسلوبه ورقة ألفاظه ، إذ كان لشعره موسيقى تطرب لها النفس، ويهتز لها حس العربي الذي يعجب بجمال الصيغة والشكل، ويؤخذ بأناقة التعبير وحلاوة الجرس أكثر مما يؤخذ بعمق الفكرة والغوص على المعاني. ولهذا أبدع جرير في أبواب الشعر التي تلائمها الرقة والعذوبة، كالنسيب والرثاء . على أن انسياق جرير مع الطبع وقلة عنايته بتهذيب شعره وإعادة النظر فيه، كل ذلك جعل من الابتكار والإبداع في المعاني قليلا، لا يوازي حظ الفرزدق من ذلك، حتى أنك لتنظر في بعض أبياته فلا تجد فيها غير صور لفظية جميلة جذابة، لا يكمن وراءها معنى مبتكر ولا فكرة طريفة .

خصائص شعر جرير:

يمكننا من دراستنا لشعر جرير من خلال نصوصه الشعرية أن نتبين ملامح فنه وخصائصه على النحو الآتي:

- كان شعر جرير يجول في ساحات واسعة الأرجاء ، متعددة الجوانب ، فقد طرق أكثر الأغراض الشعرية المعروفة وأجاد فيها، وأعانته على ذلك طبيعته الخاصة المواتية.

- كانت معاني الشاعر جرير في شعره فطرية، ليس فيها غور ولا تعمق فلسفي. ولكنها قريبة الحضور بالبال، ومع هذا القرب، كان يعرضها في ثوب أنيق من اللفظ، تبدو به جذابة، شديدة التأثير.

- إن الصور والأخيلة جاءت متصلة بالبادية التي ارتبطت بها حياته أشد الارتباط، ولكنه مع هذا قد تأثر تأثرا واضحا بالروح الإسلامي والثقافة الإسلامية، ولذلك يمثل شعره الحياة البدوية تمثيلا صادقا.

- كانت تشيع في شعره، ولاسيما في الهجاء، روح التهكم والسخرية التي قربته إلى قلوب العامة من الناس، وهيهات له الظفر بخصمه.

- لجرير بعد ذلك قدرته على انتقاء اللفظ الجزل، ومتانة النسج، وحلاوة العبارة، والجرس الموسيقي المؤثر... وخاصة في غزله حيث العاطفة الصادقة التي تتألم وتتنفس في تعبير رقيق لين .

وأخيراً : قيل إن بيوت الشعر أربعة: فخر ومديح وهجاء ونسيب وفي الأربعة فاق جرير: قوله في الفخر :

إذا غَضِبَت عَلَيكَ بَنو تَميمٍ حَسِبتَ الناسَ كُلُّهُمُ غِضابا[١]

وفي المديح :

أَلستُمْ خيرَ من رَكِبَ المَطايَا وأَندى العَالَمينَ بُطونَ راحِ[٢]

وفي الهجاء :

فَغُضَّ الطَرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا[٣]

وفي النسيب :

إِنَّ العُيونَ الَّتي في طَرفِها حَوَرٌ قَتَلنَنا ثُمَّ لَم يُحيينَ قَتلانا[٤]

(١) جرير، الديوان، ص٦٤.

(٢) جرير، الديوان، ص٧٧.

(٣) جرير، الديوان، ص٦٣.

(٤) جرير، الديوان، ص٤٩٢.

نموذج من النقائض بين (جرير والفرزدق):

بيئة العراق :

في جنوب البصرة كانت سوق " المربد" عبارة عن مدينة فيها شوارع وبنايات قطنها الأغنياء وكان فيها المتنزهات و فيها الكثير من الأسواق الصغيرة.

يقول ياقوت الحموي:" قال الأصمعي: المربد كل شيء حبست فيه الإبل ولهذا قيل مربد النعم بالمدينة وبه سمي مربد البصرة وإنما كان موضع سوق الإبل وكذلك كل ما كان من غير هذا الموضع أيضاً إذا حُبست فيه الإبل...ومربد البصرة من أشهر محالها وكان يكون سوق الإبل فيه قديماً ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء وهو الآن بائن عن البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال"[١]

كان عرب العراق قد خضع قبل الإسلام لكثير من التأثيرات الدينية و الثقافية والاجتماعية المختلفة من فارسية ورومانية وإغريقية وامتزجت الثقافات بين تأثر وتأثير في العرب بغيرهم وحلت البصرة والكوفة محل الحيرة ولما جاء الإسلام وفتحت بلاد العراق فمن المؤكد أنه حدث تأثر وتأثير في شتى مجالات الحياة حيث يقول الدكتور شوقي ضيف" ومن المحقق أن حركة عقلية كبيرة انبثقت في الكوفة والبصرة في أثناء عصر بني أمية ، وكان العرب هم الذين أشعلوا جذوتها، فقد أخذوا يقبلون على دراسات القرآن الكريم وتعاليم الإسلام الحنيف، وأخذت تتكون مدارس مختلفة تعنى بالتفسير والفقه وروايات

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٨، موسوعة الشعر العربي، اصدار ٢٠٠٩م،ص٤١٣٧

الحديث النبوي، كما تكونت مدرسة كلامية تبحث في مسائل القدر...وكل ذلك أتاح للعرب هناك نشاطاً عقلياً جماً"[١] .

لقد نشأت في الدولة الأموية حركة ثقافية كبيرة وواسعة وانتشرت المعرفة بين طبقات المجتمع وكان لازدهار الحركة الثقافية أثره الواضح في سير اتجاه الشعر وظهور ألوان جديدة من شعر النقائض والشعر السياسي واستفاد الشعراء من أساليب الحوار والمناقشة بين الفرق والمذاهب والفرق الدينية من جبرية وقدرية وخوارج ومرجئة وشيعة وصفرية وغيرها كثير من الفرق.

كل ذلك ساعد في تطور الشعر والألوان الجديدة ممزوجة بروافد من ثقافات جاهلية قبلية وإسلامية وثقافة مختلطة نشأت نتيجة لتأثر وتأثير بين العرب وغيرهم من الأمم ممن دخل في هذا الدين الحنيف.

وقد "كان الشعراء ينشدون أشعارهم في أسواق مشهورة، كسوق عُكاظ في الجاهلية، وسوق المِرْبَد في الإسلام، وفي حلقات كثيرة، وفي قصور الخلفاء ومجالسهم، وفي بعض مجالس الأنس والسمر وغيرها، والناس يستمعون ويطربون ويتأثرون"[٢]

ونحن هنا سنقتطف لكم بعضاً من النماذج في هذا المضمار ما وقع من نقائض بين جرير والفرزدق حيث يقول جرير رداً على خصمه (الفرزدق):

أَعدَدتُ لِلشُعَراءِ (سُمّاً ناقِعاً)

---

١) د. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي،ص٣٨.

(٢) د. وليد قصاب ،مقالة: انشاد الشعر ، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: ٢٠٠٩/٢/١١م

لِمَنِ الدِيارُ كَأَنَّها لَم تُحلَلِ ... بَينَ الكِناسِ وَبَينَ طَلحِ الأَعزَلِ
أَعدَدتُ لِلشُعَراءِ سُمّاً ناقِعاً ... فَسَقَيتُ آخِرَهُم بِكَأسِ الأَوَّلِ
لَمّا وَضَعتُ عَلى الفَرَزدَقِ مَيسَمي ... وَضَغا البَعيثُ جَدَعتُ أَنفَ الأَخطَلِ
أَخزى الَّذي سَمَكَ السَماءَ مُجاشِعاً ... وَبَنى بِناءَكَ في الحَضيضِ الأَسفَلِ
بَيتاً يُحَمِّمُ قَينُكُم بِفَنائِهِ ... دَنِساً مَقاعِدُهُ خَبيثَ المَدخَلِ
وَلَقَد بَنَيتَ أَخَسَّ بَيتٍ يُبتَنى ... فَهَدَمتُ بَيتَكُمُ بِمِثلَي يَذبُلِ
إِنّي إِنصَبَبتُ مِنَ السَماءِ عَلَيكُمُ ... حَتّى إِختَطَفتُكَ يا فَرَزدَقُ مِن عَلِ
قُتِلَ الزُبَيرُ وَأَنتَ عاقِدُ حُبوَةٍ ... قُبحاً لِحُبوَتِكَ الَّتي لَم تُحلَلِ
لا تَذكُروا حُلَلَ المُلوكِ فَإِنَّكُم ... بَعدَ الزُبَيرِ كَحائِضٍ لَم تُغسَلِ
إِنّي إِلى جَبَلَي تَميمٍ مَعقِلي ... وَمَحَلُّ بَيتي في اليَفاعِ الأَطوَلِ
أَحلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً ... وَيَفوقُ جاهِلُنا فَعالَ الجُهَّلِ
فَارجِع إِلى حَكَمَي قُرَيشٍ إِنَّهُم ... أَهلُ النُبُوَّةِ وَالكِتابِ المُنزَلِ
كانَ الفَرَزدَقُ إِذ يَعوذُ بِخالِهِ ... مِثلَ الذَليلِ يَعوذُ تَحتَ القَرمَلِ
وَإِفخَر بِضَبَّةَ إِنَّ أُمَّكَ مِنهُمُ ... لَيسَ إِبنُ ضَبَّةَ بِالمُعَمِّ المُخوَلِ
وَقَضَت لَنا مُضَرٌ عَلَيكَ بِفَضلِنا ... وَقَضَت رَبيعَةُ بِالقَضاءِ الفَيصَلِ
إِنَّ الَّذي سَمَكَ السَماءَ بَنى لَنا ... بَيتاً عَلاكَ فَما لَهُ مِن مَنقَلِ
أَبلِغ بَني وَقبانَ أَنَّ حُلومَهُم ... خَفَّت فَما يَزِنونَ حَبَّةَ خَردَلِ
أَزرى بِحِلمِكُمُ الفِياشُ فَأَنتُمُ ... مِثلُ الفَراشِ غَشينَ نارَ المُصطَلي
تَصِفُ السُيوفَ وَغَيرُكُم يَعصى بِها ... يا إِبنَ القُيونِ وَذاكَ فِعلُ الصَيقَلِ
خُصِيَ الفَرَزدَقُ وَالخَصاءُ مَذَلَّةٌ ... يَرجو مُخاطَرَةَ القُرومِ البُزَّلِ
هابَ الخَواتِنُ مِن بَناتِ مُجاشِعٍ ... مِثلَ المَحاجِنِ أَو قُرونَ الأَيِّلِ
قَعَدَت قُفَيرَةُ بِالفَرَزدَقِ بَعدَما ... جَهَدَ الفَرَزدَقُ جُهدَهُ لا يَأتَلي
أَلهى أَباكَ عَنِ المَكارِمِ وَالعُلى ... لَيُّ الكَتائِفِ وَارتِفاعُ المِرجَلِ
أَبلِغ هَدِيَّتِيَ الفَرَزدَقَ إِنَّها ... ثِقَلٌ يُزادُ عَلى حَسيرٍ مُثقَلِ
إِنّا نُقيمُ صَغا الرُؤوسِ وَنَختَلي ... رَأسَ المُتَوَّجِ بِالحُسامِ المِقصَلِ

التحليل:

لِمَـنِ الـدِيارُ كَأَنَّهـا لَـم تُحلَـلِ بَـينَ الكِنـاسِ وَبَـينَ طَلَـحِ الأَعـزَلِ[1]

الكناس: موضع من بلاد غني. والأعزل: واد لبني كليب به ماء. الطلح: شجر من العضاه. وقوله لم تُتحلل: يخبر أنها قد درست وامحت آثارها.

أَعـدَدتُ لِلشُـعَراءِ سُـمّاً ناقِعـاً فَسَـقَيتُ آخِـرَهُم بِكَـأسِ الأَوَّلِ

ويروى (كأساً مرةً) بدلاً من عبارة (سُماً ناقعاً) فهو بعد الوقوف على الديار افتتح جرير القصيدة بهذا الوعد والوعيد وهي بداية تظهر الحماسة والتصدي للخصوم يبدأ بهجاء الفرزدق.(أعددت للشعراء سُماً) هذا السم الذي وسم بأنه ناقع وهو كناية عن الثقة في النفس بما عنده فالكأس قد شرب منها غيره ولذا قال (للشعراء).

لَمّـا وَضَـعتُ عَلـى الفَـرَزدَقِ مَيسَـمي وَضَـغا البَعيـثُ جَـدَعتُ أَنـفَ الأَخطَـلِ

ميسمي يريد القوافي. فذكر الخصوم الفرزدق والبعيث والأخطل وما فعل بهم من تمزيق وتقطيع وتشويه.

أَخـزى الَّـذي سَـمَكَ السَـماءَ مُجاشِـعاً وَبَنَـى بِنـاءَكَ في الحَضـيضِ الأَسـفَلِ

(١) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، كتاب النقائض ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ج١ ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٨م،(ص١٥٤) وما بعدها وقد اعتمدنا في الشرح على كتاب النقائض. وشرح ديوان جرير، لمحمد حبيب(ص٩٣٩) وما بعدها.

الحضيض: أسفل الجبل وأعلاه عُرْعُرَتُهُ. فالمعنى في البيت: إن الذي قد خلق السماء ورفعها، أخزى بيت وقبيلة مجاشع وهي قبيلة الفرزدق وإنما الله بنى بيتكم في الحضيض الأسفل.

بَيتــاً يُحَمِّــمُ قَيــنُكُم بِفَنائِــهِ دَنِســاً مَقاعِـدُهُ خَبيـثَ المَـدخَلِ
وَلَقَـد بَنَيـتَ أَخَـسَّ بَيـتٍ يُبتَنـى فَهَـدَمتُ بَيـتَكُمُ بِمِثلَـي يَـذبُلِ

يحمم: أي يدخن فيه فيسوّده. **ويذبل**: اسم جبل. يقول جرير وأنت أيها الفرزدق بنيت بيتًا حقيرًا بوساطة شعرك، ولم تستطع أن تفخر بقبيلتك وهذا البيت الذي بناه الله وبنيته أنت أنا هدمته في بيتين مثل يذبل وهو جبل كبير في الجزيرة العربيّة، ومعنى هذا أن كل القصائد التي كتبها قد انتصرت عليها.

وذكر كلمة (مثلي): هي كناية عن أخوال الفرزدق وأعمامه، جرير يقول لديّ أعمام وأخوال نستطيع بهذا الشرف أن نهدم قبيلتكم. جرير يقول بعدها أنك قمت في أشعارك بمدح قبيلة فُقَيْم، إلا أنك لا تستطيع أن تخفي أن بني فُقَيْم قتلت أباك.

إِنّـي اِنصَـبَبتُ مِـنَ السَـماءِ عَلَـيكُمُ حَتّـى اِختَطَفتُـكَ يـا فَـرَزدَقُ مِـن عَـلِ

الشاعر هنا يشبه نفسه بطائر البازي أو الصقر حين انقض على الفرزدق واختطفه من علٍ وقد تخيل الشاعر خصمه(الفرزدق) في حجمه الصغير بعصفور أو طائر صغير وعكس مدى ضعفه في عدم المقاومة عند صيده له.

قُتِـلَ الـزُبَيرُ وَأَنـتَ عاقِـدُ حُبـوَةٍ قُبحـاً لِحُبوَتِـكَ الَّـتي لَـم تُحلَـلِ

يروى قبحاً لحبوتك. قال: ادّعى جرير أن الزبير كان جاراً للنعر بن زمام المجاشعي ولم يكن أجاره. والحبوة والإحتباءُ بالثوب الاشتمال وهو أن يضم الإنسانُ رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدُّهُ عليها قال وقد يكون

الاحتباءُ باليدين عوض عن الثوب"[١]. والحبوة عند المصيبة أو الشدائد تتنافى ومشاعر الأخذ بالثأر فالشاعر يحاول أن ينفي عن خصمه الحلم والأناة في مقام قتل القريب.

لا تَـذكُروا حُلَـلَ المُلـوكِ فَـإِنَّكُم بَعـدَ الـزُبَيرِ كَحـائِضٍ لَـم تُغسَـلِ

إذا كان الفرزدق قد افتخر بلباسهم حلل الملوك فإن جرير هنا يقول لهم لا تذكروا حلل الملوك بعد مقتل الزبير لأن حالكم أشبه بحال المرأة الحائض التي تلزم بيتها لا تخرج منه حتى تطهر وهو المراد بقوله لم تُغسلِ. وهو كناية عن الضعف في الأخذ بالثأر للزبير.

إِنّـي إِلى جَبَلَـي تَمـيمٍ مَعقِلـي وَمَحَـلُّ بَـيتي في اليَفـاعِ الأَطـوَلِ

معقلي: ملجئي وحرزي. **واليفاع**: المكان المشرف[٢]. وقبيلة تميم هي حِرزي ومعقلي.

أَحلامُنـا تَـزِنُ الجِبـالَ رَزانَـةً وَيَفـوقُ جاهِلُنـا فَعـالَ الجُهَّـلِ

نرى أن جرير استعمل ذات الصدر من البيت الشعري الذي استخدمه الفرزدق، يريد أن يقول : أنك ما ذكرته أنت عن قبيلتكم هو غير صحيح، وإنما هذه الصفات هي التي تستحقها وتتسم بها قبيلتي

فجرير في البيت يفخر برجحان عقله وعقول قومه إذ إنهم يصدرون في أفعالهم عن عقول رزينة تزن الجبال ليس من اليسير جرّ أصحابها إلى ما لا يفيد وتلك العقول قد تخرج في ساحات القتال عن طبعها الغريزي إلى أن تصل إلى

(١) ابن منظور ، لسان العرب، ج٢، ص٧٦٥.

(٢) نقائض جرير والفرزدق،ج١ ، ص١٦٤

المكر والدهاء وهو المطلوب في مثل هذه الحال لأن زيادة العقل تفضي بصاحبها إلى الدهاء والمكر. فالشاعر هنا أراد أن يقابل المعنى الدلالي عند الفرزدق فجاء بالألفاظ نفسها تقريبا وزاد عليها بأن هذا العقل يندفع إذا استثير ليتفوق بفعله على غيره.

فَارجِع إلى حَكَمَي قُرَيشٍ إنَّهُم أَهلُ النُبُوَّةِ وَالكِتابِ المُنزَلِ

حكما قريش: هاشم وأمية، أو عبد مناف وهاشم. فهو يعيد الأصل في الحكم والسيادة لأن خصمه (الفرزدق) عرف بتشيعه في بداية الأمر للعلويين ثم مال بعد ذلك لمدح الحاكم الأموي.

ثم نجد جرير يرد و يقول كلام الفرزدق في كلامه عن أمه أنها لن تلد الرجال والأبطال، فيقول:

لو فجرت بأمك بعد أكل خزيرها لتعدّ مثل فوارسي لم تفعل

الخزير: هو نوع طعام، جرير دائما يقول أنه بعد الخزير يطلقون روائح كريهة ويقول جرير: بعد أن تأكل أمك أسوء أنواع الطعام، حتى لو فجرت بها وأنت تطلب منها أن تنجب فوارس قبيلتنا لم تستطع أن تنجب لك.

جرير يريد أن يفخر بآبائه ويريد أن يظهر أن والد الفرزدق يعمل أعمالاً مشينة.

أَلهى أَباكَ عَنِ المَكارِمِ وَالعُلى لَيُّ الكَتائِفِ وَارتِفاعُ المِرجَلِ

أبوك يا فرزدق لاهٍ عن المكارم والأعمال الرفيعة والأمجاد، هو مشغول بعمله، وهو صاحب مهنة حدّاد لأنه إنسان عبد لمهنته، والإنسان الأصيل هو الإنسان الحر الذي يملك الأموال ويكون فارسًا ورئيسا لقبيلة، وعندما نقول أن والده حدّاد فهذه شتيمة كبيرة. وجرير هنا يرمز إلى قصة : أن جد الفرزدق الذي كان من

أفضل الرجال تزوج من فتاة باسم ليلى، وكان عند جد الفرزدق حداد يعمل عنده، وليلى بدلا من أن تعشق زوجها أحبّت الحداد ولذلك كل أولاد ليلى حدادين. الكتائف: جميع كتيفة: هي قطعة حديد كبيرة توضع للباب لكي تغلق الأبواب.

إذا قرأنا نقيضة الفرزدق مكوّنة من ١٠٤ أبيات، ولكن نقيضة جرير هي ٦٢ بيتًا، والسبب يعود إلى أن جرير نقض بأبياته أبيات جرير من ١- ٦٤، أما باقي أبيات الفرزدق ٦٥- ١٠٤ يرد على جرير وهذا يدل أنه إذا رأينا أن هناك فرقا بين نقيضتين، نضع احتمالا أن القصيدة الطويلة نجمع قصيدتين تحملان نفس الوزن والقافية .

٢- الفرزدق :

حياته وشعره :

همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، وكنيته أبو فراس، وهو من سلالة مضر بن نزار . وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه. ولقبه الفرزدق ، ومعناها الرغيف ، لقب بذلك لجهامة كانت في وجهه ، وقيل لقبح ودمامته ، إذ كان وجهه كالرغيف المحروق روى صاحبُ الأغاني "أن جد الفرزدق كان عظيمَ الشأن في الجاهلية، وقد أحيا أكثر من ثلاثمائة موءودة من مالِه، وأبوه غالب سيد بادية تميم وهو من الأجواد الأشراف، أما الفرزدق فقد نشأ في قومِهِ شريفاً كريماً كأبيهِ وجدّه.

ولد بكاظمة سنة٢٠ هـ ونشأ بالبصرة يرعى الغنم لأهله . ولكنه وجد أن همته أعظم من الرعي فقد كان عميق الإحساس بتفوقه وامتيازه. ومما يروى عنه أن أباه أتى به يوماً إلى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه فسأله عنه. فقال ابني يوشك أن يكون شاعراً مجيداً. فقال له أقرئه القرآن فأقرأه وحفظه

ثم رحل إلى خلفاء بني أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم، وأخص من كان يمدحه منهم عبد الملك بن مروان ثم أولاده من بعده.

وقد أوتيَ الفرزدقُ حساسيّةَ شاعرٍ يعيشُ في الشعرِ ولا ينظمُهُ فقط، ولذلك امتازت قصائِدُهُ بالصدقِ والحرارة مع مضامين اجتماعيّةٍ مرتبطة بشخصيّة شاعر من طرازه. وكان عظيم الشأن في اللغة فقيل: لولا شعر الفرزدق لذهبَ ثلث لغة العرب، ولولا شعره أيضاً لذهبَ نصف أخبار الناس.

أزواجه وأولاده:

عرف الفرزدق بتعدد زوجاته فقد تزوج من ابنة عمه خدعة. ومكث الفرزدق زماناً لا يولد له، فعيرته امرأته النوار بذلك فقال:

قالَتْ أَراهُ واحداً لا أَخَا لَهُ ... يُؤَمِّلُهُ في الوارثين الأَباعُدِ
لَعَلَّكَ يوْماً أَنْ تَرَيْنِي كأَنَّما ... بَنَّي حَوَالَيَّ الأُسُودُ الحَوَارِدُ
فإِنَّ تَميماً قَبْلَ أَن يَلِدَ الحَصَى ... أَقام زَماناً وهُو في الناس واحِدُ

فولد له بعد ذلك لبطة وسبطة وخبطة وركضة من النوار، وزمعة وليس لواحد من ولده عقبٌ إلا من النساء. توفي في بادية البصرة عام ١١٤هـ. وقد قارب المائة، وقيل له في مرضه الذي مات فيه: اذكر الله، فسكت طويلا ثم قال:

إِلى مَنْ تَفْزَعُونَ إِذا حَثَوْتُمْ ... بأَيْديكُمْ علىَّ منَ التُّرَابِ
ومَنْ هذا يَقُومَ لَكُمْ مَقامى ... إِذا ما الرَّيقُ غَصَّ بذي الشَّرَابِ

فقالت له مولاةٌ له: نفزع إلى الله، فقال: أخرجوا هذه من الوصية، وكان قد أوصى لها بمائة درهم. وقد مات الفرزدق قبل جرير فلما بلغ جريراً موته قال:

هَلَكَ الفَرَزْدَقُ بَعْدَما جَدَّعْتُهُ ... لَيْتَ الفَرَزْدَقَ كان عاشَ قَلِيلاَ

ثم أطرق طويلاً وبكى، فقيل له: يا أبا حرزة ما أبكاك؟ قال: بكيت لنفسي، إنه والله قل ما كان اثنان مثلنا أو مصطحبان أو زوجان إلا كان أمد ما بينهما قريباً، ثم أنشأ يقول مرثياً له :

فُجِعْنا بحَمَّالِ الدَّيَاتِ ابْنِ غالِبٍ ... وحامِي تَمِيمٍ عِرْضَها والبَرَاجِمِ[1]
بَكَيْنَاكَ حِدْثانَ الفِراق وإنَّما ... بَكَيْناك إذ نابَتْ أُمُورُ العظائِم

مواقف من حياة الفرزدق: فقد أُتى سليمان بأسرى من الروم، وعنده الفرزدق فقال له: قم فاضرب أعناق هؤلاء، فاستعفاه من ذلك فلم يعفه، ودفع إليه سيفاً كليلاً، فقام الفرزدق فضرب به عنق رجل منهم، فنبا السيف، فضحك سليمان ومن حوله، فقال الفرزدق:

ما يُعْجِبُ الناسَ أَنْ أضْحَكْتُ خَيْرَهُمُ ... خليفَةَ الله يُسْتَسْقَى به المَطَرُ
لم يَنْبُ سَيْفِيَ من رُعْبٍ ولا دَهَشٍ ... عَنِ الأَسيرِ ولكنْ أُخِّرَ القَدَرُ
ولَنْ يُقَدِّمَ نَفْساً قَبْلَ مِيتَتِها ... جَمْعُ اليَدَيْنِ ولا الصَّمْامَةُ الذَّكرُ

وفي ذلك يقول جريرٌ:

بَسيْفِ أَبي رَغْوَانَ قَيْنِ مُجَاشِعٍ ... ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بسَيْف ابنِ ظَالِمِ
ضَرَبْتَ به عنْدَ الإمامِ فأُرْعِشَتْ ... يَدَاكَ وقالوا مُحْدَثٌ غَيْرُ صارِمِ

فأجابه الفرزدق:

ولا نَفْتُلُ الأَسْرَى ولكنْ نَفُكُّهُمْ ... إذا أَثْقَلَ الأَعْناقَ حَمْلُ المَغَارِمِ
وهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِّي جاعلَةٌ لَكُمْ ... أَباً عن كُلَيْبٍ أَو أَخاً مثلَ دارِمِ

(١) جرير، الديوان، ج٣، ص٩٧٦.

ورآه خالد بن صفوان يوماً وكان يمازحه، فقال: يا أبا فراس ما أنت بالذي لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن! قال: ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت الفتاة فيه لأبيها:(يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين).

أسلوبه الشعري:

لم يكن للإسلام والقرآن الكريم أثرهما العميق لا في حياة الفرزدق العملية ولا في شعره، كان في حياته ماجنًا لاهيًا، لا هم له إلا السعي وراء ملذاته .

كانت طبيعته بدوية خشنة جافية، فكان أسلوبه في شعره صدى لطبيعته، وانعكاسًا لها، فاستأثرت به الجزالة والقوة وغرابة الألفاظ، وخشونتها وبداوة الصور، وغلبت هذه الطوابع على شعره عامة حتى على الغزل الذي تلائمه الرقة والعذوبة.

على أن أسلوب الفرزدق اتصف بأنه كان صورة لأساليب الفصحاء من شعراء الجاهلية في فصاحته وجزالته وغرابة ألفاظه وسعة مفرداته حتى قالوا– كما ذكرنا– :(لو لا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب)

لم تكن سليقة الفرزدق الشعرية مطواعًا له، سريعة الاستجابة والانقياد كسليقة جرير، بل كان يلقى عناء شديداً في نظم شعره حتى رووا عنه قوله:(أنا عند الناس أشعر الناس، وربما مرت علي ساعة ونزع ضرس أهون علي من أن أقول بيتًا واحدًا).

وكان للفرزدق ميلٌ إلى إطالة النظر في شعره، كما هو الأمر لدى الشاعر زهير بن أبي سلمى، إلا أن عنايته بشعره لم تحل دون الوقوع في التعقيد والخروج على قواعد النحاة في كثير من أشعاره، فإذا انتقده أرباب اللغة والنحو أجابهم:(علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا).

القيمة الفنية لشعره:

الفرزدق شاعر بدوي النزعة، ميال إلى الفخر والتبجح، ومن ثم كان أسلوبه بدويًا في نحت ألفاظه نحتًا، وكان شعره وقفًا على الخاصة، وإن لم يخل من الأبيات المأثورة .

وهو يشعر أنه لا يحن للنسيب الرقيق، ولهذا نراه لا يلتزم الديباجة الغزلية في كثير من قصائده، بل يهجم على موضوعه باندفاع، وهو إلى ذلك يتجاوز قوانين النحو المشهورة، كما يتجاوز قوانين البيان..

وقد اتسم الشاعر بنفسية متناقضة نراها في نزعاته السياسية والمعنوية والأخلاقية، فهو متقلب في عاطفته وإخلاصه ومتلون في رغباته ومنافعه، لذلك لا نكاد نلمس صدق العاطفة إلا في مدح آل البيت، أما في سواهم فيعمد الشاعر إلى الغلو والمداهنة ليغطي ضعف العاطفة.

نموذج النقيضة للفرزدق:(**إِنَّ الَّذي سَمَكَ السَماءَ**)

إِنَّ الَّذي سَمَكَ السَماءَ بَنى لَنا ... بَيتاً دَعائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطوَلُ[1]

بَيتاً بَناهُ لَنا المَليكُ وَما بَنى ... حَكَمُ السَماءُ فَإِنَّهُ لا يُنقَلُ

بَيتاً زُرارَةُ مُحتَبٍ بِفِنائِهِ ... وَمُجاشِعٌ وَأَبو الفَوارِسِ نَهشَلُ

لا يَحتَبي بِفِناءِ بَيتِكَ مِثلُهُم ... أَبَداً إِذا عُدَّ الفَعالُ الأَفضَلُ

ضَرَبَت عَلَيكَ العَنكَبوتَ بِنَسجِها ... وَقَضى عَلَيكَ بِهِ الكِتابُ المُنزَلُ

وَإِذا بَذَختُ وَرايَتي يَمشي بِها ... سُفيانُ أَو عُدسُ الفَعالِ وَجَندَلُ

الأَكثَرونَ إِذا يُعَدُّ حَصاهُمُ ... وَالأَكرَمونَ إِذا يُعَدُّ الأَوَّلُ

(١) الفرزدق، الديوان، ص٤٨٩ .

إنَّ الزِحـــامَ لِغَيرِكُـــم فَتَحَيَّنُـــوا ... وِردَ العَشِـــيِّ إِلَيـــهِ يَخلـــو المَنهَـــلُ
حُلَـــلُ المُلـــوكِ لِباسُـــنا فِي أَهلِنـــا ... وَالســـابِغاتِ إِلى الـــوَغى نَتَسَـــربَلُ
أَحلامُنـــا تَـــزِنُ الجِبـــالَ رَزانَـــةً ... وَتَخالُنـــا جِنّـــاً إِذا مـــا نَجهَـــلُ
فَـــادفَع بِكَفِّـــكَ إِن أَرَدتَ بِناءَنـــا ... ثَهـــلانَ ذا الهَضَـــباتِ هَـــل يَتَحَلحَـــلُ
وَأَنـــا اِبـــنُ حَنظَلَـــةَ الأَغَـــرُّ وَإِنَّـــني ... فِي آلِ ضَـــبَّةَ لِلمُعَـــمُّ المُخـــوَّلُ
فَرعـــانِ قَـــد بَلَـــغَ السَـــماءَ ذُراهُمـــا ... وَإِلَيهِمـــا مِـــن كُـــلِّ خَـــوفٍ يُعقَـــلُ
يـــا اِبـــنَ المَراغَـــةِ أَيـــنَ خالُـــكَ إِنَّـــني ... خـــالي حُبَـــيشٌ ذو الفَعـــالِ الأَفضَـــلُ
خـــالي الَّـــذي غَصَـــبَ المُلـــوكَ نُفوسَـــهُم ... وَإِلَيـــهِ كـــانَ حِبـــاءُ جَفنَـــةَ يُنقَـــلُ
إِنّـــا لَنَضـــرِبُ رَأسَ كُـــلَّ قَبيلَـــةٍ ... وَأَبـــوكَ خَلـــفَ أَتانِـــهِ يَتَقَمَّـــلُ
وَشُـغِلتَ عَـن حَسَـبِ الكِرامِ وَمـا بَنَـوا ... إِنَّ اللَئـــيمَ عَـــنِ المَكـــارِمِ يُشـــغَلُ
إِنَّ الَّـــتي فُقِـــأَت بِهـــا أَبصـــارُكُم ... وَهِـــيَ الَّـــتي دَمَغَـــت أَبـــاكَ الفَيصَـــلُ

التحليل:

استهل الفرزدق النقيضة بالفخر بهذا النسب والمكانة والعز والشرف وذكر عدداً من سادات قومه كزرارة بن عُدُس ومجاشع بن دارم ونهشل بن دارم إذ يقول:

إِنَّ الَّـذي سَـمَكَ السَـماءَ بَنـى لَنـا ... بَيتـــاً دَعائِمُـــهُ أَعَـــزُّ وَأَطـــوَلُ

سمك السماء: رفعها. ودعائم البيت: العيدان التي تقيمه. وأعزل وأطول: أراد به أعز وأطول من بيتك فلما صار في موضع الخبر استغني عن (من) لقوة الخبر . ومعنى البيت: أن الله ابتنى لهم بيتا هو الأرفع و الأشمخ.

بَيتـــاً بَنـــاهُ لَنـــا المَليـــكُ وَمـــا بَنـــى ... حَكَـــمُ السَـــماءُ فَإِنَّـــهُ لا يُنقَـــلُ

الشاعر هنا يريد بيت شرف وعزّ وهذا مثلٌ، ويروى مَلِكُ السّماء، ويروى رَبُّ السّماء. والمعنى أن الله بناه وهو لا ينقض.

بَيتـــاً زُرارَةُ مُحتَـــبٍ بِفِنائِـــهِ ... وَمُجاشِـــعٌ وَأَبـــو الفَـــوارِسِ نَهشَـــلُ

قولـه زرارة يعـني زرارة بـن عـدس بـن زيـد بـن عبـد الله بـن دارم بـن مالـك. ومجاشع بن دارم. ونهشل بن دارم.

لا يَحـتَبي بِفِنـاءِ بَيتِـكَ مِـثلُهُم أَبَـداً إِذا عُـدَّ الفَعـالُ الأَفضَـلُ

والمعنى أنه ليس في بيت جرير من يماثلهم في العز والشرف والمكانة

ضَـرَبَت عَلَيـكَ العَنكَبـوتَ بِنَسـجِها وَقَضـى عَلَيـكَ بِـهِ الكِتـابُ المُنـزَلُ

يقول: إن البيت الذي ينتسب إليه جرير و أبناء كليب قد بدا له مهملاً وقد غشيه العنكبوت والقرآن كتب عليه الذل والصغر بينما بيت الفرزدق بدا كالحجر. وهذا البيت نلحظ أنه مقتبس من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وَإِذا بَـذَخَتُ وَرايَـتي يَمشـي بِهـا سُـفيانُ أَو عُـدسُ الفَعـالِ وَجَنـدَلُ

البذخ: التفخر في كبر . وسفيان بن مجاشع بن دارم. وعُدس بن زيد ين عبدالله بـن دارم وجنـد بـن نهشـل بـن دارم. وبنـو نهشـل بـن دارم ستةٌ: عبـدالله ومجاشـع ونهشـل وأبـان وجريـر ومنـاف. وبنـو نهشـل ستةٌ: منهم جنـدل وصخر وجـرول (وهؤلاء الثلاثة يُسمون الأحجار) وقطنٌ وزيدٌ وأُبير.

الأَكثَـرونَ إِذا يُعَـدُّ حَصـاهُمُ وَالأَكرَمـونَ إِذا يُعَـدُّ الأَوَّلُ

(١) سورة العنكبوت/٤١

حصاهم: عددهم. الأول يعني من الآباء والأجداد وقد قالوا: من المساعي والأفعال. والمعنى في البيتين أنهم الأكثر عددا والأكرم. كما يلاحظ إظهار معنى الغلبة المادية والمعنوية عند بني دارم وذلك من خلال تكرار (يُعدّ) وأداة الشرط قبلها أسهمتا في إضفاء تلك الغلبة فهم أكثر عدداً وأحسن خصالاً وأفضل فعالاً.

إنَّ الزِحـــامَ لِغَيرِكُـــم فَتَحَيَّنـــوا وِردَ العَشِـــيِّ إِلَيـــهِ يَخلـــو المَنهَـــلُ

يقول تريثوا حتى يرفض جمع السقاة ويأتي العشي لتوردوا إبلكم. أي أنهم لا شأن لهم وأنهم يفدون يالذيل.وأنهم إنما يُسقون من فضل غيرهم.

حُلَـــلُ المُلُـــوكِ لِباسُـــنا في أَهلِنـــا وَالســـابِغاتِ إِلى الـــوَغى نَتَسَـــربَلُ

الحُلَة: إزارٌ ورداءٌ. نتسربل: نتقمص. والسربال: القميص. وهو من قول الله عزّ وجل ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [1]. يقول إنهم في السلم يرتدون مثل ثياب الملوك وفي الحرب فإنهم يرتدون الدروع السابغة.

أَحلامُنـــا تَـــزِنُ الجِبـــالَ رَزانَـــةً وَتَخالُنـــا جِنّـــاً إِذا مـــا نَجهَـــلُ

يفخر الفرزدق في البيت برجاحة عقله وعقل قومه فقد غدت آراؤهم معروفة مشهورة ذائعة لأنها تصدر عن عقول رزينة ثابتة كثبات الجبال التي هي أعلام الأرض إلاّ أن هذا العقل الغريزي قد يخرج عن طوعه إلى أن يفضي بصاحبه إلى المكر وخاصة في ساحات القتال.

(١) سورة إبراهيم/٥٠

الشاعر هنا يركز على جملة من الألفاظ في معجمه الشعري (أحلام- الجبال- رزانة- جهل –ناجية توزن- أعز- أطول)فإذا ما نظرنا للمعنى الدلالي لهذه الألفاظ نجد أن الشاعر لجأ لبيان البراعة في العقل وصفها برزانة عقله وعقول قومه وثباتها فجعلها كالجبال الراسيات الثابتات وقد عرفوا بهذا الرأي السديد الذائع كما تعرف الجبال للسائرين يدل على ذلك استخدامه لاسم التفضيل الذي يدل على افتخار الشاعر برزانة عقله وعقول قومه لينفذ من خلاله إلى تشبيه هذه العقول وثبات رأيها بثبات الجبال إذ نجد الصورة الأولى في الشطر الأول من خلال تشبيه المعنوي بالحسي فقد شبه رزانة العقول(معنوية) بالجبال الراسيات(محسوسة) وهو تشبيه مؤكد حذفت منه أداة التشبيه وفي الشطر الثاني لجأ إلى تشبيه القوم عند استنفارهم (حسي) بالجن(معنوي) وهو أيضاً تشبيه مؤكد حذفت منه الأداة ونلحظ هنا الاعتداد بالذات (أحلامنا، تخالنا) فقد جاء بالضمير الدال على الاعتداد بالذات والإعجاب بالنفس :

فَادفَع بِكَفِّكَ إِن أَرَدتَ بِناءَنا ثَهلانَ ذا الهَضَباتِ هَل يَتَحَلحَلُ

ثهلان: جبل الهضبات: هي الجبال الصغار.هل يتحلحل؟ هل يزول ويتحرك؟ وفي البيت كناية عن ضعف واستحالة التحريك لهذا الجبال.

وَأَنا اِبنُ حَنظَلَةَ الأَغَرُّ وَإِنَّني في آلِ ضَبَّةَ لِلمُعَمِّ المُخوَلُ

حنظلة بن مالك بن زيد. والمعم المخول: شريف العم والخال.وأُم الفرزدق لينة بنت قَرَظة من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة. والأغر: المشهور بالعز والشرف. والمعنى أنهم ماجدون وأن مجدهم شامخ كجبل ثهلان الذي لا يتحرك ولا يتزحزح.

فَرعانِ قَد بَلَغَ السَماءَ ذُراهُما وَإِلَيهِما مِن كُلِّ خَوفٍ يُعقَلُ

يُعقلُ: يلجأ. وذروة كل شيء أعلاه. والمعنى أنهم في الذروة والمكانة ويلجأ إليهم عند الخوف والفزع والشدائد.

يا ابنَ المَراغَةِ أَينَ خالُكَ إِنَّني خالي حُبَيشٌ ذو الفَعالِ الأَفضَلُ

حبيش: هوحبيش بن دلف بن عسير بن ذكوان.

خالي الَّذي غَصَبَ المُلوكَ نُفوسَهُم وَإِلَيهِ كانَ حِباءُ جَفنَةَ يُنقَلُ

يقول إنه كان يقتل الملوك وتنقل إليه المكوس والجعالات التي كانت لبني غسان آي آل جفنة.

إِنّا لَنَضرِبُ رَأسَ كُلَّ قَبيلَةٍ وَأَبوكَ خَلفَ أَتانِهِ يَتَقَمَّلُ

هم من الشجاعة بمكان بينما كان أبوك وقت الشدائد خلف أتانه (حماره) ينزع القمل البيت فيه كناية عن الخور والخوف والسخرية بموقف والده من ملاقاة الأعداء.

وَشُغِلتَ عَن حَسَبِ الكِرامِ وَما بَنَوا إِنَّ اللَئيمَ عَنِ المَكارِمِ يُشغَلُ

يقول إنه شغل بلؤمه من ارتياد المكارم.

إِنَّ الَّتي فُقِأَت بِها أَبصارُكُم وَهِيَ الَّتي دَمَغَت أَباكَ الفَيصَلُ

❖❖❖

المبحث الثالث

الغزل واتجاهاته في الشعر العربي

مفهومه العام :

هو وصف الحبيب ومحاسنه ووصف المشاعر تجاهه. والغزل في الشعر العربي أثر في الكثير من الآداب العالمية ومنها الآداب الفارسية والأردية والتركية تحت نفس المسمى.

الغزل في العصر الجاهلي:

كان الغزل في العصر الجاهلي غرضا من أغراض القصيدة في أبيات تقل أو تكثر، على نحو ما نجد في غزل عنترة بن شداد أو في شعر طرفة بن العبد. وقد تربع الغزل على عرش الشعر في العصر الجاهلي ولا تكاد تخلو قصيدة من الغزل حتى وإن لم يكن هو الغرض الأساس فيها فلا بد للشاعر أن يذكر الغزل في قصيدته، واقتصرت أغلب القصائد الغزلية على وصف الجمال الخارجي للمرأة كجمال الوجه والجسم لكنهم قلما تطرقوا إلى وصف ما ترك هذا الجمال من أثر في عواطفهم ونفوسهم.

وقد سار هذا اللون على خطين: **أولهما:(الجاهلي)...الغزل الفاحش وزعيمه** امرؤ القيس ونجد ذلك واضحاً في معلقته بمغامراته الليلية مع النساء وأيضا يتجسد ذلك في إحدى قصائده :

سموت إليها بعد ما نام أهلها ... سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت سباك الله إنك فاضحي ... ألست ترى السمار والناس أحوال
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

وصـــرنا إلى الحســـنى ورق كلامنـــا ورضـــت فـــذلت صـــعبة أي إذلال
فأصـــبحت معشـــوقا وأصـــبح بعلـــها عليـــه القتـــام ســـيء الظـــن والبـــال
يغـــط غطـــيط البكـــر شـــد خناقـــه ليقـــتلني والمـــرء لـــيس بقتـــال[1]

وثانيهما :الحسي العفيف الذي سطع نجمه لا حقاً في العصر الأموي وكانت نواته في الجاهلية وزعمائه كُثر وقد اقترنت أسماؤهم بأسماء محبوباتهم أمثال عنتر وعبلة و عروة بن حزام وعفراء. و عموماً لما كثرت حياة الترحال عند البدو في الجاهلية، صار الشعراء يقفون على أطلال حبيباتهم ويبكونها. فصارت القصيدة العربية في الجاهلية لا تخلو من مقدمة طللية يذكر فيها الشاعر حبيبته ويتغزل بها.

الغزل في عصر صدر الإسلام:

جاء الغزل في هذا العصر أكثر تعففاً عند عموم الشعراء واتسم شعرهم بالغزل العفيف الذي لم يقف الإسلام بوجهه والدليل على ذلك أن كعب بن زهير عندما مدح الرسول محمد بدأ قصيدته الشهيرة بالغزل ومنها:

بانَـت سُـعادُ فَقَلَـبي اليَـومَ مَتبـولُ مُتَـيّمٌ إِثرَهـا لَـم يُفـدَ مَكبـولُ
وَمـا سُـعادُ غَـداةَ الـبَينِ إِذ رَحَلـوا إِلا أَغَـنُّ غَضـيضُ الطَـرفِ مَكحـولُ
هَيفـاءُ مُقبِلَـةً عَجـزاءُ مُـدبِرَةً لا يُشـتَكى قِصَـرٌ مِنهـا وَلا طـولُ[2]

الغزل في الدولة الأموي:

(١) امرؤ القيس، الديوان، بشرح السُكري، دراسة وتح: د. أنور عليان أبو سويلم، وآخر.ج١،اصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الامارات العربية المتحدة،ط١، ٢٠٠٠م ص٣٣٢

(٢) كعب بن زهير، الديوان، صنعه الامام أبي سعيد السكري، شرح ودراسة، دمفيد قميحة، ص١٠٩.

شاع الغزل في هذا العصر واتسعت مظاهره وتعددت ألوانه ، بل أنه أخذ مظهراً جديداً لم يكن له وجود من قبل ،فوجد شعر الغزل مستقلاً بذاته لا يشركه غرض آخر، وظهرت وحدة الغرض في القصيدة الغزلية، وشعراء وقفوا حياتهم عليه. وقد انقسم الغزل في العصر الأموي إلى ثلاثة اتجاهات نلحظها على النحو الآتي :

- الاتجاه الأول : الغزل الحضري أو الحسي
- الاتجاه الثاني : الغزل العذري أو العفيف
- الاتجاه الثالث : الغزل التقليدي.

أما الاتجاهان الأول والثاني: فقد وجدا في بيئة الحجاز وباديه. أما الاتجاه الثالث فقد شارك فيه جمهور الشعراء من سائر الأقاليم والبيئات المختلفة ولكنهم بلا شك قد تأثروا في غزلهم التقليدي هذا بأصحاب الاتجاهين الأول والثاني.

ونجد طه حسين يشير إلى تلك الاتجاهات حيث يقول: "نشأ عند العرب فن جديد هو الغزل ذهب فيه الشعراء مذهبين مختلفين، "**مذهب اللذة**" ورفع لوائه عمر بن أبي ربيعة. و"**مذهب العفة**" ورافع لوائه جميل بن معمر. ومضى بين هذين المذهبين الشعراء الآخرون فمنهم من اتخذ الغزل صفة وفنا حذا حذو أولئك أو هؤلاء، ومنهم من سلك مسلك الشعراء الجاهلين فتناول فنون الشعر كافة ولكن غزله تأثر بمذهب الفن الجديد فرق لفظه وسهل ودق معناه ولطف"[١].

بيئة الحجاز :

أشهر مدن الحجاز مكة والطائف والمدينة فالتجارة التي جعلت لمكة في الجاهلية مكانة مرموقة لم تكن مقصورة على تبادل السلع وعروض التجارة فحسب، وإنما

(١) طه حسين ،حديث الأربعاء، دار المعارف ، القاهرة،ط١٤،(د.ت) ج٢، ص١٩.

كانت كذلك طريقا من طرق اتصال الحجاز بثقافة عالم البحر الأبيض الذين كانوا يتجاورن معه.

كل ذلك الثراء الذي تدفق على أهل الحجاز ولا سيما أهل مكة والمدينة قد تبعه ولا ريب تطور في حياتهم وحياة أبنائهم فلم يعودوا يقنعون بما كانوا علية من قبل، وإنما نراهم يتنافسون في تشيد القصور حتى استحالت مكة والمدينة مدينتين كبيرتين تضارعان مدائن الفرس والروم على أن انتقال الخلافة إلى دمشق في عصر الأمويين قد هيأ لهما ليأخذا بقدر ما يستطيعان من حضارات الأمم المفتوحة.

ولم يقف الأمر بأهل الحجاز البقاء عند تشيد القصور وإنما نراهم ينزعون إلى ألوان من الترف في طعامهم وشرابهم ولباسهم وقد زاد بهم الاتصال والتأثر بتلك الحضارات الوافدة عبر الرقيق الذي وفد علية منذ الفتوح. وبالإضافة إلى ما تقدم كان لكثرة الرقيق وانتشار الموالي في الحجاز أثره الخطير في تطور المجتمع الحجازي وإدخال الكثير من مظاهر حياة الفرس والروم.

وكان بجوار الحياة العلمية بالحجاز من حديث وفقه وزهد وورع كان من المقابل هناك لهو وطرب وشراب وتشبيب بالنساء حيث "شاعت المجالس التي يجتمع فيها الناس كلهم وحدث السفور بروز النساء في مجالس[اللهو والطرب]ومجاراة الرجال في النزه والغناء.ثم حدثتِ الألفة وأصبح النساء يرغبن في يذكرهن الشعراء في الشعر فكان ذلك باباً جديدا في اللهو لم يكن في أكثر الأحوال ريئاً. وتطور الغناء في تلك المجالس والمواسم تطوراً بارزاً لمّا دخله أشياءُ كثارٌ من الفن الفارسي وأشياء قليلة من الفن الرومي.وكان حظ الحجاز من

هذا التطور في الغناء عظيماً جدا:لقد كان الحجاز بيئة هذا التطور، وكان أهل الحجاز صُناع هذا التطور "[١].

وربما كان السبب أن الأمويين عندما آلت إليهم الخلافة وحصروها في أنفسهم ضيقوا على من عاداهم من بطون قريش وشغلوهم عن التفكير في الخلافة والسياسة بما غمروهم به من المال، والعطايا فانصرف شباب الحجاز بذلك وبما لهم أصلا من ثراء عريض عن الخلافة والسياسة إلى حياة اللهو والطرب

وقد تكون مجمل هذه الأسباب مجتمعة هي التي أدت إلى تفوق الحجاز على غيره في إجادة الغناء وما يحيط به من لهو ومجون ودراسة الشعر الحجازي الذي هو وليد هذه البيئة المترفة المتحضرة في ذلك العصر تظهرنا على مدى انفصاله عن الشعر الجاهلي .

ومجمل الأسباب في ذلك التحول لهذا التطور في الغزل يمكن أن نوجزها في الآتي:

١- كان الثراء و الفراغ قد أعانا علي التفات أهل الحضر إلي ما من شانه أن يغذي نوازع المتعة، و التذوق الفني و في مقدمتهما أحاديث الغزل، و مطارحات الغرام.

٢- وثمة عامل آخر لا يقل عما سبق تأثيرا في غزل هذه الفترة، وهو رواج الغناء والموسيقى و ازدهارهما.

٣- هدوء حدة الصراع السياسي.

٤- "حرية النساء في تعاملهن مع الرجال، والمجتمع" [٢].

---

(١) د. عمر فروخ، تاريخ الادب العربي،ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١م، ص٣٥٥.

(٢) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية والإسلام، دار الجيل بيروت –لبنان، ودار مارون عبود(د.ت)،ص٢٨٥. وانظر: عمر فروخ، تاريخ الادب العربي،ج١، ص٣٥٥.

و مما لا شك فيه أن الغزل الحضري، كان نموه نموا طبيعياً في تلك الحجور المترفة الناعمة، التي تتطور وتتحضر تحت تأثير العناصر الأجنبية الوافدة إليها مع الجواري الروميات والفارسيات[١].

وقد كانوا في نزوعهم إليه وإكثارهم منه وتفننهم فيه متجاوبين مع أنفسهم وأهوائهم وبيئتهم فكان طبيعيا لذلك أن يكثر شعراء الحب والغزل في الحجاز وأول من تجرأ من شعراء القرشيين في **مكة** على التشبيب بالنساء عمر بن أبي ربيعة وأبو دهبل والعرجي والحارث بن خالد، وابن قيس الرقيات. **وفي المدينة** الأحوص، وقيس بن ذريح ، ثم تجرأ الشعراء من غير قريش على الإقتداء بهم حتى شاع التشبيب في العصر الأموي[٢] .

وقد كان زعيم الغزليين[٣] في ذلك العصر عمر بن أبي ربيعة فقد فاق نظراءه بسهولة الشعر وشدة الأسر وحسن الوصف و إرسال شعره قصصا غزلية حتى كأنه إنما يدون فيه تاريخ قلبه ولذلك فتن به الناس وقلد الشعراء في طريقته.

أما تسمية هذا الاتجاه بالغزل الحضري فيقول الدكتور عبد القادر القط" إذا كان الشعر العذري قد عبر عن عواطف الحب عند هؤلاء الشعراء الذين كانوا يعيشون عيشة وسطا بين البادية والحاضرة ويتجاذبهم نمطان مختلفان من الحياة والحضارة فقد كان هناك شعر آخر يصور عواطف طائفة من

(١) د.جبرائيل سليمان جبور، كيف أفهم النقد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط١، ١٩٨٣م، ص١٢٥.

(٢) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية والإسلام، ص٢٨٥

(٣) د. طه حسين، مقالة(زعيم الغزليين عمر بن أبي ربيعة) نشرت بجريدة (السياسة) في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٤م. وانظر مقدمة ديوان عمر بن أبي ربيعة،ص١٠

الشعراء استقر بهم المقام في الحواضر واطمأنوا إلى طبيعة الحياة الجديدة فيها"[١].

الأول: الغزل الحضري: (الغزل القصصي):

أخذ شعراؤه يصورون ما قارفوا ، ويصفون ما شاهدوا ... يتخيلون ما يشتهون من متع تنزع إليها غرائزهم ، ويصورون ذلك قصائد رائعة تفيض عبثاً ومجوناً ، تثير الفتنة النائمة ، وتوقظ الشهوة الغافية .

وترتبط نشأته بالظروف التي أحاطت بالحجاز ، منذ خلافة عثمان حتى قيام الدولة الأموية، والسياسة التي ترتبت عن انتقال الحكم من الخلافة الدينية القائمة على الشورى إلى ملك قائم على الوراثة.

ربما كان هدف السياسة الأموية - تجاه المعارضة القوية في الحجاز - القيام بعزل هذا الإقليم عن شؤون الدولة وسياستها، ووقف النشاط السياسي فيه، لمكانته وتأثير آرائه وميوله. فعمد الأمويون إلى أساليب خاصة لتحقيق هذه العزلة؛ فنقلوا عاصمة الخلافة إلى الشام، وأحاطوا الحجاز بأسباب اليسار والثروة ووفروا فيه عوامل اللهو.

وعلى هذا النحو كان الناس رجالاً ونساءً في المدينة ومكة يقبلون على شعر الغزل، وأخذ الشعراء يخضعون ملكاتهم وعواطفهم له، فمنهم من يتحفظ ، فيكظم حبه في نفسه، فهو حب عذري طاهر، ومنهم من يصرخ بحبه بلا تحفظ وبزياراته لمحبوبته ، وهم الكثرة، وعلى رأسهم عمر بن أبي ربيعة.

---

(١) د. عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي، ص ١٧٢.

إنه غزل حضري لأنه ظهر في المدن وكان شعراؤه من أهل الحضر الذين نالوا نصيباً كبيراً من ترف الحياة ونعيم العيش ... وهو إباحي لأن منشديه لم يتورعوا فيه عن وصف لذائذ الوصال بين الرجل والمرأة ... وهو مادي لتلك الأسباب التي ذكرنا، لأنه يصور أحاسيس الحب المادية[١].وفي الأبيات التالية مثال على بعض ذلك الوصف وتلك اللذائذ كما يصورها عمر في شعره.

فأذاقتني لذيذاً ، خلته ذوب نحلٍ شيب بالماء المؤتزر
فتقضت ليلتي في نعمةٍ مرةٍ الثمها غير حضر
وأفري مرطها عن مخطف ضامر الأحشاء ، فعم المؤتزر
فلهونا ليلنا ، حتى إذا طرب الديك ، وهاج المدكر[٢]

أما عن النقاد ... فقد تعددت الدلالات على ماهية وطابع هذا الغزل عندهم ... سماه بعضهم الإباحي ، وأعتبره آخرون مادياً ، ودعاه (طه حسين)" غزل المحققين"[٣]، ولا تخلو نسبته إلى هذه الظواهر المختلفة من الصدق. حقيقة هو غزلٌ واقعي ، فهو يعكس واقع المجتمع الحضري، ونفسية المرأة في ذلك العصر.

أما اهتمام الدكتور طه حسين بالجانب الذي يمس الغزليين في هذا الشعر ودعوته لأصحابه بـ "المحققين" فذلك لاهتمامهم بالناحية العلمية من الحب، وقصدهم إلى الوصال، وعدم نزوعهم منزع العذريين[٤].

(١) ينظر : المرجع السابق، ص٧٤

(٢) عمربن أبي ربيعة، الديوان، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د. فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٦م،ص١٦٤.

(٣) طه حسين، حديث الأربعاء،ج٢،ص٣٠٨.

(٤) د.عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي، ص١٧٢.

عمر بن أبي ربيعه : حياته وشعره:

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعه، حذيفة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مره بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر. و يكني عمر بن أبي ربيعه أبا الخطاب.

ولد عمر في اليوم الذي توفي فيه عمر بن الخطاب سنه ٢٣هـ.[١] لأم يمنية أو حضرمية تسمى مجداً[٢] ويقال من حميد اليمن، وكان أبوه يلقب مجيراً في الجاهلية، فسماه الرسول(ﷺ) عبد الله و أخوه الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعه يلقب القباع"[٣].

وتذكر بعض الروايات أنه" تاب في آخر حياته، وقيل: فتك عمر أربعين ونسك أربعين يريدون أنه عاش في غوايته أربعين سنة، ثم تاب في الأربعين الباقية. ومع أنه ليس من الثابت أن عمر أدرك الثمانين"[٤]." ويقولون إنه مات وقد قارب السبعين أو جاوزها[٥] وإذا صح ذلك يكون قد توفي حوالي سنة ثلاثة وتسعين للهجرة"[٦].

موته :

تضاربت الروايات في سبب موت عمر فقيل ،إنه غزا في البحر فأحرقت سفينته ومات، وقيل إنّ امرأة دعت عليه لأنه ذكرها في شعره، فهبت عليه ريح،

---

(١) عمر بن أبي ربيعة مقدمة الديوان، ص٧.

(٢) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص٣٤٩.

(٣) د. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة،ط٦، ١٩٥٩م،ص٢٢٠.

(٤) عمربن أبي ربيعة، الديوان ،المقدمه،ص٨.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ج١، ص٧١.

(٦) د.شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص٣٥٤.

وجرحه غصن شجرة استتر بها، فمات، وقيل إنه مات في اليمن. وكما اختلفت الروايات في سبب موته، اختلفت أيضاً في زمن وفاته، وأغلب الظن أنه توفي في سنة ٩٣هـ.[١]

فقد "ولد عمر في بيت قرشي واسع الثراء، هو بيت بني مخزوم"[٢]، و كان أبوه في الذروة من قومه ثراءً، واستعمله الرسول(ﷺ) والياً علي إقليم من اليمن يسمى الجند. فهو شاعر قريش وفتاها، و لم تكن العرب تقر لقريش بالشعر حتى نبغ ابن أبي ربيعه فأقرت لها به، كما أقرت لها بالشرف والرياسة وكان جرير إذا انشد شعر عمر قال: " هذا شعر تهامي، إذا انجد، وجد البرد" وسئل حماد الراوية عن شعره فقال: " ذلك الفستق المقشر"[٣].

وكان يعترض قوافل الحجاج ويشبب بالحاجات في مواسم الحج ، كما أنه كان مغروراً بنفسه ولم يكن طالب لذة . ومما يدل على ذلك قوله :

سلامٌ عليها ما أحبت سلامنا فإن كرهته فالسلام على الأخرى[٤]

ويصور شغل ثلاث أخواتٍ به ، فيقول:

قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر[٥]

الغزل العمري:

(١) عمر بن أبي ربيعة، مقدمة الديوان، ص٨.
(٢) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص٣٤٩.
(٣) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، الناشر كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر،(د.ت.)، ص٢٨٢.
(٤) عمر بن أبي ربيعة، الديوان، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د. فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٦م،ص١٩٢.
(٥) المرجع نفسه،ص٤٣٨.

غزل حضري بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، هو حضري في نموذج المرأة التي يصورها وفي استجابته لمقتضيات الغناء والتلحين، وحضري بتفننه في رصد نفسية الأنثى المتحضرة. ويبقي لعمر- منذ ذلك- أنه الشاعر الذي أقام للغزل ديواناً لم يشهد الشعر العربي مثل ضخامته من قبل، فاختص بهذا اللون على نحو لم يتح لشاعر سواه، و تصرف في موسيقاه و أوزانه طبقاً لمؤثرات الغناء و ألحانه، و افتن في رصد مشاعر الأنثى المتحضرة و علاقتها العاطفية بالرجل و أبدع في ذلك كثيراً من الصور الشعرية التي تجمع بين العفوية و الفن.

تحليل النص الشعري(الرائية):

أولاً: غريب اللغة والشرح[١]:

١- أَمِن آلِ نُعمٍ أَنتَ غادٍ فَمُبكِرُ غَداةَ غَدٍ أَم رائِحٌ فَمُهَجِّرُ[٢]

نُعم: هي امرأة من قريش كانت تُكنى أم بكر وهي من بني جُمح، اكثر عمر من ذكرها في شعره. **غادٍ**: سائر في الصباح. **مبكر**: من التبكير غاد فمبكر: سائر في الغداة أي الصباح الباكر. **الرائح**: المسافر في المساء ، المهجر: من التهجير وهو السير في وقت الهاجرة (عند الظهيرة وهو زمن اشتداد الحر) رائح **فمهجر**: مسافر في الأصيل والشمس لا تزال ترسل حرها. والمعنى يسائل الشاعر نفسه قائلاً هل أنت متوجه إلى حي آل نُعم في الصباح الباكر من يوم غد، أم في وقت الأصيل والشمس لا تزال ترسل حرها فهذه الأوقات لا تجوز فيها الزيارة.

٢- بحاجَةِ[٣] نَفسٍ لَم تَقُل في جَوابِها فَتُبلِغَ عُذراً وَالمَقالَةُ تُعذِرُ

لحاجة نفسي: أي لسبب ما في نفسي، لم تقل في جوابها: إنك كتمتها عن كل من يسأل عنها، فيتبلغ عذراً: فتوجد لنفسك العذر أو المبرر، المقالة: القول، **تُعذر**: بضم التاء تنفي العذر أو تقيم العُذر . **والمعنى**: إن الشاعر لم يتحدث لأحد عما دعاه إلى الذهاب، ولو أنه تحدث لأقام العذر لنفسه أي هل هناك حاجة ماسة

---

(١) اعتمدنا في شرح القصيدة على الديوان قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د. فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٦م،ص١٢٢.

(٢) النص في قافية الراء رقم (١٢٥) من الديوان،ص١٢٢.

(٣) ورد في بعض الدواوين "لحاجة نفس"

لهذه الزيارة في مثل هذه الأوقات فإن كان هناك حاجة ماسة ومطلب ضروري فهو الذي يقدم لك العذر لهذه الزيارة[١].

٣- تَهيمُ إِلى نُعمٍ فَلا الشَملُ جامِعٌ وَلا الحَبلُ مَوصولٌ وَلا القَلبُ مُقصِرُ

أهيم : أشغف حبا بها، **مقصر**: اسم فاعل من أقصر أي كف عن دواعي الصبابة، والمعنى: يقول الشاعر أنني أشغف حبا بنُعم التي لم يجمع شملي بها ولا يتسنى لي الاتصال بها، ولا يكف القلب عن التعلق بها والخفقان بحبها فهذه هي الحاجة الماسة والملحة التي تدفعني لزيارتها في مثل هذه الأوقات الممنوعة.

٤- وَلا قُربُ نُعمٍ إِن دَنَت لك نافع وَلا نَأيُها يُسلي وَلا أَنتَ تَصبِرُ

دنت: قربت، **النأي**: البُعد، **يسلي**: ينسي، يقول الشاعر: إن قرب نُعم منك لا يجديك نفعاً لتعذر اتصالك بها كما أن بُعدها لا يُنسيك حبها، وفضلا عن ذلك فإنك لا تستطيع الصبر على فراقها فأنت لا تقصر في الحديث عنها فلسانك يلهج دائما بذكرها وقلبك متعلق بها.

٥- وَأُخرى أَتَت مِن دونِ نُعمٍ وَمِثلُها نَهى ذا النُهى لَو تَرعَوي أَو تُفَكِّرُ

نهى: منع وحرّم . **النُهي**: جمع نُهية وهي العقل. سمي به لأنه ينهي عن القبيح وعن كل ما ينافي العقل. **ترعوي**: ترجع عن غيك وتكفّ عن الاتيان بما يستقبح منه. يقول إن هناك عقبة أخرى تحول دون الوصول إلى نُعم ، ويتمنى على مَنْ يمنعون ذلك لو يعودوا عن غَيّهم ويسمحوا باللقاء.

٦- إِذا زُرتُ نُعماً لَم يَزَل ذو قَرابَةٍ لَها كُلَّما لاقَيتُها يَتَنَمَّرُ

(١) عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص١٢٢.

يتنمرُ: يعبس وجهه ويكلح ويتنكر لصاحبه، وذلك أن النمر لا تلقاه أبداً إلاّ متنكراً غضبان. يقول: إنه إذا التقى بها فإن أقرباءها وأهلها يغضبون من ذلك ويتنكرون له، ويقطبون وجوههم. ويهجمون عليه كالنمر الذي يهجم على الفريسة، وهكذا يعلل شقاءه ووجه الواقع الذي يشقى به.

٧- عَزيـزٌ عَلَيـهِ أَن أُلِـمَّ ببَيتِهـا يُسِرُّ لِيَ الشَحناءَ وَالبُغضُ مُظهَرُ

عزيز عليه: صعب عليه. **ألمّ به**: أنزل به، أزوره (وفي بعض الدواوين "أن أمرّ ببابها). يُسرّ لي: يضمر أو يظهر. **الشحناء**: البغضاء والعداوة. **والبغض مُظهر**: وفي بعض الدواوين(والبغض يظهر) أو "الشر يُظهر" وفي هذا البيت يستكمل معنى البيت السابق ويقول إذا زارها في بيتها فإن ذا قرابة لها يضمر له العداوة والبغضاء.

٨- أَلِكني إِلَيها بِالسَلامِ فَإِنَّهُ يُشَـهَّرُ إِلـامي بهـا وَيُنَكَّـرُ

ألكني إليها بالسلام : أي كن رسولي إليها بالسلام. **يشهر**: يذاع **ينشر**: المامي: زيارتي، ينكر: يقبح ، يظهره، وكأنه شيء منكر. والمعنى أن الشاعر يخاطب صاحبا متخيلاً على عادة شعراء العرب قائلاً كن رسولي إلى نُعم بالسلام، نظراً لأن زياتي لها قد تستغل للتشهير بي وفضح أمري وإظهاري بمظهر من فعل فعلا منكراً من جانب ابن عمها المشار إليه وهنا يكشف لنا الشاعر عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية في المجتمع الحجازي وما كان يعرف به من عادات التراسل بين المحبين.

٩- بِآيَةِ ما قالَت غَداةَ لَقيتُها بِمَـدفَعِ أَكنـانٍ أَهَـذا المُشَـهَّرُ

الآية: العلامة، مدفع أكنان: اسم موضع. **المشهر**: الذي اشتهر أمره بين الناس يقول: لقد طلبت من رسولي إلى نُعم أن يذكر أمامها كلمة (المشهر) التي كانت قد نعتني بها يوم التقيت بها في مدفع أكنان، كدليل وبرهان على أنه

موفد من قبلي لكي تطمئن إليه وتثق به ويشير الشاعر هنا إلى أنه كان قد التقى بها وله مغامرات عاطفية قبل هذا اللقاء الجديد بينهما.

١٠- قِفي فَانظُري أَسماءُ هَل تَعرِفينَهُ أَهَـذا المُغـيريُّ الَّـذي كـانَ يُـذكَرُ

المغيري: المنسوب إلى المغيرة، وهو جده كما هو معروف. فالشاعر يطلب من رسوله أن يذكر نُعم عندما استوقفت أختها أسماء لتسألها عمّا إذا كانت تعرف عمر الذي طالما ذكر أمامها.(كان ذلك عندما التقى بها عمر في مدفع أكنان) يكشفا لنا هنا عن طبيعته النسوية ومعرفته بحيل النساء ومكائدهن فنُعم تخرج للقائه مع أسماء للتمويه.

١١- أَهَذا الَّذي أَطرَيتِ نَعتاً فَلَم أَكُن وَعَيشِـكِ أَنسـاهُ إِلى يَـومِ أُقبَـرُ

أطريتِ: من الإطراء وهو المديح ، **نعتاً**: وصفاً والمعنى أهذا هو عمر الذي أكثرت من الإشادة به إلى الحد الذي جعلني لا أنساه ما دمت على قيد الحياة والشاعر هنا يظهر اعتزازه بنفسه ويمدح نفسه على لسان أسماء وكأن النساء يتحدثن عنه دائماً ويطلبنه.

١٢- فَقالَت نَعَم لا شَكَّ غَيَّرَ لَونَهُ سُـرى اللَيـلِ يُحيـي نَصَّـهُ وَالتَهَجُّـرُ

سُرى الليل: السير فيه، النَصّ: السير الشديد، **التهجر**: السير في وقت الهاجرة. يريد أن ما غير لونه، كثرة سيره في الليل ووقت الهاجرة أي أنه لا يستقر في مكان محدد لأنه دائم السفر والتفكير للوصول إلى ديار نُعم.

١٣- لَئِن كانَ إِيّاهُ لَقَد حالَ بَعدَنا عَـنِ العَهـدِ وَالإِنسـانُ قَـد يَتَغَيَّـرُ

حال: تغير، عن العهد: عن الصورة التي عرفناه عليها. تقول أسماء: إذا كان هذا هو عمر حقاً فإنه قد تغير عمّا كُنا قد رأيناه من الشبيبة والصبا إلى الشيب والشيخوخة وهذا ليس غريباً لأن التغير من الإنسان.

١٤- رَأَت رَجُلاً أَمّا إِذا الشَمسُ عارَضَت فَيَضحى وَأَمّا بِالعَشِيِّ فَيَخصَرُ

يقول الشاعر لقد رأت أسماء ونُعم رجلاً متغير الحال من كثيرة السهر والسفر فهو إذا جاء وقت الضحى نام قليلاً ثم يعاود نشاطه وسفره قاصداً ديار نُعم باحثا عنها عله يحظى بلقائها وإذا ما أقبل الليل فإنه ليصاب بالبرد لسكونه وتفكيره الطويل فهو لا يرتاح في ليله ولا نهاره.

١٥- أَخا سَفَرٍ جَوّابَ أَرضٍ تَقاذَفَت بِهِ فَلَواتٌ فَهوَ أَشعَثُ أَغبَرُ

فهو دائم السفر يجوب البلدان ويقطع الفيافي والقفار على ظهر ناقته ولذلك أصبح حاله يرثى له فهو أشعث الشعر ووجهه قد أغبر وتغير لونه من كثرة السفر والتجوال وشدة التعب والمشقة.

١٦- قَليلٌ عَلى ظَهرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ سِوى ما نَفى عَنهُ الرِداءُ المُحَبَّرُ

فهو مسافر على ناقته ليل نهار لا يدفع عنه حر الشمس اللافح إلا ذاك الثوب الحريري الذي يرتديه فهو نحيل الجسم ضعيف البنية نتيجة سفره وتنقله وهيامه على وجهه في الصحراء اللاهبة.

١٧- وَأَعجَبَها مِن عَيشِها ظِلُّ غُرفَةٍ وَرَيّانُ مُلتَفُّ الحَدائِقِ أَخضَرُ

١٨- وَوالٍ كَفاها كُلَّ شَيءٍ يَهُمُّها فَلَيسَت لِشَيءٍ آخِرَ اللَيلِ تَسهَرُ

(١٧- ١٨) ريان: كثير المياه(بستان أو نحوه) يقارن الشاعر في هذين البيتين بين حاله وحال نُعم فيذكر أنها تعيش في بيت بوسط بستان أخضر وارف

الظلال وعندها من يقوم على خدمتها وتصريف شؤونها ولذلك لا حاجة لها بالسهر والتفكير والسفر وركوب الأخطار مثله هو.

١٩- وَلَيلَـةَ ذي دَورانَ جَشَّـمتِني السُـرى وَقَـد يَجشَـمُ الهَـولَ المُحِـبُّ المُغَـرِّرُ

يذكر الشاعر المغامرة التي قام بها ليلة ذي دوران حيث تحمل مشاق السير في الليل معرضاً نفسه للهلاك ومن شيمة المحب أن يتكبد المشقات ويعرض نفسه للأهوال في سبيل من يحب فالمحب المغرر في عقله يتحمل الصعاب الكثيرة من أجل حبيبته.

٢٠- فَبِتُّ رَقيباً لِلرِفاقِ عَلى شَفا أُحـاذِرُ مِـنهُم مَـن يَطـوفُ وَأَنظُـرُ

على شفا: أي على طرف النهار، أي أخره وربما يكون المقصود هنا الحذر الشديد، رقيباً مراقباً أحاذر: من الحذر. يقول لقد أمضيت ليلتي وأنا أراقب من يروح ويغدو بمنتهى الحذر حتى أشرفت على الهلاك من شدة اللهفة والخوف.

٢١- إِلَيهِم مَتى يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ وَلى مَجلِـسٌ لَـولا اللُبانَـةُ أَوعَـرُ

يقول أن مجلسه هذا كان شاقاً وصعباً غير أن حاجته الملحة للقاء نُعم هي التي تدفعه للإنتظار حتى ينام أهلها ليتمكن من الوصول إليها.

٢٢- وَباتَـت قَلوصـي بِـالعَراءِ وَرَحلُهـا لِطـارِقِ لَيـلٍ أَو لِمَـن جـاءَ مُعـوِرُ

يقول بأن ناقته القوية الفتية فد باتت في الليل أيضاً وهي واضحة لكل طارق وظاهرة لكل سائر وكأنه تركها للإطعام الجياع ليلاً أو لينجو بها الخائف أو الهارب من عدوه (يقصد نفسه).

٢٣- وَبِتُّ أُناجي النَفسَ أَينَ خِباؤُها وَكَيـفَ لِمـا آتـي مِـنَ الأَمـرِ مَصـدَرُ

أناجي النفس: أحدثها سراً، **الخباء**: أراد مكانها وأصله الخيمة، **مصدر**: مخرج خلاص. يقول لقد أخذت أسأل نفسي عن موقع بيت محبوبتي، وكيف يتسنى لي التعرف إليه ووصولي إليه بسلام.

٢٤- فَدَلَّ عَلَيها القَلبُ رَيّا عَرَفتُها لَها وَهَوى النَفسِ الَّذي كادَ يَظهَرُ

الريا: الرائحة الطيبة. يقول لقد أرشدني إلى خبائها شيئان هما رائحتها الطيبة التي أعرفها جيداً، وحبي لها الذي كدت أجهر به ويكشف لنا الشاعر هنا عن أن نُعم كانت فتاة مترفة منعمة تستعمل أنواع العطور الجيدة.

٢٥- فَلَمّا فَقَدتُ الصَوتَ مِنهُم وَأُطفِئَت مَصابيحُ شُبَّت في العِشاءِ وَأَنؤُرُ

٢٦- وَغابَ قُمَيرٌ كُنتُ أَهوى غُيوبَهُ وَرَوَّحَ رُعيانُ وَنَوَّمَ سُمَّرُ

(٢٥- ٢٦) **شبت**: أشعلت ، **أنؤر**: جمع نار ، **قُمير**: تصغير قمر، روح: رجع في المساء ، روحوا: عادو إلى بيوتهم مساء، رعيان: جمع راع، نوم: نام والتشديد للمبالغة، السمر: القوم يسمرون، أي يجتمعون للحديث والسمر ليلاً ، الحباب: الحية، شخصي : جسمي ، قامتي خشية: خوف، **خشية الحي**: مخافة أهل الحي، أزور: مائل منحرف.(يعني مشيت بحذر شديد).

يقول لقد توجهت إلى خباء نُعم بحذر شديد عندما سكن الصوت وأطفئت الأنوار وخمدت نيران أهل الحي، واختفى القمر الذي كنت أتمنى سرعة مغيبة، وعاد الرعيان إلى بيوتهم، واستغرق السمار في النوم، وشبه مشيته أثناء توجهه إلى خباء نُعم بمشية الأفعى للدلالة ، على شدة الحذر والحرص، وتعبيرا عن مدى خوفه من أهل الحي ، فهو كان حريصاً على ألا يحس به أحد.

٢٧- وَخُفِّضَ عَنّي النَومُ أَقبَلتُ مِشيَةَ الـ حُبابِ وَرُكني خَشيَةَ الحَيِّ أَزوَرُ

٢٨- فَحَيَّيتُ إِذ فاجَأتُها فَتَوَلَّهَت وَكادَت بِمَخفوضِ التَحِيَّةِ تَجهَرُ

(٢٧- ٢٨) **تولهت**: تكلفت الوله وأظهرته، **الوله**: الحزن وذهاب العقل، والتحير من شدة الخوف، **مخفوض التحية**: الذي يسر منها ولا يعلن، **تجهر**: ترفع صوتها بالتحية وتعلنها.

يقول الشاعر عندما فاجأتها بزيارتي لها في هذا الوقت المتأخر من الليل ارتاعت وأذهلتها المفاجأة حتى أنها كادت ترفع صوتها عاليا برد التحية بدلاً من ردها بصوت منخفض وذلك لشدة حيرتها وخوفها.

٢٩- وَقالَت وَعَضَّت بِالبَنانِ فَضَحتَني وَأَنتَ اِمرُؤٌ مَيسورُ أَمرِكَ أَعسَرُ

البنان: طرف الأصبع، ميسور أمرك أعسر: أي السهل من أمرك متعسر، فكيف بما فعلت؟ يقول: أنها عضت على طرف أصابعها وقالت: لقد تسببت في فضيحتي، فأنت تدرك بأن الأمور اليسيرة من جانبك تبدو كبيرة في أعين الناس، فكيف بما فعلته الآن؟. وهنا يظهر ابن أبي ربيعة مدى معرفته بنفسية المرأة وتصرفاتها وألفاظها الخاصة وأثر المفاجأة عليها.

٣٠- أَرَيتَكَ إِذ هُنّا عَلَيكَ أَلَم تَخَف وُقيتَ وَحَولي مِن عَدُوِّكَ حُضَّرُ

أريتك: بدالي منك ، هنا عليك: لم تعد تهمك سمعتي ، وقيت: دعاء له بالحفظ والسلامة حضر: جمع حاضر. تخاطبه نُعم قائلة: يبدو لي أن سمعتي لم تعد تهمك وإلا لما أقدمت على ما أقدمت عليه ، ثم كيف لم تحسب حساباً لأعدائك وهم حاضرون في الحي!؟ كلي أمل أن يحفظك الله من أعدائك.

٣١- فَوَ اللَهِ ما أَدري أَتَعجيلُ حاجَةٍ سَرَت بِكَ أَم قَد نامَ مَن كُنتَ تَحذَرُ

تحذر: تخشى. تقول يقيناً أنني لا أعلم أكان قدومك لقضاء حاجة على جناح السرعة أم لاطمئنانك على أن من تخشى خطرهم قد ناموا (والواقع أنه جاء إليها لهيامه بها ثم لأن قومها ناموا).

٣٢- فَقُلتُ لَها بَل قادَني الشَوقُ وَالهَوى إِلَيكِ وَما عَينٌ مِنَ الناسِ تَنظُرُ

يقول: أجبتها أن الباعث على زيارتي لها هو شوقي لرؤيتها وحبي لها وطمأنتها بأنني قد وصلت إليها دون أن يحس بي أحد من الناس فهو قد ذكر في أبيات سابقة أنه وصل إليها بعد أن غاب القمر ورح الرعيان ونام السمار ولم يعد أحد يتجول في الحي عندها انسلَّ إلى خبائها مطمئناً.

٣٣- فَقالَت وَقَد لانَت وَأَفرَخَ رَوعُها كَلاكَ بِحِفظِ رَبُّكَ المُتَكَبِّرُ

لانت: هدأت، أفرخ روعها: اطمأنت وزال اضطرابها، **كلاك**: كلأك أي حفظك ورعاك ، قالت بعد أن هدأت نفسها وزال اضطرابها: ليحفظك الله ويرعاك من كل سوء.

٣٤- فَأَنتَ أَبا الخَطّابِ غَيرُ مُدافَعٍ عَلَيَّ أَميرٌ ما مَكُثتُ مُؤَمَّرُ

أبو الخطاب: كنيته عمر(استخدام الكنية يدل على الاحترام عند العرب) غير مدافع: غير منازع، ما مكثت: ما بقيت. **مؤمَّر**: صاحب الأمر، أي أنت تأمر وأنا أطيع(كني بأبي الخطاب تيمناً بعمر الفاروق). قالت: فأنت يا أبا الخطاب صاحب الأمر دوم منازع ما بقيت في بيتي، فأنت تأمر وأنا أطيع.(هنا يشير إلى أنه السيد المطاع وهو يعكس لنا ما يفتقده من السلطة السياسية).

٣٥- فَيا لَكَ مِن لَيلٍ تَقاصَرَ طولُهُ وَما كانَ لَيلى قَبلَ ذَلِكَ يَقصُرُ

الشعراء يكثرون من قصر ليلته التي قضاها مع محبوبته نُعم، نظراً لأن لياليه السابقة كانت تتصف بالطول فلقاء الأحبة يمرّ بسرعة لأن كله شوق وحب واطمئنان، أما قبل ذلك فليله طويل لأنه تفكير وسهر وسفر.

٣٦- وَيا لَكَ مِن مَلهىً هُناكَ وَمَجلِس لَم يُكَدِّرهُ عَلَينا مُكَدِّرُ

ملهى: مكان اللهو، **يكدره** : يعكر صفوه. الشاعر هنا يتعجب من خباء الحبيبة الذي كان في تلك الليلة بمثابة ملهى ومجلس لهما لم يكدر صفوه أي شيء فلم يعلم بلقائهما أحد ولم ينغص هذا اللقاء إنسان من أقاربها وغيرهم.

٣٧- يَمُجُّ ذَكِيَّ المِسكِ مِنها مُفَلَّجٌ رَقيقُ الحَواشي ذو غُروبٍ مُؤَشَّرُ

يمج: يخرج، ينشر، مقبل: أراد به فمها لأنه موضع التقبيل، الثنايا وهي إحدى الأسنان الأربع من مقدم الفم: ثنتان من فوق وثنتان من أسفل، والغروب: حدة الأسنان ودقتها، **المؤشر**: من التأشير وهو أن تحدد المرأة أسنانها وترفقها ، نقي الثنايا: كناية عن النعمة وعن صغر السن. (هذا البيت والذي يليه وصف لمفاتن نُعم ومواطن الحسن فيها وهي القيم الجمالية المحببة للعربي). يقول الشاعر: تنبعث من فمها رائحة طيبة كرائحة المسك، وتنفرج شفتاها عن أسنان دقيقة ناصعة البياض كحبات البرد النقية.

٣٨- تَراهُ إِذا ما افتَرَّ عَنهُ كَأَنَّهُ حَصىً بَرَدٍ أَو أُقحُوانٌ مُنَوِّرُ

افتر عنه يريد إذا ما ضحكت فبدا فمها ، البرد حب الغمام الذي ينزل مع المطر، الإقحوان: نبت طيب الريح ، منور أي قد ظهر نوره ، فتفتح (أي) زهره المتفتح). يقول: عندما تنفرج شفتاها تبدو أسنانها في فمها كحب البرد أو كأزهار الإقحوان المتفتحة. فهي طيبة الرائحة ، رائعة الجمال.

٣٩- وَتَرنو بِعَينَيها إِلَيَّ كَما رَنا إِلى رَبرَبٍ وَسطَ الخَميلَةِ جُؤذَرُ

ترنو: تنظر تتطلع ، **الخميلة**: الشجر المجتمع الكثيف، **الظبية**: أنثى الغزال، **الجؤذر**: ولد الظبية أو ولد البقرة الوحشية. يقول الشاعر أنها كانت تنظر إليّ بعينها كنظرة صغيرة الظبية أو صغيرة البقرة الوحشية إلى أمه في وسط حديقة ملتفة الأشجار.(فالنظرة هنا نظرة براءة وأمل وتوقع للعطاء). هنا تظهر الروح الأنثوية عنده بوضوح فهو يشبه نفسه بالظبية وبالغزال الصغير.

٤٠- فَلَمّا تَقَضّى اللَيلُ إِلّا أَقَلَّهُ وَكادَت تَوالي نَجمِهِ تَتَغَوَّرُ

توالى: بقايا، **تتغور** : تغيب. **أقله** : القليل منه. يقول الشاعر وعندما انقضى الليل ولم يبق إلا جزء يسير منه، وأوشكت النجوم المتبقية أن تغيب.(من هذا البيت بدأ الشاعر ينسج العقدة في قصته).

٤١- أَشارَت بِأَنَّ الحَيَّ قَد حانَ مِنهُمُ هُبوبٌ وَلَكِن مَوعِدٌ مِنكَ عَزوَرُ

هبوب: استيقاظ نهوض من النوم، **ولكن موعد منك**: أي موعد لك جديد، **عزور**: اسم مكان. يقول: أشارت نُعم بأن موعد استيقاظ أهل الحي قد حان، وان عليّ الانصراف ثم حددت موضعاً يقال له عزور ليتم لقاؤنا القادم فيه. وقد شاعت في هذه البيئة ضرب المواعيد واللقاءات بين الأحبة.

٤٢- فَما راعَني إِلّا مُنادٍ تَرَحَّلوا وَقَد لاحَ مَعروفٌ مِنَ الصُبحِ أَشقَرُ

لاح: أيّ ظهر . يقول: ولم يفزعني في تلك اللحظات إلا صوت مناد يدعو أهل الحيّ إلى النهوض والرحيل، وكان نور الصبح الأشقر قد ظهر وبان. (وهنا بلغت العقدة تأزمها بتوالي الأحداث وكثرة المفاجأة)

٤٣- فَلَمّا رَأَت مَن قَد تَنَبَّهَ مِنهُمُ وَأَيقاظَهُم قالَت أَشِر كَيفَ تَأمُرُ

يقول: فلما رأت نُعم من استيقظ من أهل الحي، طلبت مني إبداء الرأي في كيفية التوصل إلى مخرج لنا من هذا الموقف المحرج.

٤٤- فَقُلتُ أُبادِيهِم فَإِمّا أَفوتُهُم وَإِمّا يَنالُ السَيفُ ثَأراً فَيَثأَرُ

أُباديهم: أبدو لهم- أي أظهر أمامهم. يقول: رأي أن أظهر لهم، فإما أن استطيع النجاة منهم، وإما أن يأخذوا ثأرهم مني(يقدم الحل الخاطئ ، للعقدة لأن الحل في مثل هذا الموقف يجب أن يكون للمرأة مما يدل على عميق فهمه للمرأة).

٤٥- فَقالَت أَتَحقيقاً لِما قالَ كاشِحٌ عَلَينا وَتَصديقاً لِما كانَ يُؤثَرُ

الكاشح: الذي يضمر لك العداوة، يؤثر أي يتناقله الوشاة ويذيعونه عنا، يقول الشاعر هنا لقد سألتني نُعم هل تريد أن تقدم الدليل على صدق ما كان يقوله الأعداء عنا وما كانوا يروجونه حولنا فهذا الحل الذي قدمته مرفوض لأنه سيؤدي إلى افتضاح أمرنا وانكشاف سرنا.

٤٦- فَإِن كانَ ما لا بُدَّ مِنهُ فَغَيرُهُ مِنَ الأَمرِ أَدنى لِلخَفاءِ وَأَستَرُ

أدنى: أقرب. تقول: فإن كنت قد عقدت العزم على الخروج من الحي، فهناك وسيلة أخرى لذلك غير ما ذكرت، وقد تكفل لك التخفي وتضمن عدم افتضاح أمرنا وهنا تبدو المرأة أكثر مقدرة وأوسع حيلة للخروج من مثل هذه المواقف مما يدل على مقدرة عمر وعلمه وأحوالها.

٤٧- أَقُصُّ عَلى أُختَيَّ بدءَ حَديثِنا وَمـا لِـيَ مِـن أَن تَعلَمـا مُتَـأَخَّرُ

بدء حديثنا: أوله . قالت : أقص على أختي حكاية علاقتي بك من أولها، ولا يضرني التأخر في إعلامهما بها فالمرأة لا تفشي سرها إلا لمثلها فهذا التدرج في حل العقدة جاء مناسبا ومتفقاً مع القصة.

٤٨- لَعَلَّهُما أَن تَطلُبا لَكَ مَخرَجاً وَأَن تَرحُبا سربا بِما كُنتُ أَحصُرُ

السرب: النفس، **أحصر**: أضيق بما عرض لي فأعجز عن التفكير فيه ولا أجد لي مخرجاً منه ترحبا **سربا** : يتسع صدرهما. قالت لعلهما تجدان لك مخرجا من هذا الموقف المشكل ويتسع صدرهما للتفكير بحل مناسب لهذه المشكلة التي ضقت بها ذرعاً وأشعر بعجز عن التفكير فيها.

٤٩- فَقامَت كَئيباً لَيسَ في وَجهِها دَمٌ مِـنَ الحُـزنِ تُـذري عَـبرَةً تَتَحَـدَّرُ

كئيباً: في غم وسوء حال وانكسار ، ليس في وجهها دم: شاحبه، **تذري عبرة**: تذرف دمعة ، **تتحدر**: تتساقط على وجنتها. يقول: لقد نهضت وهي في غاية الحزن والغم وتذرف دموعاً تتساقط على وجنتها الشاحبتين(وهنا تصوير نفسي لإبراز شخصيات القصة وهي نُعم في حالة من الخوف والحزن والرجاء والأمل في النجاة).

٥٠- فَقامَت إِلَيها حُرَّتانِ عَلَيهِما كِساءانِ مِن خَزٍّ دِمَقسٌ وَأَخضَرُ

حرتان: يريد أختيها **خز**: حرير منسوج، **الدمسق**: نوع من الحرير. يقول الشاعر لقد نهضت إليها أختاها وهما يلبسان ثوبين من الحرير الأخضر، فهو يصور نُعم وأهلها في غاية من الترف وحياة النعيم.

٥١- فَقالَت لِأُختَيها اَعينا عَلى فَتىً اَتى زائِراً وَالأَمرُ لِلأَمرِ يُقدَرُ

طلبت من أختيها أن تساعداها في ايجاد مخرج لعمر الذي أتى زائراً انطلاقاً من تقديرها لأبعاد المأزق الذي ألقت نفسها وإياه فيه. فالتشاور في الأمر وبحث الحلول والآراء قد يؤدي إلى إيجاد حل مناسب لهذا الأمر الخطير.

٥٢- فَأَقبَلَتا فَارتاعَتا ثُمَّ قالَتا أَقِلّي عَلَيكِ اللَومَ فَالخَطبُ أَيسَرُ

ارتاعتا: خافتا ، أقلي عليك اللوم: هوني عليك، **الخطب**: المصيبة. **أيسر**: أسهل مما تظنين. يقول الشاعر: عندما أتت أختاها إلى الخباء ورأتاني فيه ظهر عليهما الخوف، ثم خاطبتاها قائلتين: هوني عليك فالأمر أيسر مما تظنين ومن السهل أن نجد مخرجا مناسبا لهذا المأزق وهذا يدل على كثرة المغامرات في هذه البيئة.

٥٣- فَقالَت لَها الصُغرى سَأُعطيهِ مِطرَفي وَدِرعي وَهَذا البُردُ إِن كانَ يَحذَرُ

المطرف: رداء من خز مربع ذو اعلام . **الدرع**: القميص. **البرد**: الثوب المخطط. **يحذر**: يخاف من اكتشاف امره. يقول إن أختها الصغرى اقترحت أن تعطيه ثيابها ليلبسها، فيبدو وكأنه واحدة منهن إن كان يخشى اكتشاف أمره وهذا يدل على أن جسم عمر وهيأته كانت في حجم الفتاة الصغرى.

٥٤- يَقومُ فَيَمشي بَينَنا مُتَنَكِّراً فَلا سِرُّنا يَفشو وَلا هُوَ يَظهَرُ

يفشو: يظهر- ينكشف. تقول الصغرى: بعد أن لبس ثيابي يقوم فيمشي بيننا متنكراً بها فيبدو لأهل الحيّ وكأنه واحدة منا وبذلك نضمن عدم افشاء سِرنا وعدم تعرف أهل الحي عليه.

٥٥- فَكانَ مِجَنّي دونَ مَن كُنتُ أَتَّقي ثَلاثُ شُخوصٍ كاعِبانِ وَمُعصِرُ

المجن: الترس . **الكاعب**: الفتاة في بداية بلوغها، **المعصر** : الفتاة في سن الشباب لقد خرج الشاعر متخفيا في ثياب الصغرى ومعه أختا نُعم فأصبح الثلاثة يبدون للناظر من بعيد كأنهم بنتان أو جاريتان صغيرتان في بداية بلوغهما (هو والصغرى) وفتاة أكبر منهما فليلاً(الوسطى).

الدراسة والتحليل

١- المضمون:

أ- أفكار النص: لقد بنى الشاعر قصيدته ورتبها ترتيبًا منطقيًا متسلسلاً، وتحققت في هذه القصيدة الوحدة العضوية، حتى أنه ليصعب أحيانًا تقديم بيت على بيت. فقد بدأ الشاعر قصيدته بالحديث عن حبه لُنعم وهيامه بها، وعدم استطاعته نسيانها رغم بعدها عنه، كما أن قربها منه لم ينفعه لأن جماعتها محيطة بها. وذكر كيف أنه إذا زارها أظهر له أقاربها الغضب، وأسروا له البغضاء.

ثم يطلب من رسوله أن يحمل رسالته إليها، ويجعل علامة صدقه، الحوار الذي دار بينهما حين تقابلا للمرة الأولى في (مدفع أكنان)، وكيف كان أشعث

أغبر من أثر السفر في أعقاب من يحب. وكل هذا يعد مقدمة لموضوع القصيدة، وهو وصف مغامرته لزيارة محبوبته نُعم.

ثم يصل الشاعر إلى موضوع القصيدة، ويبدأ في سرد وقائع ما جرى له ليلة ذي دوران. وهنا تبدأ القصة بمقدمة، ووسط، ونهاية، وعقدة وحل، متحققة فيها معظم شروط القصة القصيرة بمفهومها المعاصر. وفي هذه القطعة يصعب تقديم بيت على آخر، إذ الأحداث متسلسلة والوقائع مترابطة. وتنساب الأبيات في سلاسة وتحدر، يخلو من التعقيد والغموض. ويعد الشاعر مبتكرًا في الأسلوب القصصي إذ إنه توسع فيه، وأكثر منه في شعره. وإن كان امرؤ القيس قد سبقه إلى استخدام أسلوب الحوار، إلا إن لعمر بصماته الخاصة على هذا الأسلوب حيث توسع فيه وأكثر منه وطوره.

ومن مظاهر الجدة والابتكار تحقق معظم مقومات القصة القصيرة، في القصيدة. فقد بدأ الشاعر قصته بمقدمة رائعة، وصف فيها كمونه في مكان صعب، يراقب من خلاله القوم منتظرًا أن يخلدوا للنوم، ووصف كيف استدل على خبائها متتبعًا رائحة عطرها المميزة. ثم وصف كيف انتظر حتى هدأ الصوت وغاب القمر، وآب الرعيان، وأخلد القوم للنوم.

وبعد ذلك تبدأ أحداث القصة حين فاجأ محبوبته بالسلام، وكيف خافت إذ رأته من أن يفتضح أمرهما، وكيف بات قرير العين معها حتى كاد الصبح أن يبزغ. ثم تصل العقدة إلى ذروتها حين انتبه القوم من النوم، ونادى مناديهم بالرحيل، وهنا اسقط في يدي المحبوبة، ولم تدر كيف تتصرف، وأشار هو أن يناجز القوم فإما نجا وإما قُتل. وأخيرًا يأتي الحل من الأخت الصغرى ممثلا في أن يتنكر الشاعر في ثياب امرأة، ويخرج بين الأخوات حتى يغادر الحي في أمان.

وهكذا نرى أن شروط القصة القصيرة بمفهومها المعاصر قد تحققت تحققاً كاملا تقريبًا في هذه القصة الشعرية، مما يعد من عوامل الابتكار والجدة في القصيدة.

ويبدو أثر الإسلام واضحًا في القصيدة في سلاسة ألفاظها، إذ ابتعدت عن الألفاظ الوحشية الغريبة الشائعة في القصيدة الجاهلية. كما يبدو أثر الإسلام في بعض الألفاظ التي اكتسبت دلالات خاصة في الإسلام مثل قوله:(كلاك بحفظ ربك المتكبر) فقال: و متكبر من أسماء الله الحسنى التي لم تكن معروفة في الجاهلية. كما يظهر أثر الإسلام في بعض الخصال التي أمر بها الإسلام وحثَّ عليها، مثل ضرورة إلقاء السلام عند اللقاء، وذلك في قوله: (فحييتُ إذ فاجأتها) ومثل أن الزوج هو الذي يتحمل أعباء الحياة فلا يكلف زوجته أي عناء، وذلك في قوله: (ووالٍ كفاها كل شيء يهمها).

وفي القصيدة كذلك إشارات إلى العادات الإسلامية التي تمنع الرجل من الدخول على النساء، وكيف دخل الشاعر خلسة وخرج متخفيًا حتى لا يلحظه القوم، وكيف أن خروجه متنكرًا في زي النساء حماه من القوم، وذلك أن الرجال يغضون أبصارهم عن النساء وبالتالي لم يفطنوا إليه وهو يمشي متنكرًا بين الفتيات الثلاث.

ب - **الإيحاء النفسي:** تتغير الإيحاءات النفسية في القصيدة بتغير الحالات التي تحكيها الأبيات. ففي مطلع القصيدة تبدو عاطفة الحزن مسيطرة على الشاعر وهو يحكي حبه لُنعمٍ وعدم استطاعته نسيانها أو بلوغ حاجته منها، حتى أصبح أشعث أغبر لطول سفره وتنقله متتبعًا لها باحثًا عنها. وتتلاءم الألفاظ مع هذه الحالة، فنجد ألفاظًا تدل على هذا الحب اليائس مثل: تهيم، الشمل جامع، الحبل موصول، القلب مقصر، نأيها يسلي، أنت تصبر .. الخ.

وحين بدأ الشاعر في وصف مغامرته ليلة ذي دوران، نجد مشاعر الحذر واليقظة وتناسب الألفاظ مع هذه الحالة الحذرة مثل: رقيبًا، على شفا، أحاذر، أنظر إليهم، متى يستمكن النوم منهم..

تصوير مشاعر القلق: فقد نجح الشاعر في تصوير مشاعر القلق على المحبوبة، كما في قوله: بما كنت أحصر، فقامت كئيبًا ليس في وجهها دم، تُذري عبرة تتحدر. وحين اجتازوا الحي، ونجا الشاعر من القوم، ونجت محبوبته من الفضيحة، تغيرت المشاعر والحالة النفسية للفتيات الثلاث، فأخذن يلمنه ويعنفنه. وهذه حالة طبيعية لمن ينجو من مأزق بعد أن ظن أنه لن ينجو، فإنه يتوجه باللوم والتقريع لمن تسبب في هذا المأزق.

والقصيدة تعبر خير تعبير عن مذهب عمر بن أبي ربيعة اللاهي الذي لا يبالي ما يلقى في سبيل بلوغ لذَّاته، ولقاء من يحب. كما تصور القصيدة عشق عمر الحسي، فهو لم يتحدث عن محبوبته حديث العاشق الولهان، وإنما تحدث عن الصعاب التي واجهها في سبيل وصوله إليها. وحين لقيها لم يكن همه إلا أن يقبلها فيكثر. وكذلك حين غادرها لم يتذكر منها إلا طيب أنفاسها ونشرها اللذيذ. والمرأة عنده مجرد نهد وشهوة "كاعبان ومعصر" فالكاعب هي الفتاة في أول البلوغ حين ينهد ويكعب ثديها، والمعصر الشابة قال ابن الأَثير: المعصر(الجارية أَول ما تحيض لأْن عصار رحمها).

ج- **تصوير الجوانب الاجتماعية**: القصيدة غنية بتصوير الحياة الاجتماعية اللاهية التي كان يحياها الشاعر، التي ولاشك تصدق على كثير من شعراء ذلك العصر، فضلا عن ذلك فإن القصيدة تصور كثيرًا من العادات الاجتماعية المنتشرة في البيئة العربية في عصر عمر بن أبي ربيعة.

أما مذهب عمر ومن على شاكلته، فهو تعقب من يهوى، حتى يختلس لحظة في غفلة عن أعين الرقباء يلقى فيها من يحب، فينال منها ما يشاء. وقد كان

أسلوب تبادل الرسائل شائعًا بين المتحابين: (**ألكني إليها بالسلام**) وتزويد الرسول بعلامة يستدل بها على صدق قوله، وغالبًا ما تكون حوارًا أو حكاية جرت بين المتحابين لم يعلم بها سواهما: (بآية ما قالت غداة لقيُتها).

وأما عادات المجتمع العربي آنذاك، فإن أول ما يواجهنا في القصيدة من هذه العادات، هو **الغيرة على المحارم**. فالعربي لا يقبل لنسائه أن يلقين الأغراب، وهكذا فإن أقارب نُعِم، لا يقابلون الشاعر بالترحاب حين يرونه يجوس خلال ديارهم لعلمهم بغرضه في انتهاك محارمهم: (إذا زرُتُ نُعمًا لم يزل ذو قرابة لها كلما لاقيُته يتنمرُ) والتعبير بالتنمُّر، هو أقصى تعبير عن العدوانية والاستعداد للبطش، تشبهًا له بالنمر. وأما المرأة العربية في ذلك العصر، فقد صورتها القصيدة بصورة المترفة المنعمة.

فهي تعيش في ظل (**والٍ كفاها كل شيء يهمها**)، ولذلك فلا يشغل بالها إلا الاهتمام بزينتها، فالمشط لا يكاد يفارق يدها: (أشارت بمدراها ولباسها هو الخز والدمقس: كساءان من خز دمقس وأخضر وعطرها مميز ومبالغ فيه، حتى إن الشاعر ليجعل منه دليلا يقوده الى خباء محبوبته، المختفية بين الخيام: (فدلَّ عليها القلب ريا عرفُتها) ولا حديث لهؤلاء الفتيات إلا عن الشباب المشهورين بجمالهم ووسامتهم: (أهذا الذي أطريت نعتًا فلم أكن وعيشك أنساه إلى يوم أُقبر ؟

ومن العادات العربية الأخرى اتخاذ الناقة وسيلة للمواصلات "وباتت قلوصي"، وأن الأرحبيات هي أحسُنها وأشهرها. وكذلك ذكر بعض الملابس التي كان يلبسها الرجال: "الرداء المحبر"، وذكر ملابس النساء وأدوات زينتها: "المطرف، والدرع، والبُرد، والمدرى".

٢- الشكل:

أ- **الألفاظ** : زاوج الشاعر بين استخدام الأسماء والأفعال، وقد تغلب الأفعال على بعض الأبيات بينما تغلب الأسماء على أبيات أخرى. وقد أدت كل من الأسماء والأفعال وظيفتها، فعبرت الأسماء عن الاستمرارية والعادة، كما في قوله: غاد، مبكر، رائح، مهجر، سرى الليل، التهجر.. الخ. كذلك جاءت الأفعال مناسبة للسرد القصصي، ووصف المغامرة: بتُّ، أحاذر، أناجي، دلَّ، غاب ..الخ. وقد جاءت الألفاظ مطابقة لمعانيها مطابقة تامة. فقد نجح الشاعر في اختيار الألفاظ التي تناسب المعاني التي أرادها.

فحين أراد الحديث عن معاناته وتنقله خلف محبوبته، جاءت الألفاظ مناسبة للمعنى ومطابقة له. فمن لك قوله: غاد، مبكر، مهجر، سرى الليل، التهجر، أشعث، أغبر، أخا سفر، جواب أرض، تقاذفت به فلوات.. الخ. كذلك حين تحدث عن معاني الحذر والحيطة وهو يراقب نوم القوم، جاءت الألفاظ مناسبة لهذه المعاني، مثل: أحاذر، رقيبًا، بالعراء، فقدت الصوت، غاب قمير، روّح رعيان، نوم سمر.. الخ.

وحين وصف الشاعر تنقله وترحاله، استخدم ألفاظًا موحية مثل: "جواب أرض"، فقد استخدم الشاعر هنا صيغة المبالغة للإيحاء بكثرة ترحاله وأسفاره، وكذلك قوله: "أخا سفر"، فإنها توحي بالملازمة للسفر. وكذلك قوله: "يضحى، ويخصر"، فإنهما توحيان بتتابع السفر ليً لا ونهارًا.

كما أورد الشاعر كثيرًا من الألفاظ المحاكية للمعنى، حتى أن كل حرف منها يخال جزءًا من المعنى المراد، مثل قوله: "يتنمر". فلفظة: يتنمر، لا تدل على التشبيه بالنمر فحسب، ولكنها تجعلنا نكاد نرى النمر أمامنا، وقد كشَّر عن أنيابه، واستعد للوثوب على فريسته.

وجاءت المحسنات البديعية في القصيدة عفو الخاطر دون تكلف أو تعمد، فأدت دورها في إبراز المعنى وتأكيده. فالتصريع في البيت الأول جاء طبيعيًا دون تكلف، وقد أدى إلى تأكيد المعنى باستخدام كلمتي: مبكر، مهجر، بما فيهما من طباق يزيد المعنى تأكيدًا ووضوحًا. كذلك ورد الطباق في قوله: قربُ نعمٍ، ونأيها، وفي قوله: يسر، مظهر، وقوله: يضحى، ويخصر، وقوله: مخفوض، وتجهر، وقوله: ميسور، وأعسر، .. الخ

ب- **التراكيب**: زاوج الشاعر في استخدامه للجملة الإسمية والفعلية، وذلك طبقاً للمعنى الذي يريد تأكيده. فحين تحدث الشاعر عن طول أسفاره وترحاله، أكثر من استخدام الجملة الإسمية للدلالة على الاستمرارية والملازمة، مثل قوله: غاد، مبكر، رائح، مهجر، أخا سفر، جواب أرض، قليل على ظهر المطية ظلُّه كما استخدم الجمل الفعلية للدلالة على المبالغة، مثل قوله: تهيم، يسلي، تصبر، يتنمر، يضحى، يخصر... الخ.

وكذلك للدلالة على الوصف، والسرد، مثل قوله: زرتُ، رأت رجلا، دلَّ عليها القلب، بتُّ أناجي، فقدتُ الصوت، أُطفئت.. الخ. ولهذا فقد غلبت الجملة الفعلية عند حديث الشاعر عن مغامرته وزيارته لمن يحب. وهو ما استغرق معظم القصيدة.

كذلك زاوج الشاعر بين الأسلوبين الخبري والإنشائي في قصيدته، ووردت الأساليب الإنشائية مناسبة للمقام ولموضوع القصيدة. فقد بدأ الشاعر قصيدته بالاستفهام، قائلا: أمن آل نُعمٍ.. وهو سؤال تقريري الغرض البلاغي منه ليس الاستفهام بل التأكيد والتقرير.

كما ورد الاستفهام لأغراض مختلفة، وذلك في كثير من الحوارات التي دارت في القصيدة فقد ورد الاستفهام لغرض الاستنكار، كما في قول نُعمٍ لأختها: أهذا المشهر؟ أهذا المغيري؟ أهذا الذي أطريت؟ وفي تكرار التساؤل دليل على

الاستنكار، مما أبرز المعنى الذي أراد الشاعر التأكيد عليه، وهو تغير حالته وهيئته. كما ورد الاستفهام لغرض الاستنكار في قوله على لسان نُعمٍ: ألم تخف؟ أتحقيقاً لما قال كاشح؟ كذلك ورد الاستفهام لغرض التوبيخ والتأنيب، كما في قول الفتيات له: ألم تتَّق الأعداء؟ أهذا دأبك الدهر سادرًا؟ أما تستحي أو ترعوي أو تفكر؟ وورد الاستفهام بصيغته الاستفهامية، كما في قوله: أين خباؤها؟ كيف لما آتي من الأمر مصدر؟ أتعجيل حاجة سرت بك؟ كيف تأمر؟.

وقد أدى التنويع في استخدام الجمل الفعلية والإسمية، وكذلك التنويع في استخدام الأساليب الإنشائية المختلفة إلى إثراء القصيدة، وتأكيد المعاني ووضوحها، خاصة أنها جاءت ملائمة للمعاني والحالات الشعورية المختلفة.

ج- **الصور الفنية:** القصيدة غنية بالصور الفنية، من تشبيه واستعارة وكناية. فأما الكناية، فمنها قوله: "أشارت بمدراها"، كناية عن استهزائها به، واستصغارها لشأنه. كذلك قوله: "يضحى، ويخصر"، كناية عن متابعته السير والترحال في النهار والليل. وقوله: "عضت بالبنان"، كناية عن الندم ووقوع المصيبة. وكذلك قوله: "ليس في وجهها دم" كناية عن الخوف والقلق. وقوله: "العتاق الأرحبيات تُزجر"، كناية عن الاستعداد للرحيل.

أما التشبيه: فقد استخدمه الشاعر بأشكاله المختلفة. فهناك التشبيه المكتمل الأركان، وذلك في قوله: "كأنه حصى برد أو أقحوان منور"، تشبيهاً للأسنان بالبرد، ولبياضها بالأقحوان، فأداة الشبه، والمشبه، والمشبه به، وكذلك وجه الشبه، وهو النور، كلها متوفرة. وهذه الصورة حسية، حيث ركناها (المشبه والمشبه به) حسيان، هي صورة حسية بصرية. وهناك التشبيه بالإضافة، مثل قوله: "مشية الحباب"، تشبيهًا لمشيته بمشية الأفعى. وهي أيضًا صورة حسية بصرية.

وهناك تشبيه التمثيل، وهو تشبيه حالة بحالة، وذلك في قوله: وترنو بعينيها إلي كما رنا إلى ظبية وسط الخميلة جؤذر .فهو هنا يشبه إدامتها النظر إليه، بإدامة ولد

البقرة الوحشية النظر إلى الظبية، فهو تشبيه حالة بحالة، وهي أيضًا صورة حسية بصرية.

وأما الاستعارة، فهناك الاستعارة المكنية، ومنها قوله: "تقاذفت به فلوات"، حيث شبه الفلوات بالأشخاص الذين يتقاذفون الشيء، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو القذف. وهذه صورة حسية بصرية، فيها تشخيص للفلاة، مما قوى المعنى وأكده، وكان أبلغ في التعبير عن كثرة ترحاله، وكأن الفلوات تتقاذفه وتدفع كل منهن به إلى الأخرى. ومنها قوله: "فدل عليها القلب ريا"، على سبيل الاستعارة المكنية، حيث شبه الرائحة بالشخص الذي يدل آخر على منزل أو على طريق، وقد حذف المشبه به وهو الإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الدلالة. وهذه صورة ذهنية، حيث شبه الرائحة، وهي شيء ذهني غير محسوس، بشيء حسي. وكذلك قوله: "قادني الشوق"، استعارة مكنية، حيث شبه الشوق بالإنسان الذي يقود. وهي صورة ذهنية، حيث شبه الشوق، وهو شيء ذهني بصورة حسية.

وهناك الاستعارة التصريحية، مثل قوله: "يمج ذكي المسك"، حيث حذف المشبه، وهو رائحة فمها، وصرح بالمشبه به، وهو ريح المسك. وهي صورة ذهنية، حيث شبه رائحة فمها، وهو شيء ذهني، بالمسك. وقد عمقت هذه الصور المعنى وزادته وضوحًا. ووفق الشاعر في عرض هذه الصور، وتسخيرها لخدمة الأغراض التي يقصدها، والمعاني التي يريدها".[1]

(١) تم الاتكاء في التحليل على كتاب د. عبد الحكيم الزبيدي، خصائص شعر الغزل عند عمر بن أبي ربيعة، دار ناشري للنشر الإلكتروني.

يرى البستاني في كتابه أدباء العرب[١] " أن زعيم الغزل الحضري، هو عمر بن أبي ربيعه المخزومي، و قد استحق هذا اللقب لعدة أسباب، منها:

١- أنه أول شاعر قصر همه علي الغزل دون غيره، نظم فيه القصائد الطوال.

٢- وأول شاعر وسع نطاق القصص و ادخل فيه الحوار التمثيلي اللذيذ.

٣- كما كان أول شاعر تناول تصوير عواطف المرأة، واختلاجات نفسها، واختلاف حركاتها. وهو في دعابته و مجونه يصور الحياة الاجتماعية في حواضر الحجاز.

من مظاهر الغزل في شعر عمر:

١- أن عمر في غزله يعجب بنفسه و يتغزل بها كما أتى جبرائيل سليمان جبور في كتابه(النرجسية في غزل عمر) بخصائص غزل عمر و منها تغزله بنفسه وإعجابه بها و جاء بمثال:

فعرفن الشوق في مقلتها وحباب الشوق بيديه النظر
بينما يذكرنني أبصرنني دون قيد الميل يعدو بي الأغر[٢]

في شعر عمر نماذج كثيرة مماثله يتحدث الشاعر عن نفسه حديثاً مباشراً.

٢- بيان حج النساء للقائه، يقول في بعض أشعاره أن النساء يخرجن للحج من أجله:

---

(١) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، الناشر كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر،(د.ت). ص٢٧٨.

(٢) عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص١٦٥.

أومـــت بعينيهـــا مـــن الهـــودج لـــولاك هـــذا العـــام لم احجـــج
أنـــت إلـــي مكـــة أخـــرجتني و لـــو تركـــت الحـــج لم اخـــرج[١]

جاءت في الكتب روايات كثيرة عن عمر في هذه المسألة و لها شواهد مختلفة في ديوانه قال فيها أن النساء حججن للقائه.

٣- التمحور حول الذات حتى أن أكثر أشعاره تدور حول محور النفس. لدرجة أن هذا الفخر اشتد حتى كانت ذات عمر هي المحور فيه وكأنما كُنّ هُنّ أو كانت هي سبيلاً إلى أن يتحدث عن نفسه"إذ حول الغزل من الرجل إلى المرأة فالصورة العامة في غزله أنه معشوقٌ لا عاشق:[٢].

٤- إكثاره من كنيته و ذكر اسمه، مثل:

قالت لجارتها انظري من أولي و تـأملي مـن راكـب الارمـاء
قالـت أبـو الخطـاب اعـرف زيـه وركـوبه لاشـك غـير مـراء[٣]

٥- شعره كان موجهاً للمرأة بقصد استجلاب عطفها و رضاها وحبها، قيل: " يطري عمر بكلامه المرأة ويثنى على جمالها و يتحدث إليها حتى يسحرها ويخلب لبها فتلين قناتها وتبادله حباً بحب وعطفاً بعطف "والغواني يغرهن الثناء".

٦- إعجاب المرأة به و إطراؤها إياه على حد قوله:

(١) عمر بن أبي ربيعة، الديوان، وهي من الأبيات المنسوبة له ،ص٩٢.
(٢) د. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص٢٢٩
(٣) عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص٣٣

قالت الكبرى اعترضي الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر
قالت الصغرى و تيمتها قد عرفناه و هل يخفي القمر[١]

٧- كلف النساء وتصديها له وتدلِله وامتناعه يقول د. شوقي ضيف في كتابه: تأريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي:" ولم يقف بإعجاب المرأة به عند ذلك الحد(تمنيهن و استعطافهن) فقد أخذ يصور كلفها به وتصديها له، و أنها تدور حوله لعلها تجد سبيلاً إليه، و هو في أثناء ذلك يتدلل ويتمنع، و هي تسعى إلى الوصول له، منتهزة كل فرصة، حتى بين مشاعر الحج[٢].

صفات المرأة في شعره:

شعر ابن أبي ربيعة في المرأة لا يتميز عن غيره في ذكر محاسنها الخارجية، ولكنه يتميز بإدراك نفسيتها ، وتصوير أهوائها وعواطفها، معرفة حديثها وطرق تعبيرها، فليست المرأة شبحاً غامضاً يتراءى في شعره ، بل روحٌ خافق الفؤاد مختلج بعناصر الحياة.

وقد وصف لنا المرأة العربية وصفاً دقيقاً ، ورسم لنا رسماً واضح المعالم ما كان يستملحه العرب يومئذٍ من المرأة في كل جزء من أجزائها، وأنه أبان إلى حدٍ كبير عن عواطفها وما يثير غضبها أو رضاها، وعما يدفعها إلى الجفوة والصدود والتأبي والغضب. وهو في كل واحدةٍ من أولئك تابع لغيره من الشعراء الذين تعرضوا لوصف النساء وإن امتاز عنهم بثلاثة أشياء :

(١) عمر بن أبي ربيعة، الديوان، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط٢، ١٩٩٦م ص١٦٥

(٢) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي،ص٣٥٢

أولهما : أنه يتتبع الشيء من ذلك ويفصله تفصيلاً دقيقاً ، ويكرره فيطيل أحياناً ويجزئ أحيانا .

وثانيهما : أنه جمع في شعره ما تفرق في شعر غيره فكان فيه العوض عنهم جميعاً، وليس في غيره عوضٌ عنه ، وحسبك أن ديوانه المشتمل على خمسٍ وثلاثين وثلاثمائة قطعة ليس فيها قطعة واحدة في غير وصف النساء والتشبب بهن .

وثالثهما : أنه ابتكر في شعره أسلوبا جديدا طريقةً امتاز بها عن غيره ، ألا وهو حديث صاحبته مع جواريها أو صديقاتها ، وفي أثناء هذا الحديث يكشف لنا عن مشاعر صاحبته إزاءه، كما يكشف لنا عن أفكار المرأة في مجتمعه. وهذا ولاشك يفيض على شعره حيوية لأن فيه قرباً من الواقع.

وقد اشتهر هذا اللون وشاع ، وذاع معه صيت شاعرنا حتى أن كل امرأةٍ محجبة محصنة كانت تتمنى أن يتغزل بها عمر، كي تتباهى بشعره على أترابها.

صفات شعر هذا الاتجاه من الغزل:

نستطيع إذن أن نقول أن شعره ظفر عنده من التطور بما يتلاءم وغاية الجمهور الذي يستمتع بمثل هذا اللون .

الصفات لشعر هذا الاتجاه من الغزل فيمكن أن نلتمسها عند شعرائه المشهورين فيه و يأتي في مقدمتهم عمر بن أبي ربيعة ثم العرجي والأحوص فأما عمر فالدارس لشعره يخرج بجملة من الصفات تتصل بالمضمون والشكل ويمكن تحديد صفات المضمون في عدة أمور منها :

١- المغامرات التي كان يجريها مع النساء وما تنتهي إليه هذه المغامرة من متعة ولذة.

٢- الصفة الثانية التي توضح لنا نظرته في القيم الجمالية للمرأة المثلى التي يعشقها أو يتغزل فيها.

٣- أنه حول المرأة التي هي معشوقة لدى سائر الشعراء إلى عاشقة تتوله في حبه وتحس بتباريح الهوى نحوه .

٤- جنوحه إلى استخدام معاني العذريين في بعض غزله الأمر الذي يؤكده تأثره إلى حد ما بما كان شائعا في عصره من غزل مقابل للغزل الذي كان يقوله هو وأضرابه[١].

صفات الشكل: أمّا صفات الشكل لدية فقد دار دارسو شعره حول ثلاث صفات رئيسية هي على النحو الآتي:

١- **القصصيّة والحوار**: أسلوب الحوار والقصصية "شكلت الدور الأساسي الذي قام به عمر في تجديد القصيدة العربية في ذلك الغرض والشواهد كثيرة وموجودة سبق أن أشرنا إليها"[٢].

ويرى د. شوقي ضيف" أن البناء القصصي في قصص عمر غير كامل من حيث القصة فليس فيه عقدة وليس فيه تركيب ولا تحليل ، [ولكنه قال]نلاحظ أن الخيال لعب دوراً مهماً في هذا القصص،... فهو[عمر] قصاص في غزله يتخيل ثم يقص ما يتخيل سواء حين يصف مغامراته كما صنع في القطعة السابقة أو

(١) ينظر:محمد عثمان علي، في أدب الإسلام، ص٤٥٣- ٤٦٤ بتصرف.

(٢) محمد عثمان علي، في أدب الإسلام، ص٤٦٦. وانظر د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص٣٥٠

حين يصف أحاديث النساء فيه وتعلقهن به"[١]. كما أن هذه القصصية امتزجت بالحوار وهو يعد بحق أبرز معلم من معالم التجديد في غزل عمر.

في حين يرى الدكتور القط أن عمر قد أفلح "في المزاوجة بين اللحظات النفسية والمادية وتصوير الصراع النفسي وإدارة الحوار الطويل وخلق حركة درامية على نحو يمكن أن يعد شيئا جديدا في القصيدة العربية دون أن يجد عناء في أن يزاوج بين الشعر العربي الرصين والاستجابة لطبيعة القصة وأحداثها وشخصياتها وما بها من حوار"[٢] من قصائده القصصية :

ولما التقينا بالثنية أو مضت ... مخافة عين الكاشح المتنمم
أشارت بطرف العين خشية أهلها ... إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا ... وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم
فأبردت طرفي نحوها بتحية ... و قلت لها قول امرئ غير مفحم
وقالت أطلعت الكاشحين ومن يطع ... مقالة واش كاذب القول يندم
فقلت اسمعي يا هند ثم تفهمي ... مقالة محزون بحبك مغرم[٣]

٢- **قصر الأوزان وخفتها**[٤]: حيث نجد عمر يعمد في موسيقاه الشعر إلى استخدام القصار من الأوزان مع ميل إلى روح الغناء التي تسلطت على المجتمع الذي عاش فيه عمر ومن ثم ارتبط شعره بالغناء فلم يغن بشعر شاعر بمثل ما غنى بشعر عمر .

(١) د. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف مصر، ط٥ ، ١٩٧٧م ص٢٣٦

(٢) د. عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي، ص ٢٣٩.

(٣) عمر بن أبي ربيعة، الديوان،ص٣١١.

(٤) د. جبرائيل سليمان جبّور، كيف افهم النقد، منشورات دارا فا الجديدة بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص ١١٧

ويذهب د. شوقي ضيف في كتابه (التطور والتجديد)إلى أن "عمر بن أبي ربيعة كان أهم شاعر لبى حاجة المغنيين والمغنيات فهو أهم شاعر روى له أبو الفرج أصواتا من شعره في كتاب الأغاني"[١].كما أنه يربط ذلك من خلال كتابه الآخر(العصر الإسلامي) حيث يقول:" وهو في غزله يخضع ملكاته لفن الغناء الذي عاصره إذ يستخدم الأوزان الخفيفة والمجزوءة، حتى يحمّلها المغنون والمغنيات ما يريدون من ألحان وإيقاعات"[٢]. ويؤكد د. عمر فروخ توافق شعر عمر للغناء فيقول "ولم يكن فيما أحسب شعراً أكثر موافقة للغناء من شعر عمر بن أبي ربيعة"[٣].

٣- **سهولة اللغة والأسلوب :** أمّا سهولة اللغة والأسلوب في غزل عمر فترجع لأسباب أهمها طبيعة شعر الغزل نفسه. فهو شعر يتصل بألوان العواطف والانفعالات المشتركة بين الناس ومن ثم لا يكثر فيه الغريب من اللفظ ، ولا تتنوع فيه التراكيب تنوعها في غيره لجريانه حول المعاني المشتركة الباقية في كل إنسان المستعملة في كل عصر.

وإذا أضفنا إلى عوامل التحضر الذي عاشه الناس في عهد عمر ، وكثرة المغنيين والمغنيات من غير العرب في مجتمع مكة أدركنا كيف أن عمر واضرابه قد هجروا إلى حد ما الأساليب القديمة وهجروا الألفاظ الغريبة وبنوا شعرهم بناءاً سهلاً يتلاءم وحياة الناس الجديدة التي تحضرت حتى يقتربوا منهم ومن لغتهم اليومية. إذاً علينا التأمل مرة أخرى في قصيدة عمر بن أبي ربيعة التي سبق وقد وقفنا عليها حيث يقول في مطلعها:

---

(١) د. شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص٢٢٧.

(٢) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي،ص٣٥٠

(٣) د. عمر فروخ، تاريخ الادب العربي ،ج١ ، ص٥٣٧.

أَمِـــن آلِ نُعـــمٍ أَنـــتَ غـــادٍ فَمُبكـــرُ غَـــداةَ غَـــدٍ أَم رائِـــحٌ فَمُهَجِّـــرُ
لِحاجَـــةِ نَفـــسٍ لَـــم تَقُـــل في جَوابِهـــا فَتُبلِـــغَ عُـــذراً وَالمَقالَـــةُ تُعـــذِرُ
تَهـــيمُ إِلى نُعـــمٍ فَـــلا الشَـــملُ جـــامِعٌ وَلا الحَبـــلُ مَوصـــولٌ وَلا القَلـــبُ مُقصِـــرُ

الاتجاه الثاني : الغزل العذري

تعريف الغزل العذري: غزل طاهر عفيف، يصوِّرُ مكابدة العشاق، وألم البعد عن الحبيبة ولا يحفل بجمال المرأة الجسدي، بقدر ما يحفل بجاذبيتها وجمالها المعنوي، يقتصر على محبوبة واحدة طوال حياته. ويرى د. شوقي ضيف" غزل نقي طاهر ممعن في النقاء والطهارة "[١]. وهو أيضاً" حركة شعرية جديدة وتلك هي (الحركة العذرية)التي تتمثل في شعر طائفة من الشعراء عاشوا جميعاً في زمن واحد وتنقلوا في بيئات واحدة أو متقاربة ما بين مكة والمدينة ووديان البادية الخصبة القريبة من هاتين المدينتين"[٢].

ويرى د. عبد القادر القط " هو المظهر الفني للعواطف المتعففة والملتهبة في آن معا والتي وجدت أن هذا التعويض هو خير ما تطفئ به لهبها وتتنسا هي به غرائزها"[٣]

نشأة الغزل العذري: نشأ منذ الجاهليّة ونضجَ في العصر الأموي معبّراً عن الحبّ الطاهر العفيف، ينسب الغزل العذري إلى بني عذرة، بوادي القرى شمال

(١) د. شوقي ضيف، العصر الإسلامي،٣٥٩

(٢) د. عبدالقادر القط، في الشعر الإسلامي، ص٧٢

(٣) ينظر: المرجع السابق،ص٧٨

المدينة المنوّرة. وقيل: إنّ سعيد بن عقبة سأل أعرابيّاً : ممن الفتى ؟ قال من قومٍ إذا عشقوا ماتوا، قال عذريٌّ وربّ الكعبة"[١] لكنّ هذا الحبّ لم يقتصر على بني عذرة، فقد شاع في بني عامر في أطراف نجدٍ وفيهم مجنون ليلى(قيس بن الملوّح).

ولم تقف موجة الغزل العذري لهذا العصر عند قبيلة عذرة وحدها فقد شاع في بوادي نجد والحجاز، وخاصة بين بني عامر ، حتى ليصبح ظاهرة عامة تحتاج إلى تفسير.

عوامل النشأة والتطور لهذا الفن(العذري):

الحب العذري شدّ انتباه كل من درسوا هذا العصر وحاولوا أن يعللوا ظهورها على هذا النحو الشامل فأرجعها بعضهم إلى أسباب دينية وخلقية وعللها آخرون بعلل نفسية أو سياسية أو حضارية. فالدكتور شكري فيصل يرى أن الدافع كان بدافع من التقوى الإسلامية وبتأثير من مفهوم الحب في الإسلام وارتباطه بالعفة و"تذهب مذهب التقي وتؤثر السلامة والعافية على المغامرة والمخاطرة، وترى أن النفس أمارة بالسوء ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ [٢] وأن "النار قد حفت بالشهوات" على حد تعبير الحديث الشريف". وأنه من الخير لها أن تصبر"[٣] ومنها أيضاً: سيطرت الأعراف والتقاليد على حيوية المجتمع الأموي فسقطت حقوق المرأة في حرية الحب واختيار الزوج وإبداء الرأي دون أن يشارك الشاعر حبيبته من الخلاص بل أصبح يشترك في غالب الأحيان في اشتداد وثاقها حينما يصور ملامحها الجسدية والنفسية في

(١) د. عمر فروخ، تاريخ الادب العربي،ج١ ، ص٣٦٧

(٢) سورة يوسف/٥٣

(٣) شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ط٥، ص٢٣٢.

شعره فتنكشف هويتها لأهلها ليستحكم العرف قوياً بمنعه من التزوج بها، وقد عبّر مجنون ليلى عن لاعقلانية هذا الحرمان بقوله:

ألـيس مـن البلـوى الـتي لا شـوى لهـا بـأن زُوِّجـت كلبـا ومـا بُـذِلَتْ لِيـا[1]

لقد اتخذ هذا البوح معنى المس بعفة القبيلة وشرفها في توجهه إلى امرأة واحدة " في مجتمع لم يكن قد تحلل من نزعات البداوة وخصوصا نزعة الاعتقاد بأن المرأة دون الرجل ومُجلبة للعار، فأحاطها بسوار من الأوهام لا ينبغي لها تجاوزه، ولذلك منعوها من الحب...وبالتالي، أسقطوا من عالمها حب الرجل لها، وبثّه إيّاها نجواه وشكواه، لأن في ذلك استباحة تُقلق القبيلة كلها، وتنال من كبريائها".

الخصائص الجسدية والنفسية لهذا الفن:

إن الجديد في وقوفها عند الملامح الجسدية، حيث برزت حقيقة الحرمان، فإذا هو رغبة في متعة الأرداف والمتن والريق والثغر الندي.

فقد جاءت المرأة في الشعر العذري ذات ملامح حقيقية، فقد وصفها الشاعر وهو ينظر في عينيها ووجهها حيث خلاصة البراءة والعفة والجمال الروحي والمعنوي، ولم يكن يحيد عن وجهها لينتقل لباقي جسدها بالتفرس والتَّملي حتى تقف علية عين الرقيب التي لا تغفل وقد أقامتها القبيلة لحراسة نسائها.

وصف الجبين والجبهة: لقد أحب العرب الجبهة مسترسلة عريضة، واسعة من دون إفراط، فإذا زاد اتِّساعها أصبحت غير مطلوبة.

(١) مجنون ليلى، الديوان ، تح/عبدالستار أحمد فراج، مكتبة مصر ،(د.ت)، ص٢٣٨

العينان: إن العين تفيض بأنقى الإحساسات يتجمع فيها كل خصائص النفس البشرية، ففيها الحب حيث يعبر الإنسان بها دون لغة، فالعين تعكس المرح والابتسامة كما أنها تحتضن الدمعة والأحزان.

وأجمل العيون عند العرب ما كانت واسعة تشمل الناظر إليها بازدواجية التفاعل معها قد تُفيق المُخمر من نشوة المدام وقد تجعل الصاحي مُتيّماً بدون خمر.

قال ذو الرمة:

وعينـــان قـــال الله كونـــا فكانتـــا فعـولان بالألبـاب مـا تفعـل الخمـرُ[1]

فقد كان الحب لدى هؤلاء يعرف بالحب العفيف السامي الذي يصلى المحب بناره ويستقر بين أحشائه حتى ليصبح كأنه محنة أو داء لا يستطيع التخلص منه ولا الانصراف عنه .

إن وجود صدى من الموروث الشعري في هذا الغزل لا ينفى أن يكون ظاهرة جديدة طرأت على المجتمع العربي في هذا الطور الأموي، فشيوعه في هذا التطور وتخصص جماعة من الشعراء فيه وإفراد القصائد الخاصة به هذه الظاهرة مع ما فيها من جدة إلا أنها كانت لها صدى من القديم الموروث، لقد طرأ على هذه الظاهرة تطورا كبيرا وفق المؤثرات الجديدة التي نجمت عن هذا الطور

فمن الشخصيات الثابتة في هذا الاتجاه جميل بن معمر صاحب بثينة وكُثير بن عبد الرحمن صاحب عزة وعروة بن حزام صاحب عفراء، وتوبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية، وغيرهم ممن تعج بهم الكتب والمصادر .

(١) ذو الرمة، الديوان، شرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط٢ ، ١٩٩٦م، ص٢٠٩.

فهذا جميل بن معمر مثلاً يعطينا صورة المرأة المثال في ملامحها الجسدية والنفسية عبر الكلمات التي تنساب في وجدانه الشعري رقراقة صافية.

وفي هذا الوجدان المُنسحق الذي فاض على كيانه النفسي يُعطي معشوقته القدرة على الانفلات من الزمن بدوام الشباب وخلوده، كما قال جميل:

تقول بثينة لمّا رأت ... فنونا من الشّعر الأحمر
كبرتَ جميل وأودىَ الشّبابُ ... فقلت: بثينُ ألا فاقصري
أتنسيْن أيّامنا باللوى ... وأيّامنا بذوي الأجفري
وإذ لمّتي كجناح الغراب ... تطلي بالمسك والعنبر
قريبان مربّعُنا واحدٌ ... فكيف كبُرْتُ ولم تكبُري[1]

بعدما أخلد جميل جسد حبيبته، تطرق لتماهي روحه بروحها قبل ولادتها ويُؤكد أنّ حبَّهُ بعد الموت هو حبّ غير منقوص العهد، فأعطى لحُبِّه تجرده الكامل من الشهوة الحيوانية فهو بذلك يُمنِّ نفسه من وجهة النظر الإسلامية ببُثينة الحورية تُشكِّل تقواه وورعه المقاييس المُثلى للتحقق في قوله:

تعلّق روحي روحها قبل خلقها ... ومن بعدها كُنّا نِطافا وفي المهد
فزاد كما زِدْنا فأصبح ناميا ... وليس إذا مِتْنا بمُنْتَقِصِ العهد
ولكنه باقٍ على كلِّ حالةٍ ... وزائرُنا في ظُلمَةِ القبر واللحد[2].

إن صورة المرأة المثال بالشعر الأموي العذري عميقة الجذور بخيال الشاعر العربي منذ الجاهلية " وتبلغ الصورة الرمزية ذروتها في تشبيه المرأة المثال، فيتأكد بذلك أن تلك الصورة ليست محاكاة لصورة امرأة واقعية، وإنّما هي إبداع لمثال فنّي يتجاوز به

(١) جميل بثينة، الديوان، دار صادر، بيروت،(د.ت) ص٦٤

(٢) جميل بثينة، الديوان، ص٤٢.

الشاعر الواقع، ويصل به إلى العبادة، فالمرأة المثال عمل فنّي يسمو على الزمن، فهي رمز الجمال الخالد الذي لا يذوب والشباب الأبدي الذي لا يزول.

وكذلك تبرز في هذا الاتجاه شخصية **عروة بن حزام** وقصته التي لا تختلف في جملتها عن قصص العشاق التي داخلها شيء من خيال الرواة وتتلخص قصته في أنه أحب ابنة عم له يقال لها عفراء. وكان ذلك منذ الصغر فلما كبرا تقدم إلى عمه خاطباً إياها ، ولكن عمّه تعلل بفقره وحثه على السفر بحثا عن مهر عفراء، وسافر عروة إلى غايته، وبقيت عفراء لتزف إلى رجل ثري من أهل الشام، ويرحل بها الرجل إلى بلاده. ويعود عروة بما أصابه في سفره من مال، ولكنه يفاجأ بأن عمّه يدعي موت عفراء، ويريه قبرا زعم أنه قبرها ، ويظل عروة يختلف إلى هذا القبر أياماً. غير أنه يعلم حقيقة الأمر من جارية أو من بعض أصحابه كما تقول الروايات فينطلق إلى الشام ليرى عفراء، ويتمكن من ذلك بالفعل، وتدفعه رؤيتها إلى الصبر واليأس، ويقرر العودة إلى دياره، وفي الطريق ينتكس ويموت قبل أن يصل إلى حيّه ويبلغ خبر موته عفراء فتجزع لذلك وترثيه بقولها:

أَلا أَيُّهَا الرّكْبُ المُخِبُّونَ وَيْحَكُمْ ... بحَقٍّ نَعَيْتُمْ عُرْوَةَ بنَ حِزَامِ؟
فلا نَفَعَ الفِتْيَانَ بَعْدَكَ لَذَّةٌ ... ولا رجَعُوا من غَيْبَةٍ بسَلامِ
وقُلْ لِلْحَبَالى لا يرجِّينَ غائِبًا ... ولا فَرِحَتْ من بَعْدِهِ بغُلامِ[1]

فما زالت تردد هذه الأبيات حتى ماتت. فبلغ الخبر معاوية، فقال لو علمت بحال هذين الشريفين لجمعت بينهما "[2]. ولعروة في عفراء قصيدة نونية طويلة روى أبو الفرج قدراً منها، ورواها أبو على القالي كاملة في نوادره حيث بلغت في روايته (٩١) بيتاً، والتي مطلعها (**خَليليَّ من عُليا هلالِ بنِ عامرٍ**) حيث نقتطف منها الأبيات الآتية:

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح/ أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ج٢،(د.ت) ص٦٢٧

(٢) المرجع السابق،ص٦٢٧. وينظر ابن الأنباري، الأضداد في اللغة،موسوعة الشعر العربي،٢٠٠٩م، ص١٧٢.

خَليليَّ من عُليا هلالِ بنِ عامرٍ ... بِصَنْعاءَ عوجا اليومَ وانتظراني
ألم تَحْلِفا باللهِ أنِّي أخوكُما ... فلم تَفْعلا ما يَفْعَلُ الأَخَوانِ
أَلا فاحْمِلاني بارَكَ اللهُ فيكُما ... إلى حاضِرِ الرَّوْحاءِ ثُمَّ ذَراني
ولا تعذِلاني في الغَواني فَإنَّني ... أرى في الغواني غَيْرَ ما تَرَيانِ
أَلِمّا على عفراءَ إنَّكُما غَداً ... بِشَحْطِ النّوى والبَيْنِ معترفانِ
أَغَرَّكما لا بارك الله فيكما ... قميصٌ وَبُرْدا يَمنةٍ زَهَوانِ
متى تكشفا عنّي القميصَ تَبَيَّنا ... بِيَ الضُّرَّ من عَفْراء يا فَتَيانِ
وَتَعْتَرِفا لَحْماً قليلاً وأَعْظُماً ... دِقاقاً وَقَلْباً دائمَ الخَفَقانِ
أُحِبُّ ابْنَةَ العُذْرِيِّ حُبّاً وإنْ نَأَتْ ... ودانَيْتُ فيها غيرَ ما مُتَدانِ
إذا رامَ قلبي هَجْرَها حالَ دونَهُ ... شَفيعانِ من قَلْبي لها جَدِلانِ
فيا رَبِّ أنتَ المُسْتَعانُ على الذي ... تَحَمَّلْتُ من عفراءَ منذ زَمانِ
فيا لَيْتَ كلَّ اثنينِ بينهما هوىً ... مِنَ النّاس والأَنْعامِ يَلْتَقِيانِ
هوى ناقتي خَلْفي وقُدّامي الهوى ... وإنِّي وإيّاها لَمُخْتَلِفانِ
هوايَ عراقيٌّ وتَثْني زِمامَها ... لِبَرْقٍ إذا لاحَ النجومُ يَمانِ
يقولُ لِيَ الأصحابُ إذْ يَعْذلُونَني ... أَشَوْقٌ عِراقِيٌّ وأنتَ يَمانِ
وليسَ يَمانٍ للعراقيْ بِصاحبٍ ... عسى في صُرُوفِ الدَّهْرِ يَلْتَقِيانِ
تَحَمَّلْتُ مِنْ عفراءَ ما ليس ليبهِ ... ولا لِلجبالِ الرَّاسياتِ يَدانِ
كَأَنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بِجَناحِها ... على كَبِدي من شِدَّةِ الخَفَقانِ
فما شَفَيا الدّاءَ الذي بيَ كُلَّهُ ... وما ذَخَرا نُصْحاً ولا أَلَواني
فقالا شفاكَ اللهُ واللهِ ما لَنا ... بِما ضُمِّنَتْ منكَ الضّلوعُ يَدانِ[1]

أبرز الملاحظات حول النص على النحو الآتي:

١- القصيدة ذات لغة سهلة ويبدو الأثر الديني فيها واضحا ومن ذلك قوله:

(١) عروة بن حزام، الديوان، موسوعة الشعر العربي، ص ١٢

فيا رَبِّ أنتَ المُسْتَعانُ على الذي تَحَمَّلْتُ من عفراءَ منذ زَمانِ

وقوله :

وإنّي لأَهْوى ما يَزْعُمُ النّاسُ بَيْنَنا وعفراءَ يومَ الحَشْرِ مُلْتَقِيانِ

٢- أن القصيدة تفتقر إلى التماسك والربط بين صورها ومعانيها وهو أمر لاحظه الدكتور عبد القادر القط في دراسته للقصائد الطوال من شعر العذريين فقد قال:" إنه كلما طالت القصيدة قل التماسك واختل الترتيب وأصبحت الصورة الشعرية جزئيات شعورية متناثرة، لا يربط بينها إلا طبيعة التجربة العاطفية العامة، وكلما كانت القصيدة أقرب إلى القصر أو إلى شكل المقطوعة زادت وحدتها الشعورية والفنية معا "[1]. وربما يعود السبب في عدم تماسكها هو أن الشاعر قد نظمها في فترات متباينة، إذ تكثر فيها المعاني المكررة والمواقف المختلفة، ولكنها مع ذلك لا تخلو من دفقات شعورية جيدة تصور تباريح الهوى في نفس عروة.

٣- تدل على صدق ملموس في العاطفة ومن ذلك هذه الأبيات الثلاثة التي اختارها أبو الفرج وذكر أنها من الأصوات التي غنيت وهي صور لما صار إليه حبه لعفراء :

تَحَمَّلْتُ مِنْ عفراءَ ما ليس ليبهِ ولا لِلجبالِ الرَّاسياتِ يَدانِ
فيا رَبِّ أنتَ المُسْتَعانُ على الذي تَحَمَّلْتُ من عفراءَ منذ زَمانِ
كَأَنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بِجَناحِها على كَبِدي من شِدَّةِ الخَفَقانِ

سمات الغزل العذري:

(١) د. عبدالقادر القط، في الشعر الإسلامي، ص٧٤

١- الاقتصار على محبوبة واحدة ، يوجِّهُ إليها خطابه ولا يهتمّ بمن يسمع إليه من الناس، تعيش دائماً في وجدانه وحركاته وانفعالاته بمعنى آخر؛ قد التزموا بالعهد والوعد للمحبوبة طيلة حياتهم أو زمناً طويلاً من حياتهم، فهو ليس كغزل الاتجاه الحضري الذي صور الشعراء فيه تنقلهم من محبوبة إلى أخرى ، وليس كغزل أصحاب البناء التقليدي الذين ورثوا عن سابقيهم سُنة البدء بالغزل في القصيدة الطويلة.

٢- وحدة الموضوع: عدم وجود المقدّمات التي تسبق الموضوع الرئيس، بل إنّ كلّ بيت في القصيدة يخدم عاطفة الشاعر وأحاسيسه (يتحدّث عن موضوع واحد هو الغزل العذري).

٣- بساطة المعاني والسهولة والوضوح، فهو يعبِّرُ بصدقٍ عن المعاني التي تخالجه وتصدر عن بساطة وفطرة بعيدة عن محاولات التعمُّق والابتكار والغموض والتلوين الفنّي والسبب لأنّها تعبّر بصدق عن النفس.

٤- **الصدق** : وسبب صدقه لأنه كان يصدر عمّا يختلج في نفس الشاعر من أشجان الحبّ والحرمان والمكابدة فلا مداراة ولا افتعال، فتظهر براعته في موقف الحبِّ.

٥- **العِفَّة** : وهي طهر القول والسبب لغياب الوصف الحسّي المادّيّ من هذا اللون الشعري، ولم يتحدّثوا عن مفاتن محبوباتهم، كما كان عند الجاهليين أو عند شعراء الغزل الصريح مثل (عمر بن أبي ربيعة).

٦- **الحزن والتشاؤم** : وسبب ذلك عدم اللقاء أو الوصال مع المحبوبة ، فنجد الأسى المكتوم والحزن على قلبه والتسليم لقضاء الله وقدره.

٧- يكتفي من المحبوبة بالنظرة العاجلة أو الوعد الكاذب مثل قول الشاعر جميل بثينة:

وإنـــي لأرض مـــن بثينـــة بالـــذي لـــو أبصـــره الواشـــي لقـــرّت بلابلـــه
بلـــى وبـــأن لا أســـتطيع وبـــالمنى وبالأمـــل المرجـــوّ قـــد خـــاب آملـــه
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضي أواخـــره لا نلتقـــي وأوائلـــه[1]

٨- الحديث عن المكابدة والمعاناة الدائمة والرضا بذلك مثل قوله:

أقـضي نـهاري بالحـديث وبـالمُنى ويجمعنـــي و الهـــمُّ بالليـــلِ جـــامِعُ
لقـد رسـخَت في القلـبِ منـكِ مـودةٌ كمـــا رسَـــخَت في الـــرّاحتينِ الأصـــابِعُ

٩- التعـرُّض إلى لـوم اللائمـين ومراقبـة الواشـين ولا يزيـده ذلـك إلاّ تعلّقـاً بالمحبوب مثل قوله:

لقـد لامنـي فيهـا أخٌ ذو قرابَـةٍ حبيـبٌ إليـه فـي نصـيحة رشـدي
ومـا زادهـا الواشـون إلاّ كرامـةً علـــيَّ ومـــا زالَـــت مودّتُهـــا عنـــدي

١٠- الطلب من رفيقه في السّفر أن يقفا على رَبْعِ عزَّةَ ، وأن يبكيا معه

خليلـيّ هـذا رَبْـعُ عـزّةَ فـاعقلا قلوصـيكما ثـمّ ابكيـا حيـث حلّـت

١١- شكوى الشاعر نتيجة للبعد والنوى مثل قوله:

فما للنوى لا بارِكَ الله في النَّوى وعهـد النّـوى في المحـبِّ ذميـمِ

١٢- الحرص على العهد فلا يذكرها بسوء ، ويحفظ لها المودّة ، وفيّ لها مُخلِصٌ مثل **قول كثير**:

(١) جميل بثينة، الديوان ، ص ١١٥.

فقلتُ لـه : إنّ المـودّةَ بيننـا على غـيرِ فُحـشٍ والصّـفاءُ قـديمُ
وأُقسِـمُ مـا اسـتبدلتُ بعـدَكِ خِلّـةً ولا لَـكِ عِنـدي في الفُـؤادِ قسـيمُ[١]

١٣- لقد **برزت معاني الإسلام وروحه في غزل هذا الاتجاه** بروزا واضحا ويمكن لدارس شعرهم أن يلحظ هذا في عدة أمور، منها :

أ- **هذه الشكوى** التي يتقدم بها الشعراء إلى الله تعالى مما يعانون من تباريح الهوى وألم الفراق وذلك مثل قول قيس بن ذريح :

إلى الله أشـكو فقـد لبنـى كمـا شـكا إلى الله فقـد الوالـدين يتـيم[٢]

ومثل قول جميل :

إلى الله أشـكو لا إلى النـاس حبّهـا ولابـد مـن شـكوى حبيـب يـروع[٣]

ب- **تأثر الشعراء بألفاظ الإسلام ومصطلحاته الجديدة**، مثل قول عروة بن حزام

وإنّـي لأَهْـوى مـا يَـزْعُمُ النّـاسُ بَيْنَنـا وعفـراءَ يـومَ الحَشْـرِ مُلْتَقِيـانِ[٤]

وقول جميل :

أصـلي فـأبكى في الصـلاة لـذكرها لـي الويـل ممـا يكتـب الملكـان[١]

(١) كثير عزة، الديوان، جمعه وشرحه /د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت،١٩٧١م، ص١٢٩
(٢) قيس بن ذريح الديوان ، دار المعرفة بيروت لبنان،ط٢، ٢٠٠٤م ص١١١.
(٣) الديوان، ص١٢
(٤) عروة بن حزام، الديوان ص١٢

الاتجاه الثالث : الغزل التقليدي

وبجانب الاتجاهين السابقين نجد هناك اتجاه ثالث سار فيه شعراء هذا الطور على ما كان عليه الشعراء في بناء قصائدهم حيث يقول الدكتور طه حسين" ومضى بين هذين المذهبين الشعراء الآخرون فمنهم من اتخذ الغزل صنعة وفناً فحذا حذو أولئك أو هؤلاء ، ومنهم من سلك مسلك الشعراء الجاهليين فتناول فنون الشعر كافة ، ولكن غزله تأثر بمذهب الفن الجديد فرق لفظه وسهل ودق معناه ولطف"[٢] فكانوا يفتتحون قصائدهم نسيب يتألف من ذكر ديار المحبوبة والبكاء عندها ، وتصوير رحل المحبوبة وتتبع الراحلين من مكان إلى مكان .

يغلب على هذا النوع من الغزل نغمة حزينة تحتد حينا وترق حينا آخر، ولكنها تدل على إحساس الشاعر بفُقد عام يشعر به في دخيلة نفسه فيعبر عنه في هذه الافتتاحيات التي يصوغها في معانٍ مشتركة وصور متكررة من قصيدة واحدة. لكن ذلك الموروث لا ينفي أن يكون هؤلاء الشعراء قد عرفوا الحب وعاشوه والقدرة على تصوير ما يحسونه فيه من أسى وحرقه ، ومن ذلك تفاوت درجات الشعراء فيه وفقاً لنفسياتهم ومواهبهم.

إن الناظر في الافتتاحيات في العصر الأموي يجد أنها تندرج تحت ثلاثة ألوان :

=

(١) جميل بثينة ، الديوان، ص١٢٩

(٢) د. طه حسين، حديث الأربعاء،ج٢، ص١٩

١- لون نلحظ فيه أن الشاعر يحرص فيه على مجرد التقليد والمحافظة على النظام الموروث في بناء القصيدة والشواهد عليه من خلال مطلع قصائد الأخطل في نقائضه مع جرير.

٢- ولون نلحظ فيه قصد الشاعر إلى التكلف الواضح الذي لا روح فيه ولا عاطفة.

٣- واللون الثالث يفضي الشاعر شيئاً من إحساسه بحيث يجعلنا نتأثر بما يقوله من غزل بل نطرب له تجاوباً وإعجاباً .

والشواهد على **اللون الثاني** متعددة وأهم شعر يمكن أن ندرجه في هذا اللون هو شعر الكميت بن زيد الأسدي في مطلع قصيدته:

هلاّ سألت معالم الأطلال والرسم بعد تقادم الأحوال
ومناً تهيج رسومها بعد البلى طرباً وكيف سؤال أعجم بال

وأمَّا **اللون الثالث**: الذي يفضي الشاعر فيه شيئا من روحه وأحاسيسه حتى يجعلنا نشعر بعواطفه ماثلة أمامنا برغم أنه يسير في غزله على سنة تقليدية فأمثلته متعددة منها افتتاحيات لجرير والفرزدق .

وثمة ظاهرة يجدها الدارس في افتتاحيات أصحاب هذا اللون وهي ظاهرة سبق وأن أشرنا إليها بأن الدكتور طه حسين الذي تحدث عنها بأن الغزل الجديد في عصر بني أميه وعن مذهبي اللذة والعفة فيه "ومضى بين هذين المذهبيين الشعراء الآخرون فمنهم من سلك مسلك الشعراء الجاهليين

فتناول فنون الشعر كافة ولكن غزله تأثر بمذهب الفن الجديد فرق لفظه وسهل ودق معناه"[١]

ويعد جرير خير من يستشهد به في هذا المقام إذ يرى طه حسين أن شعره في الغزل يقارب طريقه أصحاب الغزل الجديد في عذوبة اللفظ وسحره وفي لطف المعنى ودقته

ومن أمثلة شعر جرير في ذلك افتتاحية في النقيضة النونية التي هجا فيها الأخطل برغم مسارها التقليدي في بناء القصيدة

يـــا أُمَّ عَمْـــرٍو جَـــزَاكِ اللهُ مَغْفِـــرَةً رُدِّي عَلَـــيَّ فُـــؤَادي كالَّـــذِي كانَـــا [٢]

إلى أن يقول

إنَّ العُيـــونَ الَّـــتي في طَرفِهـــا حَـــوَرٌ قَتَلنَنـــا ثُـــمَّ لَـــم يُحـــيينَ قَتلانـــا
يَصـرَعنَ ذا اللُـبِّ حَتّـى لا حِـراكَ بِـهِ وَهُـــنَّ أَضـعَفُ خَلـقِ اللَـــهِ أَركانـــا
يـــا حَبَّـــذا جَبَـــلُ الرَيّـــانِ مِـــن جَبَـــلٍ وَحَبَّـــذا سـاكِنُ الرَيّـــانِ مَـــن كانـــا
وَحَبَّـــذا نَفَحـــاتٌ مِـــن يَمانِيَـــةٍ تَأتيـكَ مِـن قِبَـلِ الرَيّـانِ أَحيانـا[٣]

فهذا الغزل على الرغم مهما فيه من تفكك في الصور ألا أنه يقرب كثيرا من روح أصحاب الغزل العذري الذي رأيناه فيما مضى.

وخلاصة القول :

(١) د. طه حسين، حديث الأربعاء،ج٢، ص١٩

(٢) جرير ، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م، ص٤٩١

(٣) المرجع ،ص ٤٩٢.

في هذا الاتجاه ، أن أصحابه قد حافظوا على البناء التقليدي للقصيدة العربية، ولكن غزلهم الذي جاء في افتتاحياتهم قد تلون بألوان ثلاثة كما تأثر بالعصر وما طرأ فيه من غزل جديد باتجاهيه العذري وغير العذري ومرد ذلك كله أنما يرجع إلى الشعراء أنفسهم في ترسمهم خطى السابقين وحرصهم على مجرد التقليد أو تكلفهم إياه، أو اخراجه ممتزجاً بعواطفهم ومتأثراً بما جد في عصرهم من غزل.

❖❖❖

المبحث الرابع

النثر الفني وتطوره في العصر الأموي

النشأة والتطور:

سبق الحديث عن فن النثر وتطوره في عصر صدر الإسلام بفضل نزول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وما نتج عنهما من دراسات جاءت لتفسر وتوضح وتبين ما في هذين الكتابين من أسرار كُثر: من معجزات وتشريع وأحكام وقصص وعبر. ونشأ تبعاً لذلك فنون نثرية جديدة وتطورت فنون نثرية كانت موجودة في الجاهلية وفتح آفاقاً جديدة في عهد الدولة الأموية واستمر الدعم من الأمويين فظهرت المصنفات ومن أشهر المصنفات في هذه المرحلة الموطأ لمالك بن أنس ثم أفردت الأحاديث في مؤلفات خاصة تسمى بالمساند وتخلو من فتاوى الصحابة والتابعين كمسند الإمام أحمد بن حنبل ثم دونت كتب الصحاح كصحيح مسلم والبخاري وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجة.

أ- الخطابة :

دواعي تطور الخطابة: نهضت الخطابة في العصر الأموي لدواع دينية واجتماعية وسياسية، ولكون الإسلام قد أوجب خطبة الجمعة وسنّ خطب الأعياد والخسوف والكسوف فقد تطور هذا الفن و عظم أمر الخطابة وحفلت به النوادي وحفلت فيها المجالس والقصور وأماكن القضاء إذ كان الخلفاء والقادة يعتمدون عليها اعتمادا كبيرا في إيصال ما يريدون إيصاله، وزاد من أهمية الخطابة انتشار الأحزاب السياسية والفرق والثورات التي تحاول إثبات أحقية الخلافة لفئة دون فئة ، ومن هنا فقد تفرعت الخطابة إلى ثلاثة أنواع .

أنواع الخطابة :

١- **الخطبة السياسية:** وقد تبلور هذا النوع من الخطب من خلال تكون الأحزاب السياسية التي تمثل الفرق الإسلامية بحيث ظهر من خطباء الخوارج: قطري بن الفجاءة، أبو حمزة الخارجي، وزيد بن جندب الأزرقي، عمران بن حطّان.

وظهر جملة من الخطباء في هذا العصر منهم : الحسين بن أبي طالب ، زيد بن علي، المختار الثقفي. وظهر من **الخطباء الأمويين**: خالد القسري، يوسف بن عمر سعيد بن العاص. وظهر من الخطباء الزبيريين : عبد الله بن الزبير .

٢- **خطبة المحافل** : وقد ترعرعت هذه الخطبة بسبب انتشار الوفود التي تأتي إلى الخلفاء أو الأمراء مهنئة أو معزية أو لحاجة من الحاجات ، وقد استقبل الرسول عليه السلام الوفود التي قدمت معلنة إسلامها وسمي بعام الوفود . فلذلك كان معاوية وعبد الملك يستقبلان الوفود فقد قدم على معاوية النجاد وعمرو بن سعيد الأشدق وممن وفدوا على عبد الملك سعيد بن عمرو والهيثم بن الأسود بن العريان ولم يكن خليفة من الخلفاء يتولى الخلافة إلا قدمت عليه الوفود .

٣- **الخطابة الدينية والوعظ والمناظرات** : وقد ازدهر هذا النوع من الخطب مع وجود خطبة الجمعة ، وانتشر إبّان ذلك القصاص والوعاظ الذين يقصون في المساجد وأمام الجيوش والذين يمزجون قصصهم بالقرآن والحديث والمواعظ مثل: رجاء بن حبوة، الأوزاعي، سعيد بن المسيب، سلمة بن دينار، عبد الله بن عمر بن العاص ، وأكبر الوعاظ الحسن البصري.

القيمة الفنية للخطابة في الإسلام: اعتمد الخطباء في خطبهم على :

١- استخدام النزعة الدينية .

٢- الاتكاء على معاني القرآن والأحاديث النبوية .

٣- توظيف العاطفة الدينية والحزبية .

٤- الإكثار من أساليب التهديد والتوبيخ والوعيد والإنذار .

٥- اتخاذ الحجة والجدل وسيلة لإقناع الخصم .

٦- الاعتماد على الألفاظ المنغمة والتراكيب الموسيقية (السجع ...) .

٧- الإيجاز والإجمال في توصيل الغرض من الخطبة .

أبرز أعلام الخطابة في العصر الأموي

١- **زياد بن أبيه** : ولد على الأغلب في السنة الأولى للهجرة ، والدته سمية جارية من الطائف ويقال إن والده أبو سفيان ، فلما أنكره سمي زياد بن أبيه ، ويعد زيادا إداريا حازما، وسياسيا فريدا، وأديبا بارعا، وهو أحد دهاة العرب:(معاوية، المغيرة، عمر بن العاص، زياد بن أبيه).كان واليا لعلي في منطقة فارس، حاول معاوية أن يستميله فرفض ولما استشهد الإمام علي ألحقه معاوية بنسبه وولاه على البصرة والكوفة والعراق خمس سنوات توفي عام (٥٣)هـ.

خطبة زياد بن أبية السياسية :

ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين" قدم زيادٌ البَصرة والياً لمعاوية بن أبي سفيان، وضمَّ إليه خراسان وسجستان، والفسقُ بالبصرة كثير فاشٍ ظاهر، قالا: فخطب خطبة بتراءَ، لم يَحمَد اللَّه فيها، ولم يصلّ على النبيّ، وقال غيره:

بل قال: الحمد للَّه على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيدَ من نِعَمه وإكرامه، اللهُمّ كما زدتنا نِعَماً فألِهمْنا شُكْراً، أما بعد فإنّ الجهالَة الجَهلاء، والضّلالة العمياء، والغَيَّ الموفى بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم..... ولقد اتبعتم السُّفهاء، فلم يَزَلْ بكم ما ترون مَن قيامكم دُونَهم حتّى انتهكوا حُرَم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كُنُوساً في مَكَانِس الرِّيَب، حَرامٌ عليَّ الطّعامُ والشرابُ حتى أسوّيَها بالأرض، هَدْماً وإحراقاً، إنِّي رأيتُ آخِرَ هذا الأمر لا يصلحُ إلاّ بما صَلُح به أوَّلهُ: لينٌ في غير ضَعف، وشدةٌ في غير عُنف، وإنّي أُقسم باللَّه، لآخُذَنَّ الوالِيَّ بالوليّ، والمقيم بالظّاعن، والمقبلَ بالمدْبر، والمطيع بالعاصي، والصَّحيحَ منكم في نفسه بالسقيم، حتَّى يَلقَى الرَّجُل منكم أخاه فيقول: انْجُ سعدُ فقد هلك سُعَيْدٌ، أو تستقيمَ لي قناتُكم، إنَّ كِذْبَةَ المِنبر بلقاءُ مَشْهُورةٌ، فإذا تعلَّقتم عليَّ بكِذبةٍ فقد حلّت لكم معصيتي، وإذا سمعتموها مِنّي فاغتمزُوها فيَّ واعلموا أنَّ عندي أمثالَها، من نُقِبَ منكم عَلَيْه فأنا ضامنٌ لما ذهبَ منه، فإيايَ ودَلَجَ اللّيل؛ فإنِّي لا أُوتَى بمُدلج إلا سفكتُ دمَه، وقد أجَّلْتُكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبرُ الكُوفَة ويرجعُ إليكم، وإيايَ ودعْوةَ الجاهليّة؛ فإني لا آخُذ داعياً بها إلا قطعتُ لسانه، وقد أحدْثتم أحداثاً لم تكُن، وقد أحدثْنا لكلِّ ذنبٍ عقوبة: فمَنْ غرَّق قوماً غرَّقناه، ومَن أحرق قوماً أحرقناه، ومن نقبَ بيتاً نقبنا عن قلبه، ومَن نبش قبراً دفنَّاه فيه حَيّاً، فكُفُّوا عَنِّي أيديكم وألسنَتكم، أكفُفْ عنكم يدي ولساني..."[1].

(١) الجاحظ، البيان والتبيين،ج٢ ص ٢٤٢.

ملاحظات عامة حول الخطبة السياسية لزياد بن أبيه :

١- يظهر لنا أن الرجل قد كان حليما كيّسا يتسم أسلوبه بالجزالة وألفاظه بالفصاحة، وتراكيبه بالوضوح.

٢- أنه كان خطيباً لا يبارى في جودة خطابته يعرف كيف يصوغ كلمه صوغاً تهش له الأسماع وتصغي له القلوب.

٣- الخطبة هذه تُجمل سياسة زياد في استرداد أمن البصرة بعد أن عاث فيها الفساق واللصوص واضطرب حبل النظام.

٤- يظهر لنا من الفقرة السابقة من الخطبة الدستور الذي وضعه في حكم البصرة وهو دستور أوضح فيه مواد العقوبة وأنه سيأخذ بالظنة ويعاقب على الشبهة وأنه قد جرد سيفه لقتل من لا يرعوى وأن من عاد إلى العصبية الجاهلية يستثير قومه سيقطع لسانه.

يقال أن هذه السياسة نجحت في إعادة الأمور إلى نصابها في ولايته واستقرار الأمن حتى قالوا إن المرأة كانت تبيت وبابها مفتوح عليها لا تخشى لصاً وكان الشيء يسقط فلا يعرض له أحد حتى يرجع إليه صاحبه فيأخذه.

٥- هذه الفقرة تصور أيضاً رفق زياد برعيته فهو لا يبطش للبطش وإنما يبطش على الجرُم أما بعد ذلك فليّن رفيق بالناس وهو يجهر بذلك حين يلخص خطته في الحكم بأنها لين في غير ضعف وشدة في غير عنف.

٦- يظهر أيضاً في الفقرة حسن التقسيم ودقة التفكير وسلامة المنطق والقدرة على الإقناع بالحجة وهذا يعود أن الرجل أوتي حسن البيان وبراعة الخطاب.

٢- **الحجاج بن يوسف الثقفي** : ولد الحجاج في الطائف ، ونشأ بين والد وأخ كانا معلمين التحق بالجيش الأموي وارتقى في المراتب، كلفه عبد الملك بن مروان بقتال عبد الله بن الزبير ، فقتله وحاصر الكعبة بالمنجنيق ، ثم ضربها ، فكافئه عبد الملك بتوليته الحجاز واليمن ثم العراق، قضى الحجاج على الخوارج وقام بإصلاحات إدارية وعمرانية، وبنى مدينة واسط بالعراق وحفر الأقنية، وأوجد المكاييل والمقاييس والموازين ، ونقل الدواوين من الفارسية إلى العربية ، وسك عملة عربية، ثم نظّم الجيش وجعل الخدمة فيه إجبارية فتح معظم بلاد المشرق ووصل إلى بلخ والسند، ثم إلى حدود الصين ، وبموته بسرطان القرحة توقفت فتوح المسلمين، لم يخلّف إلا سيفا ومصحفا وعشرة دراهم فضة . سياسي قدير ، وإداري حازم ومثقف واسع الخبرة ، تميز بالقسوة، كان خطيبا بارعا ، تميزت خطبه بقوة المعاني ، وذكر الموت والضرب والقتل، جزل اللفظ متين العبارة ، قصير الجمل . ولد عام (٤٢) هـ وتوفى عام (٩٥) هـ .

خطبة الحجاج حين قدم أميراً على العراق :

ذكر المبرد أنه أتى آتٍ فقال: هذا الحجاج قدم أميراً على العراق. فإذا به قد دخل المسجد معتماً بعمامة غطى بها أكثر وجهه، متقلداً سيفاً، متنكباً قوساً، يؤم المنبر، فقام الناس نحوه، حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عمير بن ضابيء البرجمي: ألا أحصبه لكم؟ فقالوا: أمهل حتى ننظر، فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض وقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال: يا أهل الكوفة، إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى، ثم قال:

هـذا أوان الشـد فاشـتدي زيـم قـد لفهـا الليـل بسـواق حطـم
لـيس برلعـي إبـلٍ ولا غـنم ولا بجـزارٍ علـى ظهـر وضـم

ثم قال:

قـد شمـرت عـن سـاقها فشـدوا وجـدت الحـرب بكـم فجـدوا
والقـوس فيهـا وتـرٌ عـرد مثـل ذراع البكـر أو أشـد

لابد مما ليس منه بد(إني والله يا أهل العراق، ما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التين. ولقد فرزت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرها عوداً. وأصلبها مكسراً، فرماكم بي. لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجعتم في مراقد الضلال. والله لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. والخوف بما كانوا يصنعون. وإنى والله ما أقول إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة. وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه"[1].

(١) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ص٢٩٢

ب- الكتابة في العصر الأموي
ودور عبد الحميد الكاتب وابن المقفع

تطور الكتابة: عرف العرب في الجاهلية الكتابة بشكل قليل، ولكنهم لم يدونوا في هذا العصر الجاهلي معارفهم وعلومهم وإن كانت قليلة ، وإنما نقلوها لنا مشافهة.

أ- الكتابة في صدر الإسلام : إن كون معجزة الرسول الخالدة هي القرآن فقد استدعى ذلك من الرسول(ﷺ) أن يشجع على تعلم القراءة والكتابة وبعد نزول أول آية :" اقرأ باسم ربك الذي خلق". فقد طلب الرسول فداء لأسرى قريش أن يعلم كل أسير عشرة من صبيان المسلمين واتخذ كتابا للوحي ودفع بعض أصحابه لتعلم اللغة العبرانية، ثم تبعه الخلفاء فكانوا يهتمون بالرسائل والمكاتبات كما كان يصنع الرسول وسجلت الدواوين للخراج والجند.

ت- الكتابة في العصر الأموي : ازداد الاهتمام بالكتابة ، في هذا العصر بعد تعقد الحياة وتكاثر المشكلات وتحضر العرب واقتباسهم من النظم الموجودة عند الأمم الأخرى ، وقد انقسمت الثقافة في هذا العصر إلى ثلاثة تيارات :

١- التيار العربي الجاهلي: وكان يتمثل في أشعار العرب وأيامهم .

٢- التيار الإسلامي: يتمثل بتسجيل تاريخ الإسلام وسيرة الرسول وغزواته وسير الخلفاء والفتوح والأحزاب السياسية التي سجلت نظرياتها في الحكم.

٣- تيار أجنبي: يتمثل ثقافة الأمم المفتوحة ونظمها السياسية والاجتماعية فقد اتخذ عمر بن الخطاب ديوان العطاء والجيش وطُلب من خالد بن يزيد بن معاوية ترجمة كتب الطب وألف العرب كتباً في مختلف الموضوعات، واعتمدوا صيغ الجمال الفني في سكب العبارات واختلطت في نهاية هذا العصر الثقافة

العربية بالثقافة الدينية والثقافة الأجنبية المترجمة والتي سيقطف ثمارها خلفاء العصر العباسي .

ج- **دور عبد الحميد الكاتب في تطور فن الكتابة** : يروى أن عبد الحميد من أصل فارسي من الأنبار ، انتقل إلى ديوان الرسائل في دمشق بعد أن كان معلما في الكتاتيب، عمل لدى هشام واتصل بمروان بن محمد الذي ولاه على ديوانه عندما أصبح خليفة وقد قتل عبد الحميد مع نهاية الخلافة الأموية بعد أن ألقى القبض عليه أبو العباس السفاح، يعد عبد الحميد أبلغ كتاب الدواوين فقد فتحت الرسائل به وختمت بابن العميد، سهل طرق البلاغة واستخدم التحميدات فصيح اللسان قوي التعبير والبيان فخم العبارة واسع الثقافة تأثر بالأدب الفارسي واليوناني وتمثل الثقافة العربية ، تتميز فنية نثره بجودة التقسيم ودقة المنطق والطباق والمقابلات والصور والاستعارات والترادف الموسيقي والإيقاع الصوتي.

د- **دور ابن المقفع** : يعد عبد الله بن المقفع من الكتاب البارزين الذين ما تزال ثقافتهم يقتبس منها في أدبنا وفي الآداب الأجنبية ، فقد كان والده فارسيا مجوسيا ما نويا تبعه ابنه وقد كان هذا الولد فصيحا بليغا كتب لعمر بن هبيرة ولابنه يزيد ثم لعيسى بن علي عم المنصور وأسلم على يديه وتسمى بعبد الله وبقي في خدمته حتى قتله سفيان بن معاوية والي البصرة من قبل المنصور. لقب والده بالمقفع لاختلاسه مالا فضربه الحجاج حتى تقفعت يده، وترجع أهمية ابن المقفع المترجمان لكتب مزدك ، وسير الملوك ، أنظمة الملك، سيرة أنوشروان، مقولات أرسطو ، كليلة ودمنة ، الأدب الكبير ، الأدب الصغير . تميز بالفصاحة والبلاغة وقوة الحجة ووضوح الأسلوب والبعد عن التعقيد والنفور من الإغراب والتوعر في الألفاظ .

❖❖❖

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

١- ابراهيم بن محمد اللخمي، مختصر شرح بانت سعاد وإعرابها، دراسة وتحقيق ضياء الدين حمزة عبد السلام الغول رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة.

٢- إحسان عباس ، شعر الخوارج، دار الثقافة بيروت لبنان،ط٢، ١٩٧٤م.

٣- أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢ ، ١٩٥٤م.

٤- أحمد بن عبد السلام الجراوي التَّادِلِيّ، الحماسة المغربية، حققه د. محمد رضوان الداية، دار الفكر بيروت، لبنان- دار الفكر - دمشق، مج٢.

٥- أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري، رسالة الغفران، تح/ بنت الشاطئ، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٧٧م.

٦- أحمد حسن الزيات تاريخ الادب العربي، دار الثقافة بيروت،ص١٩٢.

٧- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة(نقض) تح/ أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي مصر، ج٣ .

٨- امرؤ القيس، الديوان، بشرح السُكري، دراسة وتح: د. أنور عليان أبو سويلم، وآخر.ج١ ،اصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الامارات العربية المتحدة،ط١، ٢٠٠٠م.

٩- أمل منسي عائض الخديدي، عوارض التركيب في شعر عبيدالله بن قيس الرقيات، رسالة ماجستير،جامعة أم القرى، لسنة ١٤٢٩هـ.

١٠- أمية بن أبي الصلت، الديوان، جمعه وحققه سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت،ط١ ، ١٩٩٨م.

١١- إميل ناصيف، أروع ما قيل في المديح،دار الجيل، بيروت،د.ت.

١٢- أوس بن حجر، الديوان ،تح/د.محمد يوسف نجم،دار بيروت للطباعة والنشر بيروت،١٩٨٩

١٣- بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية والإسلام، دار الجيل بيروت –لبنان، ودار مارون عبود(د.ت)

١٤- بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر،(د.ت.)،

١٥- جبرائيل سليمان جبور، كيف أفهم النقد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط١، ١٩٨٣م.

١٦- جرجي زيدان ،تاريخ آداب اللغة العربية، راجعه وعلق على حواشيه ،د. شوقي ضيف ،دار الهلال(د.ت) .

١٧- جرير ، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.

١٨- جرير، الديوان،ج٣، تح. د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف القاهرة ،ط٣، ١٩٨٦م.

١٩- جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري،شرح قصيده كعب بن زهير في مدح النبي- بانت سعاد - هامش: حاشية إبراهيم الباجوري طبعه مصر سنه ١٩١٦م.

٢٠- جميل بن عبد الله بن مَعْمَر العُذْر المشهور بجميل بثينة، الديوان، دار صادر، بيروت،(د.ت)

٢١- حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، نقائض جرير والأخطل، علق على حواشيها الاب انطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٢م.

٢٢- حسان بن ثابت ،الديوان، دار الكتب العلمية بيروت،١٩٩٤م.

٢٣- حسان بن ثابت، الديوان، تح/ وليد عرفات،ج١، دار صادر، د. رقم ٢٠٠٦م.

٢٤- حسان بن ثابت، الديوان، شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ: عبد أ مهنا دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط٢، ١٩٩٤م.

٢٥- حسن الأمراني، سيمياء الأدب الإسلامي .. المصطلح والدلالة، مؤسسة الندوى/ المغرب.

٢٦- الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبدالحميد،ج١، دار الجيل،ط٥، ١٩٨١م.

٢٧- جرول بن أوس بن مالك العبسي المشهور بالحطيئة، الديوان، برواية وشرح ابن السَّكيت ، دراسة وتبويب د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط١ ، ١٩٩٣م.

٢٨- خليل أبو ذياب، أدب صدر الإسلام، دار عمار للنشر والتوزيع عمان الأردن،(د،ت).

٢٩- خير الدين بن محمود بن محمد الزكلي الدمشقي، الأعلام، دار اعلم للملايين، بيروت، ط٢٠٠٢،١٥م

٣٠- دريد بن الصمة، الديوان، تح/د. عمر عبدالرسول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣١- زكي مبارك،المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط١، ١٩٣٥م.

٣٢- سامي العاني، الإسلام والشعر' مجلة عالم المعرفة سلسلة ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت،١٩٩٦م.

٣٣- السيد الحميري،الديوان،جمعه وحققه شاكر هادي شكر،منشورات المكتبة الحدرية –قم، ١٤٣٣هـ

٣٤- شرح بانت سعاد، مجلة كلية الآداب، ١٩٧٤.

٣٥- شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ط٥، ص٢٣٢.

٣٦- شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد،العقد الفريد، ج٢ دار الكتب العلمية.

٣٧- شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب،دار الكتب العلمية،ج١٧،ط١ ،٢٠٠٤م.

٣٨- شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف –القاهرة، مصر،ط٧ ،١٩٩٦م.

٣٩- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة،ط٦، ١٩٥٩م.

٤٠- طه حسين ،حديث الأربعاء، دار المعارف ، القاهرة،ط١٤،(د.ت)

٤١- طه حسين، مقالة(زعيم الغزليين عمر بن أبي ربيعة) نشرت بجريدة (السياسة) في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٤م

٤٢- عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس الأوسي المعروف بأبي قيس بن أبي الاسلت، الديوان، تح/حسن محمد باجوده، دار التراث القاهرة، ١٣٩١هـ.

٤٣- العباس بن مرداس، الديوان، جمعه وتح/ د.يحيى الجبوري،مؤسسة الرسالة،بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٤٤- عبد الحكيم الزبيدي، خصائص شعر الغزل عند عمر بن أبي ربيعة، دار ناشري للنشر الإلكتروني.

٤٥- عبد الرحمن ابن خلدون ،المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت،ط٣، ٢٠٠١م.

٤٦- عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر المشهور باسم جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة المكتبة الثقافية بيروت، ١٩٧٣م.

٤٧- عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر المشهور جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة العربية ،تح/ فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٨م .

٤٨- عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان،١٩٨٧م.

٤٩- عبد الله بن المعتز طبقات الشعراء، تح/عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر(د،ت).

٥٠- عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان(د.ت.ط).

٥١- عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تح/ أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر،ط٢، ١٩٥٨م.

٥٢- عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط١، ١٩٨٢م.

٥٣- عبد الملك بن قريب الأصمعي ، فحولة الشعراء، تح/ ش. تورّي، دار الكتاب الجديد، بيروت،ط٢ ، ١٩٨٠م.

٥٤- عبد مناف بن عبد المطلب الهاشمي القرشي الكناني يُكنّى بأبي طالب، الديوان، صنعة أبي هفان المهزمي البصري وآخر، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٥٥- عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي السُهيلي الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، د.ت.

٥٦- عبدالعزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٥٧- عبدالقادر البغدادي، خزانة الأدب ولُب لباب لسان العرب،ج١ ، تح/عبدالسلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة ،ط٤ ،١٩٩٧م.

٥٨- عبدالقادر القط، في الشعر الإسلامي دار النهضة العربية ،بيروت- لبنان،١٩٨٧م.

٥٩- عبدالله بن رواحة،الديوان، تحقيق، د.وليد قصاب ،ط١، ١٩٨١م.

٦٠- عبيد الله بن قيس الرقيات، الديوان، تح/ د. محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت،(د.ت) .

٦١- عروة بن حزام، الديوان، موسوعة الشعر العربي إصدار ٢٠٠٩م.

٦٢- عمر بن أبي ربيعة، الديوان، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د. فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.

٦٣- عمر رضا كحالة، الأدب العربي في الجاهلية والإسلام، المطبعة التعاونية، دمشق،١٩٧٢م.

٦٤- عمر فروخ ،تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين،بيروت،١٩٨١م،

٦٥- عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري المشهور بالجاحظ، البيان والتبيين ، ،تح/فوزي عطوي ، دار صعب، بيروت.

٦٦- عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري المشهور بالجاحظ، البيان والتبيين،ج٢تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ،مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،ط٧، ١٩٩٨م.

٦٧- غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي يكنى بذي الرّمّة، الديوان، شرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط٢ ، ١٩٩٦م.

٦٨- قيس بن ذريح، الديوان ، دار المعرفة بيروت لبنان،ط٢، ٢٠٠٤م.

٦٩- الكتاب الخامس محاضرات الملتقى الخامس، السيمياء والنص الأدبي ، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر، ١٥- ١٧- نوفمبر ٢٠٠٨م.

٧٠- كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي وعرف بكُثير عزة ، الديوان، جمعه وشرحه د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان،١٩٧١م.

٧١- كعب بن زهير، الديوان، صنعه الامام أبي سعيد السكري،شرح ودراسة د.مفيد قميحة،دار الشواف للطباعة والنشر الرياض،السعودية،ط١، ١٩٨٩م.

٧٢- الكميت، شرح الهاشميات، تح/ د. داود سلوم، وآخر، مكتبة النهضة العربية، ط٢ ، ١٩٨٦م.

٧٣- لبيد بن ربيعة، شرح الديوان، حققه وقدم له د. إحسان عباس، التراث العربي سلسلة تصدرها وزارة الارشاد والأنباء ،الكويت،١٩٦٢م.

٧٤- لبيد، ديوان شرح الطوسي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. حنا نصر، دار الكتاب العربي ،بيروت،ط١، ١٩٩٣م.

٧٥- لويس شيخو، شعراء النصرانية بعد الاسلام القسم الناني شعراء الدولة الأموية ،مطبعة الكاثوليكية الاباء اليسوعيين، ١٩٣٤م.

٧٦- مجنون ليلى، الديوان ، تح/عبدالستار أحمد فراج، مكتبة مصر ،(د.ت)، ص٢٣٨.

٧٧- مجنون ليلى، الديوان، رواية أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق يُسري عبد الغني، دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان،ط١، ١٩٩٩م.

٧٨- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، التحرير والتنوير.الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤م.

٧٩- محمد بن أبي الخطاب الانصاري، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام، تح/محمد علي الهاشمي، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ط،١، ١٩٧٩م.

٨٠- محمد بن أبي الخطاب القرشي ،جمهرة أشعار العرب. دائرة المعارف الإسلامية، وجدي ج٨.

٨١- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث بيروت ١٩٨٥م.

٨٢- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، عيار الشعر ، تح/ عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط١ ،١٩٨٢م.

٨٣- محمد بن القاسم الأنباري، الأضداد في اللغة، موسوعة الشعر العربي، إصدار ٢٠٠٩م.

٨٤- محمد بن جرير الطبري، صحيح تاريخ الطبري، تح/ محمد طاهر البرزنجي وآخر، دار ابن كثير دمشق، ط١ ،٢٠٠٧م.

٨٥- محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي ، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، د.ت.ط.

٨٦- محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي، طبقات الشعراء، تمهيد جوزف هل، ودراسة طه أحمد ابراهيم، دار الكتب العلمية،بيروت،ط٢، ١٩٨٨م.

٨٧- محمد بن عمران بن موسى المرزباني، الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر(د،ت).

٨٨- محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، يكني بأبي عيسى، سنن الترمذي،كتاب الأدب تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م.

٨٩- محمد بن محمد بن محمد اليعمري ، فتح الدين أبو الفتح الإشبيلي، المعروف بابن سيد الناس ، عيون الأثر في فنون المغازي والسير، ج٢، تح/ د. محمد العيد الخطراوي وآخر، دار ابن كثير، دمشق- بيروت.

٩٠- محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، (د.ط : د.ت).

٩١- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، دار صادر – بيروت ط٣، ١٤١٤ هـ .

٩٢- محمد بن يحيى بن عبد الله ، نسبته إلى جده "صول تكين ،أدب الكاتب، نسخه وعني بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثرى، المطبعة السلفية- مصر القاهرة،١٣٤١هـ.

٩٣- محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد ،الكامل في اللغة والأدب، تح/د. يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة،ط١، ٢٠٠٤م.

٩٤- محمد عبدالمنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل بيروت، ١٩٩٠م.

٩٥- محمد عثمان علي، في أدب الإسلام(عصر النبوة والراشدين وبني أمية)،دار الأوزاعي للطباعة والنشر، بيروت لبنان،ط١، ١٩٨٤م.

٩٦- محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القلم بيروت لبنان مج٢،ط٥،(د.ت).

٩٧- محمد محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي الجامع المسند الصحيح تح/محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة ،ط١ ، ١٤٢٢هـ.

٩٨- محمد مصطفى هدارة ،الشعر العربي في القرن الأول الهجري نسخة ألكترونية د،م، ت) .

٩٩- محمد مصطفى هدارة، الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي، دار النهضة العربية بيروت ١٩٩٥م.

١٠٠- محمد ناصر الدين الألباني ، ضعيف الجامع الصغير، الموسوعة الشاملة، تاريخ الإضافة: ١٤ نوفمبر ٢٠١٠م.

١٠١- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن الترمذي باختصار السند، المكتب الاسلامي بيروت، ،ط١ ، ١٤٠٨هـ.

١٠٢- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط١، ١٩٩١م.

١٠٣- معمر بن المثنى التيمي البصري، كتاب النقائض ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ج١ ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

١٠٤- النابغة الجعدي، الديوان، جمع وتح. وشرح د. واضح الصمد، دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،١٩٩٨م.

١٠٥- النابغة الذبياني، الديوان، شرح وتقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط٣، ١٩٩٦م.

١٠٦- نجيب الكيلاني، مدخل إلي الأدب الإسلامي، كتاب الأمة: ١٤، جمادى الآخرة، ١٤٠٧هـ.

١٠٧- نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،موسوعة الشعر العربي إصدار٢٠٠٩ م.

١٠٨- النعمان بن بشير، الديوان، تح. د. يحيى الجبوري، دار القلم –الكويت ط٢ ، ١٩٨٥م.

١٠٩- نوري حمودي القيسي، شعراء أمويون ،مكتبة النهضة العربية ،ومكتبة عالم الكتب، بيروت لبنان،ط١ ،١٩٨٥م.

١١٠- همام بن غالب بن صعصعة الدارميّ التميميّ المشهور بالفرزدق، الديوان، شرحه وضبطه وقدّم له الاستاذ، علي فاعور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط١، ١٩٨٧م.

١١١- وليد قصاب ،مقالة: انشاد الشعر ، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: ٢٠٠٩/٢/١١م

١١٢- شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان،ج٨، موسوعة الشعر العربي، اصدار ٢٠٠٩م.

١١٣- يحيى الجبوري ، شعر عروة بن أُذينة ، دار القلم،الكويت،ط٢، ١٩٨١م.

١١٤- يحيى الشامي، أروع ما قيل في الزهد ،دار الفكر العربي ،بيروت(د،ت) .

١١٥- يوسف بن عبد الله النمري المعروف بابن عبد البر القرطبي ،الاستيعاب في أسماء الأصحاب. دار الفكر للطباعة والنشر،١٩٩٣م.

المحتوى

م	المادة	الصفحة
١	التمهيد	١
٢	الفصل الأول : عصر صدر الإسلام	٤
٣	المبحث الأول: أثر الإسلام في حياة العرب عامة.....	٥
٤	المبحث الثاني: موقف الإسلام من الشعر.....	١١
٥	المبحث الثالث: الشعر ومعانيه في صدر الإسلام.....	٢٨
٦	الفصل الثاني	٣٧
٧	المبحث الأول: الشعر في صدر الإسلام (أغراضه الشعرية).....	٣٨

٨ المبحث الثاني: السمات الفنية والأساليب في شعر صدر الإسلام..... ٤٤

٩ المبحث الثالث: أعلام الشعر في صدر الإسلام..... ٤٨

١٠ الفصل الثالث : النثر الفني وتطوره في صدر الإسلام ١٠٢

١١ المبحث الأول: نشأة النثر الفني وتطوره في صدر الإسلام..... ١٠٣

١٢ المبحث الثاني: الخطابة وموضوعاتها وخصائصها ونماذج منها ١٠٨

المبحث الثالث: أدب الرسائل..... ١١٨

١٢ الفصل الرابع : الدولة الأموية ١٢٠

١٣ المبحث الأول: الشعر السياسي في الدولة الأموية ١٢٢

١٤ المبحث الثاني: النقائض: نشأتها وعواملها وقيمتها الفنية ١٣٤

.....

١٥ المبحث الثالث: الغزل واتجاهاته في العصر الأموي..... ١٦٢

١٦ المبحث الرابع: النثر الفني وتطوره في العصر الأموي..... ٢٠٢

١٧ فهرس المصادر والمراجع..... ٢٠٩